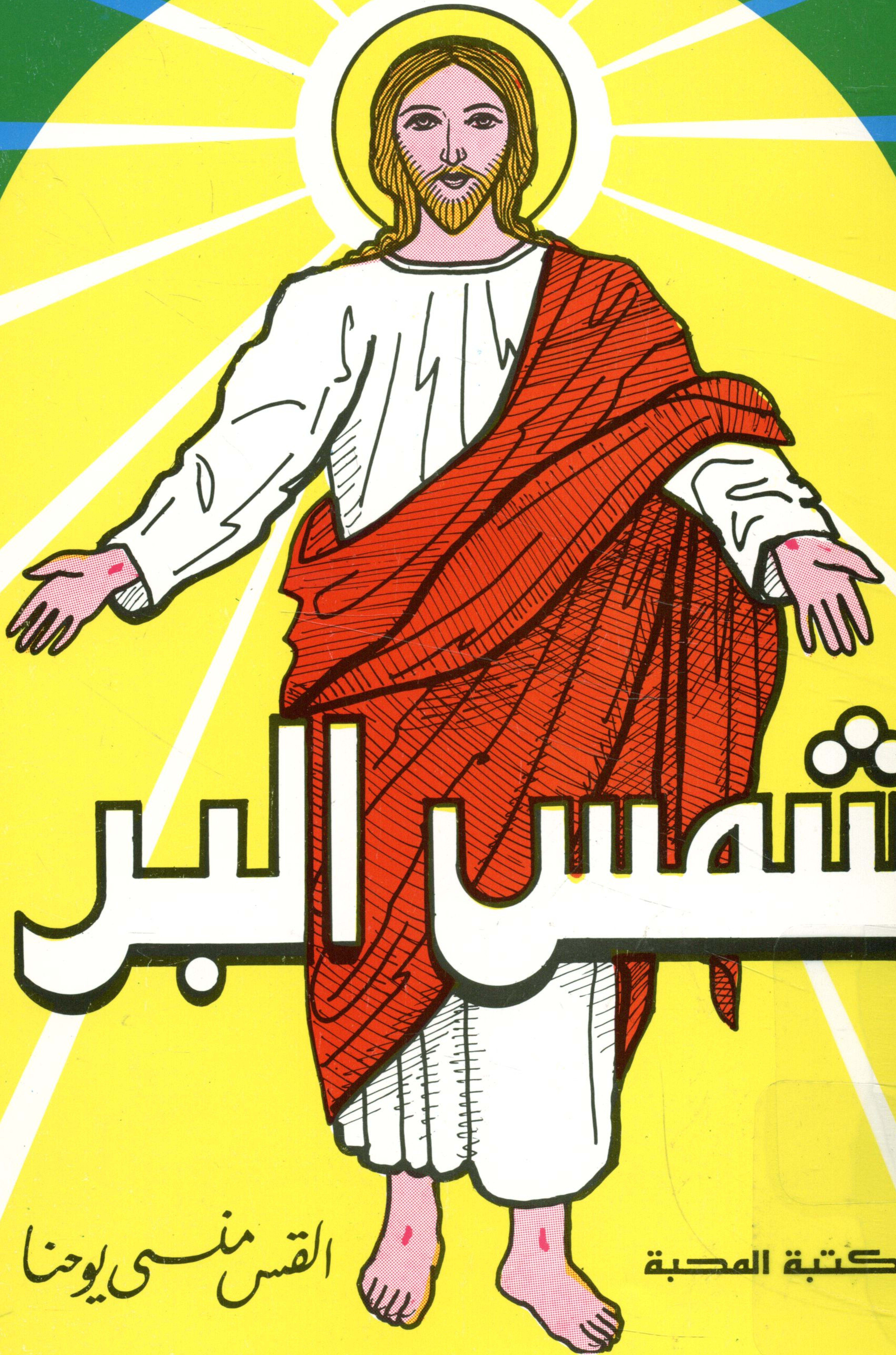

شمس البر
القس منسى يوحنا
مكتبة المحبة

شمس البر

تأليف

القس منسى يوحنا

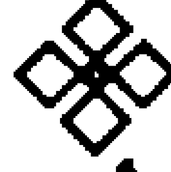
مكتبة المحبة



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

باسم الآب و الإبن و الروح القدس
إله واحد آمين



ما أحوجنا فى وقتنا الحاضر أن ندرس جيدا حقائق الإيمان و نتعرف إليها و نتثبت من عقيدتنا القويمة ، حتى نكون مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسأل عن سبب الرجاء الذى فينا ، خصوصا و قد إنتشرت فى العالم موجة من الإلحاد و الزندقة ، و بدأ هؤلاء الملاحدة فى شن غارات النقد و التشهير و التشكيك فى الدين و مبادئه .

و مكتبة المحبة تشعر برسالتها المقدسة و بواجبها نحو أفراد الشعب المسيحى ، تعمل من جانبها دائما على طبع هذه الكتب اللاهوتية و نشرها . و هى إذ رأت أن كتاب شمس البر - الذى يسد فراغا كبيرا فى هذه الناحية - قد نفذ ، أعادت طبعه حتى يكون عونا للقارئ و الباحث لكى يشبع كل نفسه من دسم حقائق الإيمان و أركان العقيدة .

و تنتهز مكتبة المحبة هذه الفرصة لتكرر شكرها للأخ المحبوب الأستاذ وهبة يونس ، شقيق المؤلف ، لتشجيعه لنا فى نشر هذه المؤلفات القيمة .

نطلب إلى الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب نافعا لبنيان شعبه ، عاملا على تعريفهم أسس الدين ، واقيا لهم من البدع و الهرطقات .

له المجد من الآن و إلى الأبد آمين ،،،

يونية ١٩٦٠

بؤونة ١٦٧٦

مكتبة المحبة بالقاهرة

كلمة عن المؤلف

نيح الله نفسه

†

ولد الفقيد العزيز سنة ١٨٩٩ بناحية هور مركز ملوى من أبوين مسيحيين تقيين كريمى المحتد عريقى النسب ، و مات أبوه و هو فى سن الطفولة فعنيت أمه بتربيته تحت رعاية جده الوقور . و نظرا لما كانت عليه رحمها الله من الصلاح و الورع و الحكمة و كرم النفس و البر بالفقراء و المساكين و العطف على الأرامل و الأيتام و المجربين ، فقد تشرب الفقيد منها هذه السجايا الحميدة و ترعرع فى كنفها و نما فى أحضان الفضل و التقى ، و خصه الله فوق ذلك بذكاء حاد و عقل راجح و فكر ثاقب .

و كان حبه لكنيسته الأرثوذكسية غريزة متأصلة فى نفسه و بلغت شدة تعلقه بها أنه ألم بالكثير مما يتلى فيها و هو طالب بالمدارس الإبتدائية و لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من العمر . دفعته غيرته على تقدم الكنيسة و نمائها إلى أن يكرس حياته لخدمتها فالتحق بالمدرسة الإكليريكية و هو فى السادسة عشرة من عمره بعد تردد حضرة مديرها فى قبوله نظرا لصغر سنه و لإعتقاده أنه و هو فى هذه السن لا يقوى على تحمل أعباء الدراسة بها ، و لكن ما أن مرت بضعة شهور على وجوده بالمدرسة المذكورة حتى أصبح موضع إعجاب حضرات مديرها و أساتذتها لما أظهره من النبوغ الفائق . و استمر كل سنى الدراسة فيها متفوقا على أقرانه ، مضرب المثل بينهم فى نبل الأخلاق و علو الهمة و قوة الإرادة و شدة العزيمة و أصالة الرأى و لم يكن يكتفى بما يتلقاه فى المدرسة من الدروس المقررة بل كان يحصل على كل مفيد من الكتب الكنسية و من مؤلفات العلماء اللاهوتيين و المؤرخين و يدرسها بعناية تامة ، فاتسعت بذلك مداركه و كثرت معلوماته و عظمت ثقافته .

و لما تخرج من المدرسة الإكليريكية عين واعظا لكنيسة ملوى القبطية التى قوبل فيها بادئ ذى بدء مقابلة شاب فى العشرين من عمره ، و لكن سرعان ما وجد فيه شعبها واعظا تقيا قديرا ، و معلما فاضلا حكيما ، و مرشدا صالحا أمينا فأحبه جميع أفراد الشعب حبا جما و أنزلوه أحسن منزلة فى نفوسهم . و إن أنس لا أنسى موقفهم الرائع حينما قرأوا فى إحدى الصحف أن طيب الذكر نيافة مطران المنيا السابق قرر نقله من كنيستهم إلى كنيسة سمالوط ، فقد ثارت عند ذلك ثائرتهم و قاموا قومة رجل واحد معترضين على نقله و ألفوا من بينهم وفدا قابل نيافة المطران فتفضل نيافته و هدأ خواطرهم بنفيه إشاعة نقله نفيا باتا ، و أبلغهم أن واعظهم عندما زار كنيسة سمالوط تلبية لدعوة أعضائها تعلق به أهلها و أخذوا يمهدون السبيل لتعيينه فى كنيستهم ، ولكن نيافته لم يوافقهم على ذلك لما يعلمه من شدة محبة شعب ملوى له و درجة تمسكهم بوجوده بينهم .

و أذكر بهذه المناسبة أن إثنين من أصحاب النيافة المطارنة عرضا عليه الخدمة معهما نظير مرتب كبير يغرى و لكنه فضل البقاء بكنيسة ملوى نظرا لما وجده فى أهلها من المحبة و الإخلاص و الوفاء ، غير ناظر إلى الماديات لأنه لم يكن يبغى سوى خدمة الكنيسة و العمل على تقدمها .

و قد رسم كاهنا لمدينة ملوى فى يناير سنة ١٩٢٥ بناء على تزكية إجماعية من شعبها ، وكان يوم رسامته يوما مشهودا إشترك فى الإحتفال به جميع أهل المدينة على إختلاف مذاهبهم ، و كان الكل يهنئون بعضهم بعضا .

و كانت حياة الفقيد نيح الله نفسه سلسلة جهاد متواصل الحلقات فإنه علاوة على إضطلاعه بمسئوليات الخدمة بالكنيسة و افتقاد الرعية و القيام بالوعظ و التعليم كان يدأب دائما على الإطلاع و البحث

و التأليف و النشر ، و لقد تمكن فى غضون تسع سنوات من تأليف خمسة عشر مؤلفا قيما من بينها تاريخ الكنيسة القبطية ، هذا فضلا عما كان ينشره فى الصحف و المجلات من البحوث الروحية و الأدبية ، و عن تحمله أعباء إدارة و تحرير مجلة الفردوس .

و لقد برز الفقيد أبان الحركة الوطنية فكان خطيب ملوى الذى يشار إليه بالبنان ، يدعو دائما إلى الإتحاد و الإخاء و الجهاد فى سبيل إسعاد الوطن .

و إليه يرجع الكثير من الفضل فى حمل أهالى ملوى على الإكتفاء وقتئذ بإقامة المآتم لمدة ثلاثة أيام و كان من عادة البعض إقامتها لمدة أسبوع و البعض الآخر لمدة خمسة عشر يوما .

و ظل الفقيد مع ما كان يقوم به من الخدمات العامة السالفة الذكر نشطا فى خدمة الكنيسة عاملا قويا فى سبيل نهضتها . و قد ألف إتحادا من حضرات زملائه قساوسة و وعاظ كنائس البلاد المجاورة و أخذ يعمل معهم على إنعاش هذه الكنائس بإقامة مجامع بها يتبادلون الوعظ فيها ، و كان لهذه المجامع بعون الله أثرها الفعال .

و مع ما بلغه الفقيد من سمو المكانة فى النفوس بسعة علمه و غزارة فضله و علو همته ، فإنه كان بعيدا كل البعد عن الزهو و الخيلاء ، مثالا للتواضع و إنكار الذات .

و لقد حلت به فى سنى حياته القصيرة تجارب متنوعة فتحملها بالصبر مقدما عنها لله خالص الشكر . جرب فى أبنائه فكان كلما رزق إبنا إختطفه الموت منه ، و جرب كثيرا فى صحته . ثم فجع فى اليوم الثانى من ديسمبر سنة ١٩٢٨ أى قبل إنتقاله إلى جوار ربه بعام و نصف عام بوفاة المرحومة والدته العزيزة التى يرجع إليها الفضل فى تربيته

و تهذيبه كما فصلنا ، فخسر بوفاتها أعز ما فى الوجود إليه و أكثرهم حنوا و عطفا عليه ، و كان حزنه عليها شديدا لدرجة أنه كان يصلى بالألحان الحزينة مناجيا روحها الطاهرة . و بالرغم من شدة وقع هذه المصائب فى نفسه فإنها لم تفل من عزيمته أو تضعف من مجهوداته الجبارة فى خدمة كنيسته و أمته ، تلك الخدمة التى كرس حياته لأجلها و التى ظل يؤديها بكل أمانة و نشاط حتى أقعده المرض عنها مرغما .

و فى يوم الجمعة ١٦ مايو سنة ١٩٣. تحدث إلى من كانوا فى زيارته للإستفسار عن صحته قائلا لهم : سأموت الليلة ، فأرجو أن تصلوا علىّ و تدفنونى فى هور . فكان شأنه فى ذلك شأن غيره من الأبرار القديسين الذين يشعرون بدنو الأجل و قرب الساعة ، و ما وافت الساعة الثانية عشرة من مساء اليوم المذكور إلا و فاضت روحه الطاهرة إلى باريها فلاقى وجه ربه راضيا مرضيا .

و فى صبيحة اليوم السابع عشر من شهر مايو سنة ١٩٣. سرى نعيه بسرعة البرق فى جميع أنحاء ملوى و هور و البلاد المجاورة فاضطربت النفوس و خفقت القلوب و سالت العبرات .

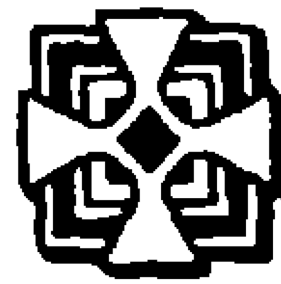
و أقبل القوم على داره و وجوههم واجمة و قلوبهم دامية ، كل يريد أن يلثم يديه متبركا منه و مودعا له قبل أن يلف فى كفنه و يدرج فى نعشه . و اكتظت شوارع المدينة بالأهلين من جميع الطبقات و المذاهب و الملل و ظلوا واقفين و كأن على رؤوسهم الطير منتظرين ميعاد تشييع جنازته حتى إذا ما أطل عليهم نعشه محمولا على الأعناق صرخوا صرخة الحزن من الأعماق و تزاحموا حواليه و خلفه باكين مولولين ، و كان إخواننا المسلمون يتهافتون على حمل نعشه قائلين للمسيحيين « دعونا نقوم بواجب الوفاء له فلقد أخلص فى حياته الود لنا بمثل ما أخلص لكم و خدمنا كما خدمكم و ليس حزننا عليه بأخف من حزنكم » . و سار موكب جنازته تلازمه الروعة و يحدوه الجلال حتى وصل إلى الكنيسة القبطية حيث صلى

على الفقيد لفيف من الكهنة و أبّنه كثير من الخطباء ثم استأنفت الجنازة بعد ذلك سيرها حتى خرج به القوم من ملوى إلى مدفنه ببلدة هور ، خرجوا به من المدينة التى تفانى فى خدمة كنيستها و فى حب شعبها .

خرجوا به و الكل باك حوله   صفقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه   فى قلب كل موجد محفور

و بعد أن ورى الفقيد التراب ، إنصرف الجمع و هم يبكون شبابه الغض و يترحمون عليه و يذكرون فضائله و يعددون مآثره .

و وردت إلى عائلته رسائل التعازى من مختلف جهات القطر و من كافة الطوائف و كلها تنم عن تقدير مرسليها لعظم الخسارة فى فقده كما رثاه فى المجلات الدينية كثير من عارفى فضله .



تحية الشقيق

†

شقيقى العزيز :

ثلاثون سنة مضت منذ انتقلت إلى أحضان القديسين و ضمك الفادى الأمين إلى زمرة المنتصرين - بعد إنتهاء مدة خدمتك على الأرض التى كانت مع قصرها طويلة المدى كبيرة الأثر دائمة المفعول حتى ظلت ذكراك فى كل قلب و فى كل مكان ، و ذكرى الصديق تدوم إلى الأبد .

إنتقلت فى ريعان شبابك بعد فترة حافلة بجليل الأعمال مما جعل إسمك على كل لسان من عارفى فضلك سواء ممن عاصروك أو ممن خلفوك . لقد تركت لهم تراثا خالدا و أثرا تالدا مما سطرته بقلمك فى مؤلفاتك . أو من أقـوالك التى كانت مصحـوبة بقوة الروح القدس فأتت بالأثر المطلوب و الثمر المرغوب فى خدمة كرم الرب ، فإن مت فأنت تتكلم بعد .

إن كل لحظة من حياتك قضيتها على الأرض كانت بركة لمن حولك ، و صارت بركة الآن لكل نفس ، و غذاء لكل روح ، هداية للضالين و تقوية للمؤمنين .

اللهم رب الكنيسـة أنعشـها بروحك القدوس ليتقد الجميع غيرة و يزدادوا همة و قوة لرفع لواء الصليب و إعلان راية الإنجيل فى كل مكان ، و اجعل فيمن أرضوك و خدموك بأعمالهم و جهادهم حافزا لكل خادم لتكون أنت الكل فى الكل ، و ليكون فضل القوة لله الذى له المجد فى الكنيسة إلى أبد الآبدين آمين . ،،،

وهبة يؤنس نصر الله

الجزء الأول

فى إثبات صحة الأناجيل

✢ † ✢

الباب الأول

فى أن الرسل لم يكونوا مخدوعين و لا خادعين
و لم يكنَ الخداع سهلا عليهم

<+>

الفصل الأول

فى أن الرسل لم يكونوا مخدوعين

+

و هذا ظاهر من أن إثنين منهم كتبا ما شاهداه لأنهما كانا من الإثنى عشر رسولا و هما متى و يوحنا . و مرقس و لوقا كانا من السبعين تلميذ و إن لم يكونا منهم فإنهم ممن رافقوا الرسل و بشروا معهم . و لوقا يخبرنا أنه أخذ عن مصادر تاريخية صادقة (لو ١ : ١) و قيل أن مرقس أخذ عن بطرس نظرا لعلاقته به (١ بط ٥ : ١٣) و لوقا أخذ عن بولس لاتصاله الثابت به أيضا (٢ تى ٤ : ١١) .

و يدلنا الكتاب على أن الرسل لم يكونوا يسلمون بحقيقة ما إلا بعد التثبت منها بالنظر . فمع أن المسيح قال لهم قبل موته أنه سيقوم و لكنهم لم يسلموا بذلك تسليما مطلقا . فقبل أن يقوم كانوا ينتظرون هل يصدق قوله أم لا يصدق بدليل قول التلميذين اللذين كانا ذاهبين إلى عمواس « و نحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل . و لكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك » (لو ٢٤ : ٢١) . و لما جاءهم الخبر أنه قام لم يصدقوا دون أن يروا بالعين ، فقام بطرس و يوحنا و رأيا القبر فارغا . و توما قال « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير و أضع إصبعى فى أثر المسامير و أضع إصبعى فى جنبه لا أؤمن » (يو ٢٠ : ٢٥) بل إن الذين سمعوا من النساء أنهن رأين القبر فارغا و أنهن رأين منظر ملائكة قالوا أنه حى و مضى قوم منهم إلى القبر فوجدوا هكذا كما قالت أيضا النساء و لكن لما لم يروه هو لم يشكوا بل تحيروا فقط (لو ٢٤ : ٢٢ - ٢٥) .

قد يعترض بعضهم بأن الإنجيليين وصفوا أمورا لم تقع عليها أبصارهم كالبشارة بالمسيح و ميلاده و عيشته المستترة و تجربته على الجبل . فنجيب : قال القديس أوغسطينوس « إنهم عرفوا هذه الأمور إما من المخلص بالذات كما قال لوقا عنه أنه بعد القيامة جعل تلاميذه يرونه حيا ببراهين كثيرة بعد ما تألم و هو يظهر لهم أربعين يوما و يتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع ١ : ٣) أو من العذراء و غيرها من الواقفين على حقيقة تاريخ هذه الحوادث كما أشار إلى ذلك لوقا فى إنجيله ص ٢ : ١٩ و ٥١ من أن أم المسيح كانت تحفظ جميع هذا الكلام متفكرة به فى قلبها » .

و يعترضون أيضا كيف استطاع الرسل أن يكتبوا عن حبل العذراء من الروح القدس مكتفين بشهادتها هى ؟ و لكن الرسل كانوا مقتنعين أنها أصدق شاهد فى هذا الموضوع . و لا سبيل إلى إنخداع الرسل بكلامها عن نفسها لأن حياة المخادعين يتجلى فيها خداعهم فى أقوالهم و أعمالهم ،

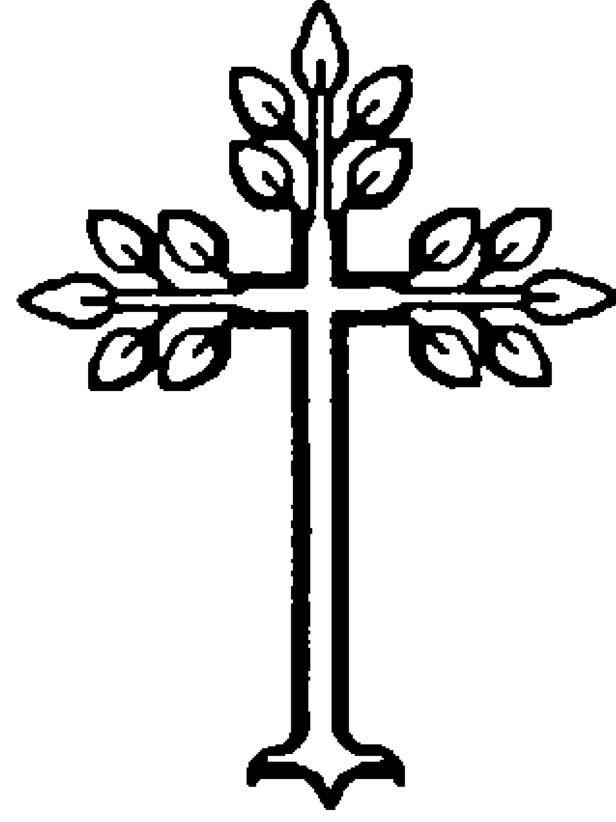
و كذا حياة الصادقين فلو لم يتحققوا من طهارة سيرة أم المسيح نفسه ما أقنعتهم بأنه إبن الله المتجسد فكتبوا رواية الحبل به من الروح القدس عن تأكيد و يقين .

و اعترض بعض الملحدين و على رأسهم رينان أن الرسل كشرقيين عظموا الحوادث الهينة و تخيلوا الصغير عظيما فجاءت روايتهم الإنجيلية خيالية للغاية . و لكن ليدلنا المعترض أين دلائل المخيلة فى الأناجيل . أين الوصف الشعرى و المغالاة المحركة للعواطف ؟ إن علماء اللغات يعيبون على الإنجيل خلوه من ضروب البيان و البديع التى عهدوها فى قصائد اليونان و الرومان حتى أن القديس أوغسطينوس - قبل الإهتداء - كان يحتقر إنشاء الكتب المقدسة لخلوها من الخيال و الشعر . فخلو الأناجيل من روح التخيل و المغالاة يمنع أن يكون كاتبوها مخدوعين لأن روح المخدوع تظهر فى التهويل و المبالغة ، و هذا ما لا أثر له فى الأناجيل كما سيظهر فى الفصل التالى . بل إن ظهور المسيح من الناصرة و قصر حياته على الأرض و نهايته المحتقرة و فقره و احترافه النجارة و خلوه من العلم و الجاه العالمى ، كل ذلك لم يكن لينطبق على ما كان يتخيله اليهود عن مسيحهم . و لم يكن يهم الرسل و هم يهود أن يصوروا مسيحهم بالصورة التى رسموها فى كتبهم . و لو لم يكونوا قد تحققوا أن هذه هى صورة مسيا الحقيقى الذى ظهر و تبينوا صدق رسالته ، لما كانوا يتجاسرون على مخالفة يهود عصرهم .

قد كان يمكن أن ينخدعوا فى مسيح جاء كما كان يؤمل اليهود ، و لكن كيف يكونون منخدعين فى مسيح ، أحواله تخالف كل آمالهم ؟

كما أنه لا يستطيع أحد أن يقول أن جنونا أو وسوسة هما اللذان حملا الرسل على كتابة أناجيلهم . فإن كتاباتهم أبعد ما تكون عن ذلك بل أبسط و أوزن و أحلى عرضا من جميع ما قد كتب من الأخبار. فلم يحرك الكتبة جنون و لم تلح عليهم إشارات خيال مضطرب و لكنهم كانوا يتكلمون أبدا بكلام الحق و الرصانة .

فإن ظن أحد أن إنشاء كتب على أسلوب الأناجيل أمر سهل لكل إنسان ، فذلك لأنه لم يمارس ذلك العمل . فإنه لم يقم للآن رجال من أصحاب المهن و الحرف و ممن لم يتهذبوا علميا ليكتبوا دون أن تقع فى كتاباتهم غلطات عظيمة . أما ما يظهر من إنشاء الرسل الأمين من عدم الميل و الغرض فهو أمر لا تكشف عنه المبادئ الإعتيادية . بل لو أختير ألفا رجل من بين العقلاء لم يكتبوا شيئا (كما كان الرسل) و كلفوا بكتابة سيرة أو تاريخ مما إطلعوا عليه من الوقائع الغريبة ، لما وجد فى كتبهم شئ يشبه أسلوب الأناجيل . بل أن كثيرين كانوا أعلم من الرسل و حاولوا تقليدهم فى ما كتبوا و لم ينجحوا ، و جاءت كتاباتهم برهانا جديدا على وجود الإلهام فى الأناجيل الحقيقية .



الفصل الثاني

فى أن الرسل لم يكونوا خادعين

+

(١) فإن لهجة كتاباتهم تدل على ما كانت تنطوى عليه نفوسهم من سلامة النية ، و أنهم كانوا من أهل السذاجة و جلهم كما قال اليهود عن بطرس و يوحنا « عديما العلم و عاميان » (أع ٤ : ١٣) فليس فى ما كتبوه أثرا للنية الردية . و لو طلبنا من أحد أعداء الإنجيل أن يدلنا على عبارة واحدة تشعر بسوء نية كتبته لما استطاع أن يجيبنا . و لو درس عدو الإنجيل هذا الكتاب بإمعان كلمة كلمة لأقر معترفا أنه ليس من غاية ردية أو نية سيئة فى أربعة كتب كتبها على زعمه أناس خدعوا البشر بمكرهم و أكاذيبهم الكثيرة و لا يمكن أن تخلو كتب كتبها أناس كاذبون مما يدل على إلتواء قصدهم مما ليس فى الإنجيل حرف منه .

(٢) و لا يمكن أن نتصور أن الرسل إخترعوا هذه السيرة لا سيما إذا وجهنا نظرنا إلى ما كانت عليه اليهودية يومئذ من الحالتين العقلية و الأدبية ، و ما كان فيها من المبادئ المعروفة و العوائد و الأذواق و إلى مقدار إنحطاطها و فسادها . فلو كانت سيرة المسيح إختراع الرسل لكنا ندهش كيف يتمكن أناس يعيشون فى ذلك الوسط الموبوء أن يرسموا تلك الصورة الطاهرة المخالفة لحالة العصر كل المخالفة ، لا سيما و أن الرسل كانوا من ذوى البساطة ممن يتأثرون كل التأثر بالبيئة و الوسط .

بل أن رأيا سماويا كالذى دونه الرسل لم يأت على تصورات الناس من قبل و لم ينزل من السماء إلى هذه الأرض إلا مرة واحدة .

و مرة واحدة رأينا فى تاريخ البشر أن رجلا عاش كاملا حتى قال أحدهم (و لو كان العهد الجديد لا يحوى إلا صفات المسيح كما ظهرت فى صلاته مع البشر لاستحق موضوعا فوق كل المؤلفات البشرية لأنه معدن غنى روحى عظيم و ينبوع مقدس لا يعرفه حيز آخر فى كل العصور) .

فلو كان الإنجيليون من أهل المكر (و هم صيادون أميون) أما كانوا يغلطون فى أمر مما كتبوه فى اللاهوت و الآداب . هل كان يمكنهم أن يكتبوا تلك الكتب المنظمة المنسجمة . هل كان يمكنهم أن يتخيلوا سيرة الرب يسوع دون أن يسقطوا فى خطأ ما و هم يدونون كل ما صنع و تكلم . هل أصحاب المكر يحرّمون الكذب و الخداع . يعتبرون القداسة الشئ الأعظم . هل كان ممكنا لهم أن يوفقوا بين مكرهم و بين مزاج العقل البشرى و أحوال الناس . هل كانوا هكذا مجردين من قوميتهم فلا يتعصبون لأمتهم فيكتبون ضدها . هل كان فى إمكانهم أن يذهلوا علماء العالم بسمو ما كتبوا ؟

إن العالم الذى فسد و انغمس فى المادية إلى هامته لم يكن يمكنه أن يتصور كمالا فى إنسان بالشكل الذى رواه الرسل عن المسيح . بل أن كثيرين من علماء العالم تمثلوا المثل الأعلى فجاء فى كتاباتهم مثلا أنقص لضعف طبيعتهم البشرية المادية بالنسبة للمسيح .

(٣) بل إنك تجد أن الإنجيليين الثلاثة الأول رووا فقط حوادث المسيح دون أن يشيروا صراحة إلى أنه إله كما أشار إلى ذلك يوحنا الإنجيلى الرابع . و ذلك لأنهم أرادوا أن يرسموا المسيح للعالم كما رأوه فى حياته لا كما كانوا يعتقدون فيه وقت تدوينهم كتاباتهم ، أى أنه الله الظاهر فى الجسد ، و يتركون للعالم الذى يقرأ كتاباتهم النزيهة أن يحكم بناء عليها بصحة ما إعتقدته الكنيسة الأولى فى المسيح . كما أنهم لو كانوا قصدوا أن يخدعوا لظهرت آثار التحيز فى

كتاباتهم . و لكنهم كانوا رواة واقفين عند حد الرواية فلم يتجاوزوها إلى مدح أو تقريظ فيذكرون أعمال و أقوال المسيح دون أن يضيفوا من عندياتهم كلمة إستحسان لها .

بل أكثر من ذلك أنهم لو كانوا غير مستقيمين و غير صادقين لرفعوا فى كتاباتهم كل ما ذكروه مما صادف مسيحهم من صنوف التحقير و الإهانة ، أو على الأقل كانوا قالوا أنه مات بغير الصليب ، الموت المحتقر فى ذلك العصر ، لا سيما و أن ثلاثة منهم كتبوا لأمم كانت بعيدة عن مركز تلك الحوادث .

و ربما لا توجد عبارة واحدة من كتبة الأناجيل فى مدح إحدى خطابات المسيح أو أعماله . و عندما يخبرون عن آلام المسيح لا يظهرون أسفهم ، و محبتهم الأكيدة للمسيح لم تجعلهم يميلون إلى شتم أعداء المسيح أو التكلم عليهم بكلام قاس ، بل إنما يروون الحادثة كأنهم لا يشعرون إلا بعزم ثابت على إعلان الحق بدون تحريف القضايا فى أدنى شئ . حتى أنهم يخبرون عن خيانة يهوذا بتلك البساطة عينها كأنهم لا يشعرون بقبح عمله .

ثم أن الرسل فى كلامهم عن يسوع المسيح بالتفصيل لا يشيرون البتة إلى صورة شخصه . فإننا جاهلون بقامته و هيئته و صورة وجهه و لونه إلى غير ذلك من صفاته الشخصية كما لو لم يكتب الإنجيل . و فى السكوت عن هذه الأشياء حكمة كلية ، مع أنه لو إتبع الكتبة حركات قلوبهم ، لكنا نجد و لو شيئا يسيرا من الإشارة إليها .

ثم أن الإنجيليين ، مع أنهم يعظمون يوحنا المعمدان ، لكنهم لم ينسبوا له معجزة واحدة ، فلو كانوا مخترعين لنسبوا للمعمدان بعض المعجزات تعظيما لشهادته عن معلمهم .

(٤) كما أن الذى يريد أن يخدع غيره يجتهد فى أن يظهر بصورة التقوى الكاملة ، لا أن يذكر عيبا لنفسه . و لكن كتبة الأناجيل يتكلمون عن أنفسهم بدون إظهار قوة محبة الذات . و ذلك لا يقوى على إتيانه بَشَر حتى أن البسطاء يتكلمون بالمديح عن أنفسهم فى الغالب كلاما مكروها . و الذين يرون أن يتكلموا الحق عن أنفسهم إنما يرجون فائدة من الجهرية . و أما كتبة الأناجيل ، فلم يميلوا مطلقا إلى مدح أنفسهم ، و لم يكن لهم فى عدم الميل إلى ذلك أى ربح . و لكنهم يتكلمون عن أنفسهم و عن أصحابهم بتلك البساطة عينها التى يتكلمون بها عن غيرهم فيذكرون بكل صراحة ضعة حالهم و دناءة حرفهم و كثرة جهلهم و شدة إنحرافهم و تهالكهم على حب الرياسة . و يذكر متى عن نفسه أنه عشّار و هى أحط مهنة فى نظر اليهودى ، و مرقس يذكر عيوب بطرس و جحوده دون أن يذكر ما مدح به لأنه تلقى أخبار الإنجيل عنه . ثم يشير الإنجيليون إلى هروبهم وقت الصلب ، و كل ما بدا منهم من نقص فى مدة وجودهم مع المسيح على الأرض .

نعم ، لقد وجد بين رجال التقوى من أشهروا نقائصهم بحسن نية ، غير أن رواياتهم عن أنفسهم لا تكاد تخلو من الضعف البشرى . و بعض الملحدين أذاعوا أخبارا قبيحة عن أنفسهم ، منهم چان چاك روسّو الذى إدعى أنه إعترف للعالم بجميع ذنوبه فى كتاب نشره . و لكن هذا الرجل المغرم بالإثم قد تباهى بما يخجل حقا ، و قال أنه عازم على أن يقف لدى كرسى الدينونة فيسلم الديّان بيده كتاب إعترافه . ففى إعترافه هذا تلوح أعظم مظاهر الكبرياء لأنه لا يعترف بذنبه بخجل كأنه يحس بعظم ثقله على عاتقه ، بل أنه يشهره ليكتسب شهرة و مجدا بين الناس ، و ظاهر أن إعترافه كان لثقته بفساد الناس ، فانتظر منهم مديحا لأجل إقراره و ذما قليلا لأجل سوء عمله . و ما أعظم الفرق بين جلال إعتراف الإنجيليين المعترفين بخطئهم و اعتراف روسّو المفتخر بشرّه .

(٥) بل ما هى الفائدة التى تعود على كتبة الأناجيل من خداعهم للعالم؟ إنهم لو كانوا أرادوا الخداع ، لثبت بلا ريب أنهم أشرار . و لو ثبت أنهم أشرارا ، لكانوا يرومون من وراء الخداع فوائد خاصة تعود عليهم منه . و لكن أية فائدة كانت تعود على الرسل من إذاعتهم على العالم أخبارا يعتقدون أنها كاذبة ؟

معلوم أن المناداة بيسوع إلها فى عهد الرسل كان جزاؤها الموت المريع . و كل التلاميذ كانوا يعرفون نتيجة هذه المناداة الخطرة ، فإذن لو لم يكونوا يذيعون ألوهية المسيح عن إقتناع و قوة يقين ، لما عرّضوا أنفسهم لذلك الخطر . قال بسكال " إنى أصدّق بكل ارتياح ما يرويه شهود يثبتون أقوالهم بدمائهم " .

إن قبولهم الآلام برهان كافٍ على أنهم يرجون أن يربحوا من وراء دعوتهم خيرا ، ليس فى هذا العالم ، بل فى العالم الثانى . فلو كانوا غاشّين ، فيكون من أغرب الأمور أن قوما يبشّرون بكل رزانة بعقيدة و يتحملون لأجلها الآلام و هم يعتبرونها كاذبة . و لو صحّ هذا القول ، لصحّ أيضا أن نقول أن القاتل أو اللص يتحركان إلى إرتكاب ذنوبهما القبيحة رجاء ثواب الآخرة .

قد يقال إنهم طمعوا فى الشهرة من وراء خداعهم . فأى إشتهار يحق لهم أن ينتظروه من قولهم أن رجلا مصلوبا هو معلّمهم و أساس جميع رجائهم و ثقتهم ؟ إن الأمر كان بالعكس ، فإن هذا التعليم لا يجلب الإشتهار بل الخزى لأنه لم يوجد إسم مكروه و يُستهزأ به كالإسم المسيحى . فلُعنوا كأدنى أشرار وُجدوا منذ البدء و اضطُهدوا لأجل أنهم مسيحيون . فهل يدوم و الحالة هذه قوم على إذاعة الخديعة لأجل إشتهار أمر كهذا ؟

نعم ، لقد وجدوا بين البشر من إخترعوا قصصا ، مثل شكسبير

الشاعر الإنجليزى المشهور . و لكن لو قلنا أن متى مثلا الرجل الساذج البسيط قد إخترع قصة المسيح ، لكان هذا الرجل على ذكاء يفوق الذكاء الإنسانى حتى يتعذر على أعظم كتاب البشر الإتيان بمثله . و لو سلمنا بهذا ، كيف أمكن وجود أربعة رجال حائزين ذكاءا فائقا كالذى ذكر ، عائشين فى وقت واحد ممن حملتهم القريحة الوقّادة على إنشاء تآليف بمثل تلك الصفات نفسها من وجوه عقلية مختلفه .

فضلا عن أن هؤلاء الرجال كانوا خاملى الذكر و لا شهرة لهم ، فنجاحهم حال كونهم على غير حق يعتبر ضربا من المحال . بل إن القول أن قصة المسيح من إختراع أولئك الرجال الأربعة البسطاء . فلا ريب أن سيرة يسوع مأخوذة عن حياة حقيقية . و إذا كنا لا نقدر أن نعلل عن مجرد تصور صفات كهذه إلا بفرض وجود قريحة تفوق القرائح البشرية ، كيف نستطيع أن نعلل عن وجود هذه الحياة فعلا إلا بأن الإنسان الذى يحياها هو مسيح الله وفقا لما قال و علم !!

قال كرينجى سمسون " الإلهام الفنى أمر حسن . و لكن من العبث أن يزعم أحد أنه وصل درجة لم يسمع بها حتى يتفق أربعة رجال كتاب من اليهود فى القرن الأول أن يصوروا من مخيلاتهم خطوط الحياة الإنسانية الكاملة و ألوانها و أنوارها و ظلالها ، و لكن توصلوا بذلك إلى شئ واحد هو الحقيقة البسيطة ، وُضِعَ النموذج أمامهم فنسخوا صورته بأمانة ، و حيث أن النموذج كان بلا عيب ، خرجت الصورة طبق الأصل كاملة بلا عيب " .

قال بركير " من حاول أن يخلق نيتون آخر يلزمه أن يكون نيتون . فمن الذى استطاع أن يخلق يسوع . ليس يجدر بذلك إلا يسوع نفسه " .

و إذا سلّمنا جدلا بأن الرسل إخترعوا قصة يسوع ، فأمامنا المشكلات الآتية :

١) كان يلزم أن يجتمعوا معا و يرتبوا حوادث القصة بشكل لا يجعلها قابلة للطعن ، و ينشر كل واحد منهم قصته حتى تكون مطابقة من كل الوجوه للقصص الأخرى . غير أن ما فى إنشاء الإنجيل من ظاهر الإختلاف ، دليل على أن مؤلفيها لم يتواطأوا على الإبتداع .

٢) يلزم على خلوهم من كل عون بشرى ، أنهم أحرزوا الفوز الباهر فى إنهاء أمر الدين اليهودى المُتمكّن الأصول ، و منْ دك أركان العبادة الوثنية على ما بيدها من السلطان و كثرة المال . و جعلوا العالم يعفر الأرض تائبا لدى قدمى مجرم عُلّق على الصليب و حملوا الخلق على التمسك بدين يِعرض للعقل غوامض لا تُدرك و للإرادة مقاومة للشهوات .

٣) يلزم أن الدين الذى غيّر وجه العالم القديم و ملأ المعمورة معاهد تقوى و علم و أدب و غرس أجمل الفضائل فى حدائق النور و أنبت العلماء القديسين و لم يدع جرحا فى جسم الإنسانية إلا جاءه بعلاج - يلزم أن يكون ذلك الدين لا أساس له سوى وهم سقيم قام فى خلد صيادين من الجليل ، كما قال العلامة فافيه .

فإذا كانت جميع هذه الممتنعات وقعت ، فليس خادعا إلا الله .
قال ريشارسان ڤكتور " يا رب إن كنت أنا على ضلال فإنما خادعى أنت . لأن الدين المسيحى مُثبت بعلامات بيِّنة و عديدة لا يمكن حصولها من سواك ".

على أنه و الحق يقال إن كان القول بلاهوت المسيح ضلالا و خداعا مع نجاح تأثيره الغريب فى قلوب الناس ، فإن نجاح هذا الضلال أغرب من الحقيقة نفسها مع ما فيه من إهانة العقل و الحس و تحقير الطبيعة البشرية . هذا فضلا عن فقر الكارزين بالإنجيل و ضعة حالهم . إن الغنى و العلم يمكنهما أن يستخدما وسائل الإقناع بالضلال ، لكن الفقر و الجهل لا يمكنهما أن يؤيدا فكرا حتى إن كان صادقا إلا بقوة من السماء . و لم يكن فى قصد الرسل أن يخدعوا العالم لأنهم ليسوا مزوّدين بالوسائل التى تُغرى على قبول مذهبهم .

قال المسيو دى بروغلى [1] " إن حوادث الإنجيل لم تقع فى صحراء مجهولة و لا فى وسط همجى ، بل فى جماعة مستكملة الحضارة و فى أحصن مدينة من الإقليم الرومانى . و ترجمة يسوع المسيح لم تصل إلينا بطريق من فم إلى فم فتتلبس المبالغة و الغلو ، بل بأربعة روايات بسيطة الصور و التأليف ، مستكملة التوافق و ضبط الأخبار ، أنشأها شهود معاينون أو معاصرون بلغة كاملة الجلاء . على أن التوافق فى الشهادات القديمة و سرعة إنتشار الأناجيل و تشابه النصوص المنتشرة فى المعمورة ، و مطابقة الأخبار لعلم التاريخ العصرى و ما ضاهاها من البيّنات ، تجعل الروايات الإنجيلية فى المقام الرفيع بين آثار الأجيال الغابرة ، و تحقق الحوادث لا يقتضى غير هذه الأسس و لا إنتقاص النصوص غير هذه البيّنات . فنحن نعرف يسوع من تلميذيه يوحنا و متى ، و نعرف القديس بولس بواسطة القديس لوقا رفيقه فى الأسفار . فهل نعرف أخبار الإسكندر أو أوغسطس بغير أخبار حاشيتهما أو أصحابهما فى الحروب ؟ فلماذا نقبل مرويات التاريخ ولا نقبل مرويات الإنجيل " .

---

(١) من كتاب " الكنيسة و المملكة الرومانية فى القرن الرابع " .

و قال المسيو والون فى ختام [تأليفه فى التصديق الواجب للإنجيل] " لو ألتمس فى تحقيق الكتب القديمة و الحديثة ما يُلتمس فى تحقيق العهد الجديد ، لكان التاريخ لا يزال قيد البحث لما ينقصه من شهود لشهاداتهم كفاءة التحقيق ، و لكنا لا نبرح فى عصر الأديان الوثنية و خرافاتها " .

و قال السير وليم رمزى " إن الديانة المسيحية هى مسألة عملية للحياة و ليست مجرد معرفة عقلية ، و " البار بالإيمان يحيا " و مع ذلك فإنه من الأهمية بمكان البرهنة على حقيقة ظروفها : و هنا ينبغى للمرء أن يذكر أن المسيحية تنشأ على كذبة ، و أننا نستطيع بل و يجدر بنا أن نبرهن ذلك كما نؤمن به فإنه الأسباب التى نعرفها لأمر منشأها قابلة للفحص طبق مبادئ التاريخ المُسلّم بها ، كما قد تبرهنت حقيقة معظم هذه الأسباب بواسطة التقدم فى مسألة الإكتشافات الأثرية . و عدا ذلك فلا زال مجال العمل واسعا فإن البراهين ما تزال متوفرة إذا ما ثابرنا على الفحص و بحثنا عن هذه القرائن " .



الفصل الثالث

إنه لم يكن سهلا على الرسل أن يخدعوا العالم

+

و ذلك لأن الحوادث التى كتبوها شهدها معاصروهم معهم . فمتى كتب سنة ٣٧ ميلادية ، أى بعد صعود المسيح بأربع سنين ، ومرقس ولوقا كتبا نحو سنة ٦٢ م ، ويوحنا كتب سنة ١٠٠ م . فلو دونوا حوادث مخترعة لكذبهم الشهود . ولم يكتبوا هذه الحوادث إلا بعد أن بشروا بها علانية فى أورشليم حيث كان وقوع معظمها . و قد وقف بطرس فى وسط أورشليم يعلن قيامة المسيح و يقول « ونحن جميعا شهود لذلك » (أع ٢ : ٣٢) ولم يجسر أحد على تكذيبه . حتى أن اليهود الذين كانوا يبغضون المسيح حاولوا خنق دينه وهو فى المهد ، فأمروا الرسل أن لا يعودوا يتكلمون بإسمه فحبط مسعاهم . فكيف يستطيعون أن يبشروا بأخبار كاذبة فى نفس المدينة التى زعموا أن الأحداث وقعت فيها ؟ فلو كانوا يتحدثون بما لم يحصل ، لكان الناس واجهوهم حالا بالتكذيب وقالوا لهم : أنتم تخبروننا بما لم يقع . لا سيما وقد باشروا الكرازة بالإنجيل بعد خمسين يوما لقيامة المسيح ، وكان ذلك أولا فى أورشليم حسب قول سيدهم « وأن يكرز بإسمه .. مبتدأ من أورشليم » (لو ٢٤ : ٤٧) . فكيف يطلبون من الناس أن يصدقوا أخبارا كاذبة يقولون لهم أنها وقعت أمامهم وهى لم تقع ؟!

وفوق ذلك ، فإن كهنة اليهود وعظماءهم ، الذين صلبوا المسيح ، يمقتون نشر تلك الأخبار لأنها تصورهم بصورة شنيعة . أفما كانوا يبذلون كل الجهد لتكذيب الرسل لو كانوا كاذبين ؟ . بل إن الإنجيليين كثيرا ما كانوا يذكرون الأماكن التى تعلقت بحياة المسيح وعمل فيها أعماله ،

وذكروا أحيانا أسماء الذين شُفوا من أمراضهم . ومقر لعازر الذى أقامه من الموت ببيت عنيا كان قريبا من أورشليم ، فقد كان تكذيب قيامته من أسهل الأمور لو لم تكن صحيحة . كثير من حوادث المسيح جرت فى أورشليم ، وفى الهيكل ، والسيد قال حين محاكمته : « أنا كلمت العالم علانية . أنا علّمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم أتكلم بشئ » (يو ١٨ : ٢٠) .

وبما أنه قضى مدة فى اليهودية ، فلا يُعقل أن أهلها كانوا يجهلون حوادثه التى كان تشغل بال الجمهور . فلا يخفى أن الرسل ، لو كانوا كاذبين ، ما كانوا ينجحون فى ذلك الوسط لأن وجود جماعة من أشد أعدائهم يمنعون حالا كل سعى فى خداع الجمهور ، لو كان التبشير بالمسيح خداعا . نعم ، لو ادعى الرسل أن إنسانا فى زمان قديم أو بلاد بعيدة صنع معجزات مثل هذه ، لأمكن أن يقتنع بذلك بعض الناس . ولكنهم استشهدوا الذين وعظوهم على صحة أخبارهم . ومقاومة الرؤساء لم تمنع كثيرين من قبولها وقبول أنفسهم أتباعا لذاك الذى صلبوه حديثا .

فعدم مقاومة أحد للرسل ، وعدم قيام أعدائهم بتكذيبهم ، دليل واضح على صدقهم .



الباب الثانى

فى صحة نسبة الأناجيل لكاتبيها

(١)

إن أسلوب كتابة الأناجيل ولغتها، برهان خصوصى على حقيقة نسبتها . نعم إن ذلك لا يدل على أشخاص الكاتبين ، ولكن يدل على أنهم كانوا فى تلك الأحوال عينها التى كان فيها الذين نُسبت الكتب إليهم. فإن الكلمات فى أصل الإنجيل يونانية ، وأما أسلوب الكلام فهو عبرانى أو بالحرى مزيج من السريانية والكلدانية . وكانت هذه اللغة لغة بلاد اليهودية فى أيام المسيح ورسله خاصة ، ولا يخفى أن هذا مما لا يسهل تزويره لسبب غرابته ، فيكون ذلك برهانا على أن العهد الجديد كتبه أناس فى بلاد اليهودية ، وفى الزمان الذى كان فيه المسيح ورسله .

كما أنك ترى أن نسق أسلوب الكتابة فى الأناجيل ، ليس بنسق مؤلفين متضلعين فى العلم ، ولا بنسق الآباء المسيحيين القدماء ، بل هو نسق يونانى صادر من رجال عبرانيى الأصل لما فيه من الإصطلاحات العبرانية والسريانية . وهو نسق يوجد طبعا فى كتابات أناس استعملوا لغة كان يُتكلم بها حقيقة حيث عاشوا ، ولكنها لم تكن بلسان البلاد العام. والآباء المسيحيون القليلون الذين كانوا يعرفون اللغة العبرانية ، كيوستينوس الشهيد وأوريجانوس وأبيفانيوس ، كتبوا فى لغة غير مشابهة للغة العهد الجديد . وعلى كل حال ، فإن هذا البرهان يثبت أقدمية هذه الكتب ، وانتسابها إلى الرسل .

بل إن كل من يقرأ جغرافية الأناجيل للبلاد اليهودية وقت كتابتها ، يدهش حينما يعلم بأن ليس بها غلطة فى الجغرافيا، حتى قال أحد العلماء

" بأن وصف الرسل لبعض البلاد يوهمنا بأنهم كانوا قد قاموا برحلات خاصة لينطبق وصفهم على الحقيقة " .

هذا فضلا عن موافقة الحوادث التى فى الإنجيل للحوادث التاريخية العالمية ، بحيث لا توجد شبه حجة تقوم على أن الأناجيل كتبت فى عصر متأخر عن الرسل ، أو أن لها مؤلفين غيرهم ، بل كل ما لدينا يبدى أقدميتها وصحة نسبتها لمن نسبت إليهم ، بل هى تحضر لنا صورتهم ، وتشخص لنا هيئتهم الحية .

ولو كان فى نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها شئ من الزور أو التخمين ، لكانت نُسبت إلى من هم أشهر منهم وأرفع . فإننا لا نقرأ فى الكتب المقدسة عن متى ومرقس ولوقا شيئا يكسبهم الشهرة .

(١) فالأناجيل الثلاثة الأولى ، بما أنها ترقى إلى عهد اليهود السابق لخراب أورشليم ، تجئ بوصف هذه الجماعة المختلطة من اليهود والرومانيين والفريسيين والصدوقيين ، وصفا يدل على أن المُنشئ إنما يكتب لمعاصرين من أبناء بلدته يعرفون مثله ما يكتب عنه . أما إنجيل يوحنا ، فإنه كتب سنة ١٠٠ م ، فلم تجئ به نبوة خراب أورشليم ، لأنها كانت قد تمت . وذكر خبر إقامة لعازر لأنه كان قد مات ثانى مرة ، فلم يخش عليه بطش اليهود ، كما خشى الإنجيليون الثلاثة لو ذكروا خبر إقامته . ويجب ملاحظة أن الأسلوب البيانى ، الذى يبين الرسل أن المسيح تكلم به ، يدل على أنه كان يكلم الناس بالأمثال بسلطانٍ سامٍ متخذا من الزخرف الفلسطينى ألوانه ورسومه ، وليس هكذا تكلم الرسل الأولون ، مع أنهم كانوا يكرزون بالتعليم نفسه . فيلزم أن يُنسب أسلوب الأناجيل الفريد إلى عهد المسيح ، أى إلى ما قبل الكرازة الرسولية ، ويلزم أن يكون الذين نقلوه شهودا سامعين ، أو مترجمى شهود سامعين .

(٢) و فى نسبة كل من الأناجيل إلى صاحبه تناسب كامل . أما إنجيل متى ، فالتقليد ناطق أن كاتبه متى ، وأنه لليهود . ولذلك تجده مهتما بإثبات كون يسوع هو مسيًا الذى ينتظره اليهود دون غيرهم . ثم يطبق حوادثه على نبوات العهد القديم ، ويأتى باصطلاحات فلسطينية مثل « ملكوت السموات » التى يعبر بها اليهود عن ملكوت الله . ثم يشير إلى عادات اليهود معتبرا أن قرأءه يعرفونها ، ولا يذكر بعض تفاصيل يزيدها مرقس ولوقا فى إنجيليهما . ثم أن متى كان أحد سكان الجليل ، ولم يرافق المسيح إلا بعد حضوره إلى الجليل بوقت وجيز ، ولهذا لا يذكر إلا القليل جدا من تاريخ المسيح قبل تلك المدة .

(٣) كذا إنجيل مرقس ، فنسبته إليه لا شك فيها . فإنه كان مُعتبرا من بطرس إبنا له (١ بط ٥ : ١٣) . وبطرس بشّر بحياة المسيح من عماده إلى صعوده (أعمال ١ : ٢٢). لذلك ، لا نرى مرقس يروى حوادث طفولة يسوع . ولأنه كتب للوثنيين ، أثبت ألوهية يسوع بما يفهمونه ، ولا سيما بتعازيمه ، أى إخراجه الشياطين من بعض الناس ، لوقوع رهبة الأرواح فى قلوب الوثنيين .

ذكر متى مشاحنة الفريسيين لتلاميذ المسيح لأكلهم « بأيدٍ غير طاهرة » . وذكر مرقس أيضا نفس ذلك الأمر ، ولكن بهذه الزيادة : « لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون متمسكين بتقليد الشيوخ . ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون . وأشياء أخرى كثيرة تسلموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس و أسرة » . وإنما قد اكتفى متى بذلك ، لأنه لم يكن فقط يهوديا ، بل قد كتب أيضا كما هو جلى جدا إلى القراء اليهود . ولذلك ، لم يكن القراء الذين خاطبهم مفتقرين إلى الإيضاح المذكور ، ولو ذكره ، لكان ذكره ليس مما تقتضيه الحال . ولكن مرقس ، إذ كتب تاريخه للجميع ، ناسبه أن يزيد ذلك الإيضاح . (مر ٧:٣و٤) .

(٤) أما الإنجيـل الثالـث ، فيُستدل منه على أن مؤلفه هو لوقا الطبيب ، وتلميذ بولس الرسول . فيُؤخذ من أسلوبه على أن مؤلفه أديب يونانى، ثم أنه يورد أحيانا عبارات من اصطلاح أطباء اليونان ، والألفاظ الوصفية فى رسائل بولس ، هى هى فى إنجيل لوقا ، وأغراضها اللاهوتية واحدة ، أى « الإنجيل هو قوة الله تمنح الخلاص لكل من يؤمنون من اليهود أولا ثم من اليونانيين (الوثنيين) » .

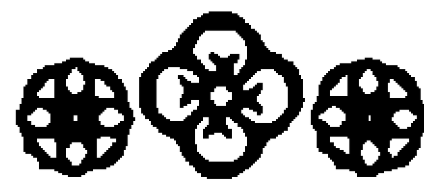
(٥) و الإنجيـل الرابع معزو إلى شـاهد عيـان لحياة يسـوع المسيح ، وهو « التلميذ الذى كان يسـوع يحبه » (يو ١٤ : ٣٥) أى يوحنـا بن زبدى . ولما كان يوحنا متأخوا فى كتابته عن باقى الإنجيليين ، وتتلمذ للمسيح قبلهم ، فقد ظهر ذلك فى إنجيله كما ذكرنا ، كما أنه كتب ما هو متروك فى الأناجيل الأخرى ، وتحرى بعض أمور خصوصية جليلة قبل ترك المسيح لليهودية وسفره إلى الجليل . ثم أن إنجيله يوضح أمانته فى ما كتب . من ذلك قوله : « قوموا ننطلق من ههنا » كما ورد فى (ص ١٤ : ٤١) لما كان يسوع يخاطب تلاميذه على العشاء ، ولا ينقطع حينئذ الحديث ، بل يذكر بقية خطابه ، فكان التلاميذ قد وقفوا ، ولكنهم انتظروا هنيهة ليكمل لهم خطابه . فأمور كهذه يأباها المزورون ، وما هى إلا وصف حقيقة .

أنظر أيضا (ص ٣:٢٣ و ٥:٢ و ١٨:١ و ١٢:٢١ و ١٨:١٠.)
ومن ذلك أيضا إشارته إلى حوادث لم يذكرها هو ، ولكن يفرض أن القارئ يعرفها جيدا ؛ كإلقاء يوحنا فى السجن (ص ٣ : ٢٤) ودهن مريم يسوع بالطيب (ص ١١ : ٢) مع أن يوحنا لم يكتبه إلا فى (ص ١٢:٣) أنظر أيضا (ص ١١:٤٥ ، ٤٦ و ٦:٦٧) ومنه سكوته عن كل ما يتعلق بشخصه هو ، وتركه دون غيره لقب يوحنا بن زكريا ، أى كلمة " معمدان " ، لأنه لا حاجة لتمييزه عن يوحنا الآخر الذى لم يشر إليه (أى نفسه) . ثم أن تفسيره للأمور المعلومة جيدا عند اليهود ، يدل على أنه كتب بشارته إلى الناس

خارج فلسطين، وهو نفسه يعرف اليهود والأفكار اليهودية ، ومعرفته الحقائق التى لم يذكرها غيره ، وذكره حقائق ظاهرها مضر بالإيمان الذى يروم تحقيقه . فهذه كلها تدل على صدق المؤرخ ، بل أن أحد ناكرى الوحى الإلهى يشهد لإنجيل يوحنا قائلا : " قد بلغ التلميذ الذى أحبه يسوع مرقاة رفيعة انتصب عليها فى الكنيسة الجامعة القديمة مثالا يضاد الحقائق السخيفة الناقصة . وليس هذا فقط ، بل فاق كل ما بلغته فرق النصرانية فى هذا العصر . ولا بد أن نعتبر الإنجيل الرابع فى العهد الجديد من أنضج ثمار روح يسوع وأجملها " .

فلهذا يلزم التسليم بأن الأناجيل كتبها الأشخاص المنسوبة إليهم ، وقد تُقُبِّلت كذلك منذ البدء ، وليس هناك ما يدعو إلى الإرتياب فيها . بل ليس أجدر من الرسل بكتابتها لإرشاد الكنيسة . وإن كانوا لم يكتبوها، فمن كتبها ؟ إننا لا نستطيع ، نحن المتأخرون عن عصر الرسل بعشرين قرنا ، أن نقيم أنفسنا حكاما على حقيقة نسبة الأناجيل لأصحابها. والكنيسة الأولى التى كان لها حق الحكم وحدها على تلك الأناجيل ، أصدرت حكمها بصحتها بقبولها لها وعدم ارتيابها فيها ، وتسلسلت إلينا شهادتها بدون انقطاع ، حتى أن مؤلفى الأمم الهراطقة يشهدون بصحة نسبة الأناجيل إلى الذين نُسبت إليهم .

بل إن الكتابات القديمة جميعها ليس لدينا دليل على صحة نسبتها لأصحابها إلا رأى المعاصرين لهم . ولو طُلب لتحقيق كتابات هوميروس ما طلب لإثبات صحة نسبة العهد الجديد لأصحابه ، لألغيت حالا كشئ لا صحة له . بل لا تقوم بينات على صحة نسبة كل كتب الشعراء اليونانيين واللاتينيين لأصحابها كما تقوم البينات على كتب متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، إذ ليس لنا فيها شهادة أفراد فقط ، بل شهادة جماعات أيضا مختلفة متفردة فى العالم ، ولنا أيضا براهين داخلية لا يمكن تزويرها .



الباب الثالث

فى المطابقات غير المقصودة بين الأناجيل وفى إخلاص كَتَبَتِها

(+)

إن كتبة الأناجيل متعددون ، أى أنها لم تكتب بقلم واحد، لاختلاف أسلوب الكتابة . ولكن الكتبة على اتفاق تام فيما بينهم فى كل الأمور الجوهرية . بل قد وجدت بينهم مطابقات غير مقصودة هى أكبر برهان على صدقهم ، فمن ذلك :

(١) الخبر الوارد فى (مت ٤ : ١٨-٢٢ و لو ٥ : ١-١١) عن دعوة تلاميذ المسيح وهم يصطادون السمك . فوجه المطابقة الموجود بين الإنجيليين ، هو أن متى ، وهو لم يذكر كلمة واحدة عن معجزة اصطياد السمك الكثير بواسطة المسيح ، ينص على أن المخلص وجد ابنى زبدى - عندما دعاهما - يصلحان شباكهما مع أبيهما ، غير مكترث ببيان السبب الذى أوجب إصلاحها . ولا نحن نخال وجود داع أيضا إلى السؤال عن ذلك . غير أننا لا يمكننا أن نتجاوز بدون ملاحظة مطابقته تماما لما ذكره لوقا فى طريق العرض عن تخرق الشباك فى تلك الصيدة العجيبة . وهذه المطابقة التى تظهر لنا زهيدة ، تؤيد صدق العجيبة ذاتها ، لأن إصلاح الشباك الذى يذكره متى ، يحتمل تخرقها الذى يذكره لوقا ، وتخرقها يحتمل صيد الأسماك الكبيرة ، وهى تحتمل العجيبة . ولا نعنى أن المطابقة تبرهن صحة العجيبة برهانا قاطعا ، بل صدق البشيرين لأنه يكون بالحقيقية ، وهما ليسا فى محلة الظن ، أن متى ذكر عمدا أمر إصلاح الشباك وأهمل ذكر العجيبة لكى يثبت صدق لوقا الذى ذكر العجيبة ، ونص على أن الشباك تخرقت بواسطتها .

(٢) قال متى فى (ص ٨ : ١٦) « ولما صار المســاء ، قدموا إليه مجانين كثيرين . فأخرج الأرواح بكلمة وجميع المرضى شفاهم » . ولعل أحدا يســأل لماذا تأخروا عن تقديم المرضى والمجانين إلى يسوع إلى أن صار المساء ولم يأتوا بهم فى النهار ؟ فنجيب أن مرقس ولوقا ، دون متى ، ينصان عـلى أن هذه الحـادثة قد جـرت فى يوم السبت (مر ١ : ٤١ و لو ٤ : ٣١) ومتى ينص فى مكان آخر ، لا علاقة له البتة بهذه الحادثة ، على أن اليهود اعتقدوا أنه لا يحل الإبراء فى السبوت (مت ١٢ : ١) . فمن ملاحظة هاتين الآيتين معا ، وكون اليوم يبتدئ عند اليهود من غروب الشمس ، يَبين سبب تأخرهم عن المجئ إلى يسوع لأجل الإبراء حتى جاز السبت أو إلى أن صار المساء .

(٣) يخبرنا مرقس عن المعجـزة الوحيـدة التى روتها البشـائر الأربـع ، أى إطعام الخمسة آلاف ، فيقول أنها حدثت فى موضع خلاء حيث ذهب يسوع ليستريح من ازدحام الجموع حوله ، ولم يُشِر إلى سر هذا الإزدحام . ولكن يوحنا ، الذى لم يقل عن ذهاب يسوع إلى الخلاء ولا عن الزحام حوله ، يخبرنا بأن فصح اليهود كان قريبا . ونحن نعلم أن جميع اليهود كانوا يأتون من كل مكان إلى أورشليم فى عيد الفصح . وهذا يبين لنا أيضا قول مرقس أن الجموع جلسوا على العشب الأخضر ، ولا يخضر العشب فى فلسطين إلا فى زمن الربيع فى وقت الفصح .

(٤) ما ورد فى (متى ٢٦ : ٦٧ و ٦٨) « وآخرون لطموه قائلين تنبـأ لنا أيها المســيح من ضربك » . فما معـنى أن يقال للمسيح " تنبأ لنا من ضربك " والضارب أمام عينيه ؟ . ولكن ما ورد فى (لوقا ٢٢ : ٦٤) يفسر ذلك ، إذ قيل أن الرجال الذين كانوا ضابطين يســوع ، ربطوا عينيه قبل سـؤالهم له أن يتنبـأ من ضربه ، أى أنهم

قصدوا اختبار رسالة يسوع الإلهية من امتحانه إن كان يقدر أن يقول من ضربه بدون أن يراه . فترك أمور كالتى أهملها متى ، يدل لا محالة على صدق الكاتب ، لأنه لم يكترث ببيان المبادئ التى بُنيت عليها نتائجه لتكون تلك النتائج قابلة للتصديق حالا .

(٥) ذكر متى (ص ٢٦ : ٦٥) أن التهمة التى وجهها اليهود للمسيح أمام مجمع اليهود الدينى هى أنه مجدف لأنه يدعو نفسه إبنا لله . وذكر لوقا (ص ٢٣ : ١ و ٢) أنهم اتهموه أمام بيلاطس أنه مثير فتنة ويمنع أن تعطى الجزية لقيصر . وهذا الفرق فى الشكوى بالنظر إلى جنس القضاة وصفاتهم ، لم ينبهنا إليه البشيرون كأنهم مجتهدون فى تقريره لأجل إثبات صدق قولهم بإظهار ما هم عليه من التحرى والتدقيق ، أو بالحرى أوردوه كأنه على سبيل الإتفاق ، وأمر غير مهم يمكن للقارئ أن يتغاضى عنه بسهولة ، وكثيرون من قراء الإنجيل لا يميزونه .

(٦) قيل فى متى (ص ٢٦ : ٧١) « ثم إذ خرج [بطرس] من الدهليز رأته [جارية] أخرى فقالت للذين كانوا هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى » . فكيف استطاعت الجارية أن تميزه وقد كان الوقت ظلاما؟ . هذا يفسره لنا يوحنا (ص ١٨ : ١٦) بقوله : « و أما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجا فخرج التلميذ الآخر [يوحنا] الذى كان معروفا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس » . وهذا يدل على سبب معرفة تلك الجارية لبطرس ، وهو برهان على صدق قول متى ، ولولا ما بيّنه يوحنا ، ما قدرنا أن نفهم أن متى كان صادقا .

(٧) إن البشيرين الآخرين ينصون على أن بطرس قطع أذن عبد رئيس الكهنة بسيفه ، ولكن يوحنا يذكر إسم ذلك العبد ، وهذا يفسر قوله عن نفسه :« وكان هذا التلميذ معروفا عند رئيس الكهنة » .

(يو ١٨ : ١٠ و ١٥) . كذلك لما قال عبد لبطرس أنه من تلاميذ يسوع ، أضاف يوحنا وقال عن ذلك العبد : « وهو نسيب العبد الذى قطع بطرس أذنه » .

(٨) قال المسيح فى (يو ١٨ : ٣٦) مجاوبا بيلاطس : « مملكتى ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون » . والجمهور صمت أمام هذا القول ، ولم يذكروا للمسيح أن واحدا من تلاميذه جاهد عنه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . وهنا يقع القارئ فى حيرة ، إذ كيف يترك الجمهور الذى كان يحاول أن يتهم المسيح بكل تهمة عن رد قوله هذا ؟ . ولو لم يصل إلينا إنجيل لوقا ، لبقيت هذه الحيرة . ولكن ذلك الإنجيل يقول فى (ص ٢٣ : ٥١) أنه لم ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة وقطع أذنه ، قال يسوع : « دعوا إلىّ هذا ولمس أذنه وأبرأها » فهذا هو السبب الذى جعل الجمهور لا يتقدم باتهام المسيح بأن خدامه يجاهدون عنه تكذيبا لقوله المشار إليه . ولو أشاروا إلى ذلك ، لظهرت قوة المسيح أمام بيلاطس فى إبراء أذن العبد .

(٩) و لنأخذ فى بيان المطابقة غير المقصودة التى جاءت بين الإنجيليين فى حادثة قيامة المسيح :

أ) يذكر يوحنا أن مريم المجدلية جاءت إلى القبر ثم قالت للتلاميذ : « ولسنا نعلم أين وضعوه » ، ولم يوضح إلى من تشير بضمير الجمع فى « ولسنا نعلم » ، ولكن الإنجيليين الآخرين يقولون أن مريم جاءت إلى القبر ومعها نسوة غيرها . ولما انفردت فيما بعد قالت : « لست أعلم » (مت ٢١:١٦ ومر ٣١:٩ ولو ٣٣:١٨ ويو ١٩:٢٠-٢١) .

ب) ثم يقول لنا أن بطرس ذهب إلى القبر راكضا لدى سماعه رسالة

الملاك بدون أن يذكر السبب . ولكن مرقس الذى لم يشر إلى ذهاب بطرس للقبر ، قال إن الرسالة كانت لبطرس خاصة . ويوحنا يخبرنا أن مريم أخبرته هو بنوع خاص . ولوقا يقول : « ومضى قوم من الذين معنا » يدل على أن بعضهم رافقوا بطرس للقبر كما قال يوحنا (يو ٢٠:٢ و ١٣) ويقول لوقا أن بطرس لما رأى الأكفان وحدها مضى متعجبا ، ويوحنا يفصح عن هذا التعجب ، وهو عدم وجود الأكفان ، بكيفية يفهم منها أن الميت قام وحده دون أن يؤخذ أخذا (لو ٢٤ : ١٢ ويو ٢٠ : ٦ - ٨) .

ح) و يذكر متى بأن المسيح ظهر لمريم المجدلية و مريم الأخرى معها وعرفتاه حالا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له ، ولم يبين أنهما اندهشتا لرؤياه أول مرة عند القبر . ولكن يوحنا يبين لنا أن مريم المجدلية كانت قد رأته قبلا وحدها حيث انتهرها لمحاولتها التشبث به بغير احترام كمعلم بشرى كسابق عهدها . ويقول مرقس أن هذه أول مرة لظهوره . وهذا يبين سبب عدم اندهاش المرأتين لدى رؤياه ثانية .

د) ويقول لوقا أن المسيح لما ظهر لتلاميذه مساء يوم قيامته ، ظنوه روحا ولم يبين سبب ذلك . ولكن يوحنا يقول : « وكانت الأبواب مغلقة » فيبين العلة . ثم أن يوحنا يقول " أن المسيح أراهم يديه وجنبه " بدون أن يقول لأى سبب . ولكن لوقا يعلل ذلك بقوله « ظنوه روحا » .

هـ) ثم أن لوقا يقول أن الرسل ظلوا محاطين بالشك لخطورة الأمر ، فقال لهم يسوع أن يعطوه شيئا ليأكل ، فأعطوه سمكا مشويا ، ولم يبين من أين جاء السمك . ولكن مرقس ، مع أنه لم يذكر الطلب ، يقول أنهم كانوا يأكلون . وهذا أيضا يفسر قصة يوحنا

عن قوله أن المسيح قال لهم ثانية أى المرة الثانية (سلام لكم) مما يدل على أنه حصل شئ قبل ذلك .

و) ذكر مرقس أن المسيح أمر تلاميذه أن يكرزوا بالإنجيل فى العالم كله ، ثم قال لهم « من آمن واعتمد خلص » بدون أن يشير إلى الأمر الذى جاء به متى الذى لم يذكر عبارة مرقس أنه قال لهم (وعمدوهم) .

(١٠) يتضح من مقابلة الأناجيل الثلاثة الأولى بإنجيل يوحنا الذى كتب بعدها ، مطابقات غير مقصودة تدلنا على حقيقة ما نحن بصدده :

أ) يوجد مشابهة بين تاريخ المسيح فى إقامة ولد فى وسط تلاميذه كما يخبر بذلك أول الإنجيليين الثلاثة ، وتاريخه فى غسل أرجل تلاميذه كما يخبر يوحنا بذلك ، وتلك المشابهة لا توجد فى الروايتين فقط ، بل هى قائمة أيضا بهاتين المادتين :

١- أن كلتا الروايتين تدلان على المنافسة التى كانت بين تلاميذ المسيح واعتنائه بإصلاحها . ألا ترى أن مغزى كلتا الروايتين واحد .

٢- أن كلتا الروايتين مثال على التعليم بالفعل ، وهى كيفية تهذيب تمثيلى قد خصها ونسبها إلى مخلّصنا الإنجيليون الثلاثة الأولون ويوحنا أيضا .

ب) والكنية (إبن الإنسان) إستعملها المسيح لذاته كما يخبر كل الإنجيليين بذلك ، ولكن لم يستعملها له أو نحوه شخص آخر . وقد وردت سبعين مرة فى إنجيل متى ، وعشرين مرة فى إنجيل مرقس ، وواحد وعشرين مرة فى لوقا ، وأحد عشر مرة فى يوحنا ، وكل ذلك بهذا التحديد .

حـ) وكل مؤرخى سيرة المسيح المختلفين ، يتفقون على اعتزاله عن الجمهور كلما لاح منهم روح إلى التجسس . (أنظر مت ١٤:٢٢ ولو ٥:١٥و١٦ مقابلة مع يو ٥:١٣ و ٦:١٥) .

د) و الشئ الآخر الذى نراه فى حقيقة المسيح الدينية ، هو التحفظ الذى استعمله ، و لو فى بعض الأحيان ، فى تصريحه بصفته « حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد أنه هو المسيح » (مت ١٦ :. ٢ أنظر أيضا مر ٣:٢ مقابلة مع يو .١:٢٤و٢٥).

هـ) ومما يجدر ملاحظته ، الصعوبة التى وجدها التلاميذ فى فهم كلام يسوع وهو يخاطبهم عن مستقبل قسم من تاريخه ، ولا سيما ما يتعلق بآلامه وقيامته « وأما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مخفيا عنهم لكى لا يفهموه » (لو ٩ : ٤٥) ، « بعد قليل لا تبصروننى. ثم بعد قليل أيضا تروننى لأنى ذاهب إلى الآب . فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض ما هو الذى يقوله لنا .. لسنا نعلم بماذا يتكلم » (يو ١٦ : ١٦) إلخ .

و) و وداعة المسيح حين آلامه الأخيرة المبينة فى تواريخ الإنجيليين الثلاثة الأولين مذكورة فى إنجيل يوحنا أمثلة متفرقة (أنظر ص ١٨ : ٢٣ ، ٢٤ و ٢٣ : ٢٨ و ١٩ : ٢) .

ز) إن الإنجيليين الثلاثة الأولين فى ذكرهم اكتئاب مخلصنا فى البستان ، يقولون أنه كان يصلى " لتعبر عنه هذه الكأس " ، وأما يوحنا ، فلا يذكر ما جرى فى البستان ، بل يورد جواب المسيح لبطرس منعا للمقاومة التى حصلت منه حين ألقى القبض عليه وهو : « إجعل سيفك فى الغمد . الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها » فهذا مع وروده على سبيل الإتفاق بينة على الموافقة الكائنة فى تقاريره .

ح) متى و مرقس يقولان أن الذنب الذى حكم به على ربنا هو التهديد بخراب الهيكل ، ولكن ليس أحد منهما يخبرنا علام بنى هذا الإفتراء . وأما يوحنا ، فيورد لنا هذا النبأ (يو ٢:١٩) .

ط) والشاهد الأقوى والأعم على الإتفاق هو ما يأتى :
الإنجيليون الثلاثة الأولون أخبروا عن اختيار الإثنى عشر رسولا وقدموا جدولا بأسمائهم ، ولكن يوحنا خلو من ذكر الإنتخاب . وتقديم الجدول يبين فى كل تاريخه كون المسيح كان مصاحَبا من جماعة منتخبة من التلاميذ وعددهم إثنا عشر ، وكل من ذكر فى ذلك العدد مدرج فى جدول الإنجيليين الآخرين . وكل هذا يدل على الصحة .

ومن الأمثلة التى توضح إخلاص الرسل ، والتى لا يوجد نظيرها فى كتاب أى كاتب بذل قصارى جهده فى الإتيان على القصة بكيفية لا يُعترض عليها :

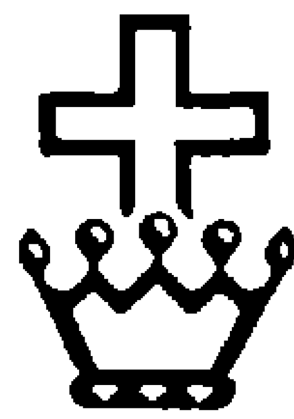
(١) نبأ قيامة المسيح ، ويسبق إلى العقل أنه لو قال هؤلاء الإنجيليون أن يسوع بعد قيامته ظهر لأعدائه كما ظهر لأصحابه ، لكان تاريخ قيامته أوقع وأفعل فى الملأ . ولكنهم حددوا عدد ظهورات المسيح بعد قيامته لتلاميذه . فلو لم يكونوا أمناء ، لتحاشوا هذا التحديد ليتركوا القارئ فى حيرة ليعرف إن كان قد ظهر لغيرهم أو لم يظهر، ولكنهم بتّوا فى الأمر غير مبالين بما يتبع ذلك من الإعتراض .

(٢) لو كان قصد الكتاب التمويه ، لما كتبوا هذه العبارة : « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه » (يو ٦ : ٦٦) ، أو هذه : « ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم إيمانهم » (مت ١٣ : ٥٨) .

(٣) ومن المحال أن تخطر الآيات الآتية على بال مختلق أو مصنف حكايات « فأجاب يسوع وقال لهم الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ولا تشكّون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضا لهذا الجبل انتقل وانطـرح فى البحر فيكون » (مت ٢١ : ٢١) ، وكذا قوله « لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى إبن الإنسان » (مت ١٠. :٢٣) وأن بعض سامعيه لا يذوقون الموت حتى انقضاء العالم كما فهمه بعضهم (مت ١٦ : ٢٨) و « كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (مت ٢١ : ٢٢) . فلو لم يكن المسيح قد نطق بهذه الكلمات حقيقة ، لكان من المحال أن تنسب إليه زورا . و لا شك فى أن فى ظاهر تركيب هذه الكلمات صعوبة لا يجلبها كاتب ما على نفسه تعمدا .

(٤) وجواب ربنـا المختصر بعد قيامته لمريم لمجدلية (يو ٢٠. :١٧) « لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى » بنى على الإشارة إلى كلام سابق نفتقر إليه ، ولهذا السبب معناه المخفى عنا . بيْد أن هذا الإتهام نفسه برهان على صحة هذه الكتب إذ ليس من أحد يختلق جوابا كهذا .

(٥) إن كثيرا من الأمور المُخبَر بها فى العهد الجديد طبيعية المجرى تماما ، فيظهر من (مت ٢١ : ٢٩) رغبة الشعب الشديدة فى إدخال المسيح إلى أورشليم ، ثم طلبهم بعدئذ بوقت وجيز أن يُصلب حين لم يروه كما توقعوا أن يكون . فتغيُّر الأخلاق بهذه الصفة من المحبة العمومية إلى العداوة ، ليس فيه اعتراض ، بل هو مطابق تمام المطابقة للطبيعة والإختبار كمد الأمواج وجزرها .



الباب الرابع

شهادات تاريخية

<+>

الفصل الأول

شهادة الآباء فى القرن الأول

+

(١) فبرنابا الرسول (أع ٤:٢٦) تنسب إليه رسالة [سنة ..١-١٢٥م] . والأصح فى سنة ٧٥م [وهى غير الإنجيل المنسوب له زورا] . وفى رسالته فصل ٤ يقول : « لنحاذر لئلا ينطبق علينا القول المكتوب » (إن كثيرين يدعون وقليلون ينتخبون) . ورسالة برنابا هذه ، إقتبس منها أ كليمندس الإسكندرى سنة ١٩٤م ، وأوريجانوس سنة ٢٣٠م ، وذكرها أوسابيوس سنة ٣١٥م ، وأيرونيموس سنة ٣٩٢م . فمن قوله « كما هو مكتوب » ، وتلك طريقة اليهود فى اقتباسهم من الكتب المقدسة ، نستنتج عن يقين أنه كان فى عصر مؤلف هذه الرسالة كتاب يحتوى على هذه الكلمات ، وذاك الكتاب هو إنجيل متى الذى عندنا الآن ، إذ توجد فيه هذه الآية مرتين (مت ٢٠:١٦ و ٢٢:١٤) ، ولا توجد فى كتاب آخر معروف الآن .

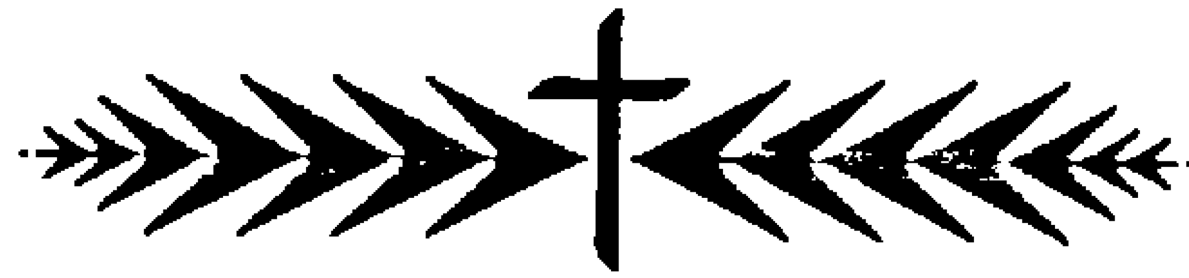
(٢) ثم أن كتاب التعاليم المنسوب للرسل يقال فيه «وكلمهم بهذه الأشياء» (عمّدوا باسم الآب والإبن والروح القدس فى الماء الحى) .

(٣) وأكليمندس من رومية أحد معاصرى الرسل (فى ٤ : ٣) الذى ولد بين سنة ٣٠ و ٤٠م وتوفى سنة ١٠٠م ، وفى حياته كُتبت كل أسفار العهد الجديد ، يكتب فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس ، مقتبسا من بشائر متى و مرقس و لوقا [لأن يوحنا كتب إنجيله متأخرا] ويقول فيها : تذكروا كلمات ربنا يسوع المسيح كيف قال : « ويل لذلك الإنسان . خير له لو لم يولد من أن يبقى حجر عثرة فى سبيل مختارى . نعم خير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح فى البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار » .

(٤) وأغناطيوس أسقف أنطاكية الذى أخذ مقيدا إلى رومية ، وهناك طُرح فريسة للوحوش الضارية قبل سنة ١١٥م ، يقتبس من بشارة متى ، ويذكر كلاما يظهر منه جليا أنه يشير إلى بعض ما ورد فى بشارة يوحنا . ومن ذاك قوله : « لأنى أعرف أنه كان أيضا بالجسد بعد قيامته وأؤمن بأنه هكذا للآن لأنه عندما جاء إلى الذين كانوا مع بطرس قال لهم : أمسكونى وجسونى رانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى » .

(٥) و بوليكاربوس أسقف أزمير ، أحد تلاميذ يوحنا الرسول ، إستُشهد وهو هَرِم سنة ١٥٥م ؛ فى رسالته إلى مؤمنى فيلبى ، التى يرجع أن تاريخها نحو سنة ١١٦م ، إستَشهد بالأناجيل وبرسالة يوحنا الأولى ، ويقتبس من بشارة متى بقوله : « أذكروا تعاليم الرب التى نطق بها . لا تدينوا لكى لا تدانوا . إغفروا يُغفر لكم . إرحموا تُرحموا . بنفس الكيل الذى تكيلون يكال لكم . طوبى للمساكين والمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » . ثم يدعو الأناجيل " الأسفار المقدسة " و " كلام الرب " .

و قد يعترض البعض بأن هؤلاء الرجال الرسوليين ، لو كانوا يعرفون البشائر ، لاستشهدوا بها كثيرا . ولكن فات المعترض أن كتاباتهم كانت مختصرة . ومع أن اقتباسا واحد يدل على صحة الكتاب المُستشهد به ، فكتابات الآباء فى العصر الأول ليس فيها ما يكذب الأناجيل ، بل ما يؤيدها كما تقدم . وهذا عين الواقع فى المؤلفات العلمية ، فقبل مرور مائة سنة على كتابات هيرودتس المؤرخ ، لم يُستشهد به إلا مرة واحدة . أما مؤلفات توميديوس ، فلم يؤخذ منها شئ .



الفصل الثانى

شهادات الآباء فى القرن العشرين

+

(١) أريستيديس : وكان فيلسوفا فى أثينا ، وأهدى كتبا إلى الإمبراطور الرومانى أدريانوس فى سنة ١٢٥م عثر عليه الباحثون سنة ١٨١٩م، ولم يقتبس فى هذا الكتاب شيئا من الإنجيل ، ولكنه لخص فيه كل التعاليم المسيحية ، ومنها لاهوت المسيح وتجسده وولادته من العذراء وقيامته وصعوده ، وقال عنها أنها واردة فى الإنجيل الذى يستطيع كل قارئ أن يطلع عليه . وهذا يبين لنا أن إحدى تراجم حياة المسيح كانت فى عالم الوجود وقتئذ ، وجاءت بها هذه التعاليم .

(٢) وبابياس : من هيرابوليس فى فريجية سنة ١٢٠ - ١٤٠م ، تلميذ الرسل أو الرسوليين ، وصديق بوليكاربوس ، إعتنى أن يجمع من الشيوخ فى أيامه ما سمعوه من الرسل من أقوال المسيح ، وكتب ذلك فى خمسة مجلدات دعاها " أقوال الرب " الذى اقتبس أوسابيوس كثيرا منه . وفى بعض تلك الإقتباسات ، يقول بابياس أن متى كتب فى اللغة العبرانية ، وقد ترجمه كثيرون كل بحسب استطاعته ، وقال أن الشيخ (الرسول) يوحنا كان يقول (إن مرقس رفيق بطرس وكاتبه ، كتب بالتدقيق ما قصه بطرس عليه من أقوال وأعمال المسيح متجنبا غاية مايكون التغيير والتحريف ، مع أنه لم يتّبع فى كتابته ترتيب الحوادث بحسب زمانها . . ومع أن أوسابيوس لا يقول أن بابياس يذكر شيئا عن رسالة يوحنا ، ولكنه يخبرنا أنه اقتبس آيات من رسالته الأولى . وشدة تقارب هذين السفرين فى الموضوع والإنشاء والأسلوب ، يدل جليا على أنهما كتابة شخص واحد ، وما

يثبت صحة أحدهما يثبت صحة الآخر أيضا . على أنه يوجد دليل على أن بابياس يشهد لبشارة يوحنا أيضا ، فإنه يقول فى مقدمة نسخة قديمة للبشائر موجودة فى مكتبة الفاتيكان ، أن بشارة يوحنا ألّفها يوحنا وسلّمها للكنائس ، فانتشرت بينها مدة حياته كما يذكر ذلك بابياس الملقّب هيروبوليتان تلميذ يوحنا الحبيب فى مجلداته الخمسة التى هى آخر تآليفه . وقد أخبرنا بابياس نفسه عن مصادر معلوماته بقوله : " كنت إذا جاءنى أحد ممن حضروا وعاصروا الرسل الأولين ، أسأله عما قال أندراوس أو بطرس ، أو ما قال فيلبس أو لوقا أو يعقوب أو يوحنا و متى وغيرهم من تلاميذ الرب ، وأيضا كنت أسأله عما يقول أرستيون عن الشيخ يوحنا تلميذ الرب ، لأنى كنت أظن أن المعلومات التى أسمعها من أفواه الأحياء السامعين .

وقد أثرت شهادة بابياس فى كثيرين من العلماء ؛ منهم الملحد هرناك الذى قال عن إنجيل مرقس : " لن يشكك أحد فى أن إنجيل مرقس الذى نتداوله هو هو الذى يعزوه التقليد بصوت بابياس إلى مرقس كاتب أسرار بطرس " .

(٣) شهادة ترتوليانوس: دعا الإنجيل كله " العهد الجديد "، ودعا القسمين " الأناجيل والرسائل " . وملأ هذا الكاتب الكنسى المعروف مؤلفات بألف شاهد من أقوال وروايات مقتبسة من الأناجيل باعتبار أنها مصادر معروفة جيدا أن أحد العلماء [روس الألمانى] ألّف كتابا سمّاه " العهد الجديد فى أعمال ترتوليانوس " لكثرة ما استشهد به فى كتابه ضد مركيانوس (نحو سنة ٢٠٠م) قال أن الكنيسة لا تعترف إلا بأربعة أناجيل ؛ إثنان كتبهما إثنان من الرسل ، وهما متى ويوحنا ، واثنان من الرسوليين وهما لوقا ومرقس . وهى مستعملة فى الكنيسة من عصر الرسل .

وقال فى موضوع آخر من الكتاب المذكور : " إن السلطة التى

تثبت حقيقة لوقا [الذى كان يقبله مركيانوس] هى ذاتها تثبت حقيقة أسفار يوحنا ومتى ومرقس ، وإن عزى السفر الأخير إلى بطرس ، لأن مرقس كان ترجمانا له . كما يعزى إنجيل لوقا إلى بولس " . وقال : " أنا أدعى أن إنجيلى هو الحقيقى ، ومركيانوس يدعى مدعاه فى إنجيله . أنا أعتبر إنجيله مزورا وهو يعزو إنجيلى إلى التزوير . فمن يحكم بيننا إلا شهادة الزمان والتاريخ - فذاك هو الحقيقى ما كان الأكثر قدما . وذاك الأكثر قدما الذى كان فى بدء البشارة ، وذاك كان بدء البشارة الذى كتبه الرسل أنفسهم ، فتعتبره الكنائس الرسولية سفرا مقدسا تجله ، لا الكنائس الرسولية فقط، لكن كنائس العالم بأسره المتحدة بشركة سر الإيمان . أما سفر مركيانوس ، فإما مجهول وإما محروم لأنه هو ألفه أو واحد من ذويه . النحل تصنع أقراص العسل والطنابير تتقلدها " .

(٤) شهادة أكليمندس الإسكندرى : وإذا كان ترتوليانوس قد أتانا بشهادة [قرطجنة] ، فقد جاءنا أكليمندس الإسكندرى بشهادة مصر نحو سنة ١٩٥م ، فشهد بأنهم هناك ما كانوا يعترفون إلا بأربعة أناجيل متواترة بالتقليد ، ثم ذكر أسماء كتبتها ، واجتهد فى تعيين الوقت الذى فيه كتب كل منهم ودعّم قوله بشهادة (أكبر القسوس الأحياء سنا) وهذا الأمر يجعل شهادته أقدم الشهادات عهدا ، وإليك نذرا من أقواله : " يقول المتقدمون فى السن أن أقدم الأناجيل عهدا هما الإنجيلان المشتملان على سلسلة نسب يسوع . أما إنجيل مرقس ، فسبب تأليفه هو أنه لما كرز بطرس فى رومية وأذاع البشارة بإلهام الروح القدس ، أشار كثيرون من السامعين على مرقس ، وكان مصاحبا له من زمان طويل واستظهر ما قاله الرسول ، أن يدوّن ما سمعه . فألّف مرقس إنجيله وعلم بطرس بذلك فلم يعترض عليه قط . أما يوحنا ، فلما رأى أن الإنجيليين الآخرين نشروا تاريخ حياة المسيح الجسدية بناء على طلب رفقائه وبوحى الروح القدس ، كتب هو الإنجيل الروحى . وعلاوة على هذا ، كان أكليمندس

الإسكندرى يروى فقرات كثيرة من الأناجيل الأربعة التى بين أيدينا اليوم .

(٥) قائمة موراتورى : هذه الوثيقة أقدم الوثائق الآنف ذكرها عهدا ، ونحن نرجع تاريخها إلى سنة ١٨٥م ، وإن كان يمكن أن ترجع إلى سنة ١٧٠م ، لأنه جاء بها إسم بيوس أسقف رومية الذى توفى سنة ١٦٥م ، وهى قائمة رسمية بكتب العهد الجديد التى كانت تقرأ فى الكنائس فى الربع الأخير من القرن الثانى، ودُعِيت (قائمة موراتورى) نسبة إلى العالم موراتورى (من سنة ١٦٧٠-١٧٥٠م) التى عثر عليها فى الكتب الإمبراطورية فى ميلانو سنة ١٧٤٠م .

نعم أن الإنجيليْن الأوليْن لم يذكرا فيها، ولكن الجميع يسلمون بأنهما كانا مذكورين بدليل قرينة الكلام ، وهذا ما جاء فيها عن الإنجيليْن الثالث و الرابع . (وتأليف الإنجيل الذى كتبه لوقا ، وكان لوقا طبيبا صحب بولس فى أسفاره بعد صعود المسيح إلى السماء ، وكتب بإسمه ، هو قصته ، وإن كان هو نفسه لم ير السيد فى الجسد) .

و أما إنجيل يوحنا ، أحد التلاميذ، فإنه لما أشار عليه التلاميذ والأساقفة بكتابة الإنجيل ، قال لهم : " فلنصم معا ثلاثة أيام ، ثم ليطلع بعضنا على ما يوحَى به إلى كل منا " . وفى الليلة عينها ، أوحِيَ إلى أندراوس أن يوحنا ينبغى أن يكتب بإسمه الخاص قصته برضى الجميع .

(٦) ثوفيلس ، الذى صار أسقفا فى أنطاكية نحو سنة ١٦٩م : ألَفَ شرحا على البشائر الأربع .

(٧) والفليسوف أثيناغورس سنة ١٧٠ - ١٨٠ م : أخذ يكتب كتابا ضد

الديانة المسيحية ، و فى أثناء الفحص و البحث ، إقتنع بصحتها فاعتنقها . ثم ألف كتابا فى صدقها ، وفيه يذكر البشائر الأربع . ثم دافع عن الدين المسيحى أمام القيصر الرومانى مرقس أوريليوس ، ونقل فى دفاعه نصا من إنجيل يوحنا .

(٨) وأبوليناريوس نحو سنة ١٦٥م ، الذى كان كما قال أوسابيوس متفقها فى جميع المعارف الدينية و العلمية : يذكر بشارتى متى ويوحنا .

(٩) والرقع الباقية من كتابات ميليتو من ساردس سنة ١٥٧ - ١٨٠م ، ومن كتابات بوليقرانس من أفسس : تشير على سبيل العرض إلى بشارة يوحنا .

(١٠) والمؤرخ أوسابيوس يقول أن بنتينوس سنة ١٧٥ - ١٩٠ م وجد بشارة متى مستعملة فى الهند ، وأن الرسول برثولماوس أخذها إلى هناك .

(١١) وبقايا كتابات هجيسبوس سنة ١٥٧ - ١٨٠م : فيها بعض أقوال متى ولوقا .

(١٢) و فى الرسالة إلى كنيستى ليون وفينا سنة ١٧٧م : إقتباس من من لوقا ومن بشارة يوحنا ورسالته الأولى .

(١٣) وفى الرسالة إلى ديوغناتوس التى يحسب تاريخها غالبا سنة ١٥٠م إقتباس من متى ومن يوحنا .

(١٤) ويوستينوس الفليسوف الشهيد الذى ولد فى نيكوبوليس سنة ١٠٣ واستشهد فى رومية نحو ١٤٨ أو ربما نحو ١٦٦م : يقتبس فى كتاباته الكثيرة إقتباسات هذا عددها حتى جمع منها ملخص البشائر .

ولم يكن يوستينوس من عامة الناس ، بل كان فيلسوفا متنصرا ، ولم يعتنق المسيحية إلا بعد البحث الدقيق . وأشار إلى البشائر باعتبارها أنها " مذكرات الرسل " وقال أنها كانت تُقرأ فى الكنائس ، وشهد أنها كُتبت بمعرفة الرسل و أبنائهم . ولا غرابة فى عدم ذكر أسماء البشائر لأنه كان يكتب لغير المؤمنين ، فهو مثل ترتوليانوس الذى لم يذكرها فى كتاباته للوثنيين ولكنه ذكرها فى كتاباته للمؤمنين .

إستشهد يوستينوس بستين شاهدا ، ولم يقتبس الشواهد حرفيا من متى ومرقس ولوقا ، بل اعتمد على ذاكرته لصعوبة الكشف على أصول الشواهد فى الكتب المخطوطة ، وهكذا كان شأنه فيما اقتبسه من العهد القديم ، فلم يقتبسه حرفيا كذلك ، وقد اقتبس من سفر أشعياء ٥٣ شاهدا منها ١٢ فيها اختلاف بسيط وفى ١٦ منها اختلاف كبير . أما اقتباسه من إنجيل يوحنا فكان أوضح نظرا لتعاليمه الممتازة ، فقد جاء فى أحد مؤلفاته : " قال المسيح : إن كنت لا تولد من فوق لا تقدر أن ترى ملكوت الله . ولكن كيف يمكن ذلك للذين وُلدوا مرة ؟ ألعلهم يدخلون بطون أمهاتهم ثانية ويولدون ؟ " .

وأيضا قال يوحنا المعمدان : « أنا لست المسيح بل أنا صوت صارخ لأن الذى يأتى بعدى أقوى منى الذى لست مستحقا أن أحل سيور حذائه » وهذه النصوص توافق تقريبا (يو ٣ : ٣-٥ و ١ : ٢٠-٢٧) .

و أيضا التعاليم التى علّم بها يوستينوس ؛ كأزلية المسيح ولاهوته وسر المعمودية وأخرى غيرها تطابق تماما ما جاء فى البشارة الرابعة دون سواها . فقال مثلا : " القوة الأولى الله الآب رب الكل هى الكلمة وهو الإبن ، وسنحكى كيف اتخذ الله الناسوت

وصار إنسانا " . وقال أيضا : " كلمة الحكمة هو الله المنبثق من الآب قبل كل الأشياء " . ثم قال : " إن الرسل فى مذكراتهم المسماة بالأناجيل يذكرون أن المسيح صنع هكذا ؛ فإنه أخذ خبزا وشكر وقال خذوا هذا هو جسدى إصنعوا هذا لذكرى . وبعد الشكر قال : هذا هو دمى » ويصف نزاع المسيح فى البستان وعرق الدم ، يقول إنه ينقله كما تعلمه من أسفار الرسل وتلاميذهم .

(١٥) و تاتيانوس سنة ١٥٠-١٧٠م) تلميذ يوستينوس : أراد أن يفيد إخوانه المسيحيين فى الرها ، فألف كتابا فى اتفاق البشائر الأربع أو بالحرى نقل سيرة المسيح عنها (وقد وجد حديثا) وسبك كتابه سبكا محكما وانتشر حتى القرن الخامس ، إذ وجد أسقف الرها أنه قد ترك فيه سلسلة نسب المسيح ، فأمر بحفظ نسخة من كل من الأناجيل الأربعة فى كل الكنائس .

(١٦) ويوجد فى كتاب راعى هرماس (سنة ١٣٠-١٤٠ م) بعض آيات من يوحنا .

(١٧) شهادة إيريناوس : وهو رجل فاضل عاش فى أزمير ، وفيها اهتدى إلى الإيمان مع جماعة من المتقدمين فى السن الذين كانوا يعرفون يوحنا . ثم جاء إلى بلاد الغال مرسلا وهو نقادة قانونى ونحن ندعوه بحاثة فشهادته قاطعة . وفى سنة ١٨٠م ألف كتابا جليلا فى خمسة أقسام دحض فيها أكاذيب الهراطقة ، وشهد فيها أجمل شهادة على حقيقة أسفار الأناجيل الأربعة ، واستند إليها مرارا عديدة ، ونقل عنها نصوصا لا تحصى فى تزييف أقوال الهراطقة ، ونفى الأسفار المزورة التى نسبوها إلى الرسل . وقال " لبيان " فى قاموسه فى شرح عبارة الأناجيل القانونية " إن أناجيلنا تتفق كلها مع مقتبساته " وبيّن لهم فى أول القسم الثالث أن الأناجيل الموحى بها أربعة ليس إلا وأن هذا العدد قد جمعه الروح القدس فلا يمكن أن يزاد عليه ، وأن

الإنجيليين قد كتبوا تلك الأسفار المقدسة وسلّموها إلينا لتكون أساس معتقدنا وعموده فى المستقبل .. هكذا نشر متى الإنجيل مكتوبا للعبرانيين وفى لغتهم ، بينما كان بطرس وبولس يبشران فى رومية ويؤسسان الكنيسة ، وبعد خروجهما (من رومية أو من الحياة) بلّغنا مرقس ، تلميذ بطرس وترجمانه ، فى إنجيله الأمور التى بشر بطرس بها . و كتب لوقا رفيق بولس فى سفر الإنجيل ما كان يبشر به معلمه . و آخرهم يوحنا تلميذ الرب ، الذى استحق أن يستند على صدر الرب ، فإنه نشر أيضا إنجيله إذ كان فى أفسس من أعمال آسيا .

ثم قال ، وهو كلام يفحم كل معاند : " إن صحة الأناجيل الأربعة والإعتقاد بها متين بهذا المقدار ، حتى أن الهراطقة أنفسهم يشهدون لها وكل منهم يجتهد أن يثبت رأيه مستندا على نصها ، ولذا فشهادة هؤلاء المعارضين لنا فى العقائد واستعمالهم لأناجيلنا ، تثبت وتوطد معتقداتنا فى صدقها . والأناجيل المقدسة أربعة فقط لا أكثر ولا أقل . فلما كانت أقطار العالم الذى نحن فيه أربعة فقط والرياح الرئيسية أربعة أيضا . ولما كانت الكنيسة المنتشرة فى كل الأرض أساسها وعمودها الإنجيل وروح الحياة ، وجب أن تستند على أربع دعائم . وفى هذه الدعائم تتدفق ينابيع البرارة والحياة [(١)] . وذكر إيريناوس كيف ابتدأ متى إنجيله ، وكيف ابتدأ مرقس إنجيله ، وصحة الأسباب التى حملتهما على ذلك ، وبيّن الآيات العديدة المتعلقة بتاريخ المسيح التى توجد فى إنجيل لوقا ولا توجد فى الأناجيل الأخرى . و أثبت أيضا القصد الخصوصى الذى لأجله صنّف يوحنا إنجيله .

---

(١) قال أحد الملحدين أن إيريناوس اختار أربعة أناجيل من بين الأناجيل الأخرى ليكون عددها مناسبا لعدد أقطار المسكونة . فيا للضلال ؛ إن عبارة إيريناوس هى من قبيل الوصف الشعرى ، فقد استعار لتعظيم عدد الأناجيل عدد الرياح الأربعة ، ومثل هذا كثير فى كل كتابات علماء العالم .

فجزم إيريناوس بعدد الأناجيل ليس دليلا على أنه أول من اختارها من بين الأناجيل الكثيرة ، ولكن لأنه ذاعت فى عصره أناجيل مزورة ، فقال لقومه أن الأناجيل أربعة فقط وذلك كما تلقى عمن تقدموه ، لا سيما وقد كان إيريناوس تلميذا لبوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول . وقد كتب إلى فلورينيوس لما رآه قد حاد إلى تعليم مغاير لتعليم الإنجيل ، فقال : " هذا التعليم الذى أنت معتقد به الآن لم تأخذه عن أولئك الذين صحبوا الرسل ، فقد رأيتك منذ أن كنت صبيا فى آسيا الصغرى مع بوليكاربوس ، وكنت إذ ذاك تود لو أنه يفيدك أدنى فائدة على ما كنت عليه من المنزلة فى خدمة القيصر ، هذا وأن تهذيب طفوليتنا ينمو معنا ولا يكاد يزايلنا " .

ويحسن بنا أن نذكر هنا جزءا من رسالة إيريناوس إلى فلورنيوس المشار إليه ، فإنها تظهر لنا عظم محافظتهم على ما تسلموه ، قال : " إنى لقادر أن أشير إلى البقعة التى جلس فيها بوليكاربوس المبارك مخاطبا . . و تعاليمه التى ألقاها على الجمهور وهو يقص عليهم الأحاديث التى جرت بينه وبين يوحنا وغيره من الذين عاينوا الرب ، مراجعا أقوالهم وما سمعه منهم عن الرب ومعجزاته وتعاليمه . وكل ما قصه بوليكاربوس يطابق كل المطابقة أسفارنا ، لأنه سمعها من الذين كانوا شهود عين لكلمة الحياة ، وكنت أنا بكل شوق أصغى إلى أقواله ، و بالنعمة المعطاة لى من الله حفظتها ليس على قرطاس بل على صفحات قلبى " .

وقال أيضا فى مكان آخر : " وبوليكاربوس الذى لم يكن فقط متعلما من الرسل ، وتحدث مع كثيرين من الذين عاينوا الرب ، بل قد عينه الرسل أيضا أسقفا فى آسيا على كنيسة سميرنا . وكان أيضا يعلم التعاليم التى تعلمها من الرسل التى هى التعاليم الصحيحة وقد سلمها إلى الكنيسة . وكل كنائس آسيا تشهد لصدق هذه التعاليم " . إن إيريناوس هذا يستشهد فى مؤلفاته بالبشائر

الأربع مرات عديدة تبلغ الـ ٥٠٠ منها ٢٠٠ شاهد من إنجيل يوحنا. ومما يجدر ذكره أنه عند بحثه فى قراءتين مختلفتين فى (رؤ ١٣ : ١٨) عضد إحداهما بقوله : " إنها هى الموجودة فى النسخ الأصلية القديمة المصدق عليها ، و أن الأشخاص الذين رأوا يوحنا وجها لوجه أيدوها " .

قال أحدهم : " وهذه الشهادات البديعة تكفى . ولو شئنا لنقلنا من مؤلفات إيريناوس سبع عشرة شهادة تشبهها . وفى كل صفحة من صفحاته يستشهد بتعليم الأولين . فإنه زار الكنائس الرسولية ويعرف قائمة خلفاء الرسل واحد بعد الآخر بلا انقطاع ، و لا يرضى إلا بما علمه الرسل فى كل أقطار العالم . وتزداد شهادات إيريناوس قيمة واعتبارا إذا عرفنا أنه كان سامى القداسة ، ثاقب الذهن ، دقيق النقد التاريخى والفلسفى كما يشهد له العلماء المحدثون مثل لاتيفوت فى كتاب محاضراته (ب ٢٦٨.) و غيره بلا مخالف . أما الأقدمون والمعاصرون ، فكانوا يجلون إيريناوس أيما إجلال . فإن الشهداء القديسين فى ليون وفينا (من أعمال فرنسا) فى رسالتهم البديعة التى أرسلوها سنة ١٧٧م إلى رومية يسمونه « رجلا ملتهبا غيرة عجيبة على عهد المسيح » ووصفه ترتوليانوس معاصره بقوله عنه أنه « أعرف وأغزر شاهد للتعليم » و أن مؤلفاته « مملوءة فوائد » وأبيفانيوس سماه « قديسا عجيبا وخليفة للرسل ، وفارسا دينيا مملوءا من مواهب الروح القدس ، وغنيا بالإعتقاد الذى لا يشوبه غش ، وبالعلم المختار » . وأغسطينوس سماه « المدافع عن الإيمان المسيحى والمعادل للرسوليين » وتيودوريطس دعاه « نور كنائس الغرب المقتدى بتعاليم بوليكاربوس » " .

(١٨) أوريجانوس العلامة (من رجال القرن الثانى) : كان فريد عصره فى فى العلم والإدراك بشهادة العالم أجمع . فهذا العلامة قد شهد مرارا على الأناجيل وعددها وكاتبيها الأربعة . قال : " لقد تعلمنا من

الأقدمين أن الأناجيل أربعة ، وهى وحدها تُقبل بلا نزاع فى كل أنحاء كنيسة الله الممتدة تحت السماء . فالأول كتبه متى ، الذى كان أولا عشارا ، رسولا ليسوع المسيح ، وقد كتبه باللغة العبرانية لفائدة اليهود الداخلين فى الإيمان . وقد تسلّمنا أن الإنجيل الثانى كتبه مرقس كما سمعه من بطرس . أما الثالث فهو إنجيل لوقا الذى كتبه لفائدة الأمم وأوصى به بولس . والأخير هو إنجيل يوحنا . ولما كانت يد النساخ قد أدخلت بعض الإختلاف فى نقل الأناجيل ، سعى أوريجانوس فى جمع أقدم المخطوطات ، وقابلها مع بعضها ، وعيّن امتيازات كل نسخة عن أختها ، فلم يجد فيها اختلافا يذكر ، وشرح الأناجيل شرحا بديعا ، ودافع عن حقيقتها فى وجه الفيلسوف الوثنى كلسوس ، ونقل فى غضون شرحه ودفاعه آيات لا تحصى حتى أنه من المستطاع أن يُجمع الإنجيل برمته من مؤلفات أوريجانوس .

(١٩) وكبريانوس أسقف قرطجنة (من رجال هذا القرن أيضا) : يقول :

" إن الكنيسة تستقى كجنة عدن من أربعة أنهر هى الأناجيل " .

وخلاصة القول أن شهادة هؤلاء الرجال ذات قيمة عظيمة لأنهم لم يكونوا من ذوى السذاجة ، بل من أعظم رجال العلم فى عصرهم . قال أحد العلماء : " على أن أكليمندس وإيريناوس وتاتيانوس وترتليانوس كانوا من أكابر رجال العلم ، وقد بالغوا فى البحث والتنقيب حتى لم يدعوا مجالا للريب فى شئ مما كتبوه . ولم يقتصروا على مطالعة الكتب ، بل استشاروا غيرهم من أهل العلم والإطلاع . فإن أكليمندس قبل أن يتولى إدارة كلية الإسكندرية ، كان تلميذا لبانتين . وإيريناوس أصله من آسيا الصغرى ، كان مثابرا على سماع ما يلقيه قدماء آسيا من ذوى الشهرة علما بتقاليد المسيحيين التاريخية . وقد عرف القديس بوليكاربوس الشهيد عهد شبيبته وهو الذى قُتل شاهدا عام ١٥٥م فوق سن الثمانين . أما تاتيانوس فكان تلميذ القديس يوستينوس الشهيد عام ١٥٥م ، وهذا الشهيد عاين قدماء آسيا وسمع منهم ، ولم يستطع وضع تأليفه البديع فى المناظرات الدينية إلا بعد تبحر فى الدروس " .

وقال العلامة إسكندر : " وزد على ذلك أنه كان فى الإسكندرية فى تلك الأزمنة مدرسة كانت أعظم مدارس المسيحيين ، وكان أيضا فى تلك المدينة المكاتب الغنية التى فى ظلها قامت مدارس الفلسفة اليونانية وصارت مقصدا ومنتدى لجميع العلماء فى أقطار العالم فى تفتيشهم عن الحق وتعلمهم إياه . وكان بعض أولئك الفلاسفة الوثنيين أعداء ألداء للدعاية المسيحية التى نشأت حديثا فى أيامهم ، وكانت لهم اليد الطولى فى فحص حقائقها والتدقيق فى النظر إلى مبادئها ، ومع ذلك ، إعتنقها كثيرون منهم تحت خطر العذاب الأليم والإستشهاد . وذلك دليل على إخلاص نيتهم فى اعتناقها . وكل ذلك يشهد لصدق الأسفار المقدسة التى منها البشائر الأربع التى نحن الآن فى صددها " .

وقال آخر : " لماذا تعتبر شهاة يوستينوس الشهيد لو أقر بصدق الديانة المسيحية ولم يعتنقها بل مات وثنيا ، أكثر من شهادته وقد اعتنقها وترك كل شئ لأجل المسيح وختم شهادته بدمه ؟ فإذا لم يعتبر الخصم شهادة المسيحيين الأولين ، لا يليق أن تحط بذلك قيمتها فى أعين المؤمنين، بل يجب أن يعتبروها أكثر من شهادة اليهود والوثنيين ، ويدرجوها بين الأدلة التاريخية الراهنة الشاهدة لصدق ديانتهم " .

وقد سعى العلماء فى جميع النصوص التى استشهد بها أولئك الأفاضل من الإنجيل ؛ فألف ساباتيه البندكتى فى القرن الثامن عشر ثلاثة مجلدات ضخمة دعاها " الترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس نقلا عن الآباء فى القرون الأولى " . ونشر علماء أكسفورد سنة ١٩٠٥م كتابا جليلا عنوانه " العهد الجديد فى تأليف الآباء الرسوليين " . ونشر غيرهم أبحاثا خاصة فى هذا الشأن موضوعها " العهد الجديد فى تأليف الآباء " مثل العالم بوسه فى " آيات العهد الجديد المذكورة فى أسفار القديس يوستينوس ، و رنش درسها فى ترتليانوس ، وبرنارد فى أكليمندس الإسكندرى ، و هوتش فى أوريجانوس إلخ . ولكى نعطى مثلا واحدا فقط ، أحصى العلامة ده لاغرد فى كتب مار اغسطينوس ٢٩٥٤٠ آية منقولة من العهد الجديد .

الفصل الثالث

شهادة الترجمات القديمة وعلم الجيوغرافية

+

(١) ترجمات العهد الجديد القديمة: ولا ريب أن البلاد التى آمنت بالمسيحية فى العصر الأول ، ولم تكن لغتها اليونانية التى كتب بها الإنجيل ، إضطُرت اضطرارا إلى ترجمته، فيرجع الظن أنها كانت ترجمة سريانية شُرع فيها على الأكثر فى بدء القرن الثانى إن لم يكن فى أواخر القرن الأول . والدليل على قِدَم تلك الترجمة أن بعض الكتب المقدسة التى لم يكن قد بُت فى أمرها بعد لم توجد فيها [١] ، وذلك يؤيد الرأى أنها تُرجمت مبكرا جدا . وهى أفضل ما ترجم من العهد الجديد، وقد ذكرها مليتو أسقف ساردس .

والمخطوطات اليونانية من سنة ١٥٠ - ٢٠٠م تنسب الأناجيل الأربعة إلى الأربعة الإنجيليين . وقد ترجمت البشائر بين سنة ١٥٠م وسنة ٢٦٠م مرتين إلى اللغة اللاتينية ، وثلاث مرات إلى السريانية، ومرة إلى كل من القبطية والصعيدية والحبشية والأرمنية والغوثية . وهذه الترجمات العشر قد نسخ عنها نسخ عديدة فى القرون الغابرة ، وبقيت إلى الآن بينات جلية على قِدَم البشائر ووجودها فى القرن الثانى .

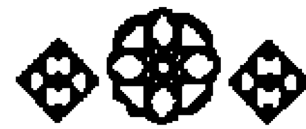
ثم أنه يوجد فى مكاتب أوربا ومكاتب الشرق أكثر من ألف نسخة يونانية من البشائر بخط اليد ، كُتبت فى أوقات مختلفة بين القرن الرابع والخامس عشر ، وهذا دليل واضح على أن هذه الأسفار كانت موجودة فى القرن الرابع .

---

(١) بيد أن تلك الأسفار إكتُشفت مترجمة إلى تلك اللغة ، وذلك فى النسخ القديمة الموجودة فى أوربا .

(٢) جغرافية الأناجيل : وقد جاءت مطابقة تماما للواقع وللتاريخ . قال مؤلف ' الإنجيل الشريف' : " ولا بد ، لإظهار قوة هذا البرهان ، من المقابلات الدقيقة التى تستغرق المجلدات الضخمة . وقد قام بهذه المهمة عدد من العلماء نخص منهم بالذكر الإنجليزى لردنر فى عشر مجلدات دعاها ' صدق الإنجيل ' وفالون أحد أعضاء المحفل العلمى فى باريس فى الصفحات ٢٥١ إلى ٤٠٠ من كتابه ' فى الإنجيل ' . فكانت نتيجة أبحاثهم ، إظهار الإتفاق العجيب بين التفاصيل التاريخية ونصوص الأناجيل . وقال العالم الإنجليزى كلارك : ' إن الإتفاق كامل يفوق كل أمل وانتظار ' . وقال فالون : ' إن الإتفاق عجيب جدا لسهولة الخطأ . خذ إن شئت مثلا واحدا ؛ سلسلة الملوك المعاصرين والمدعوين هيرودس ، وميِّز بين هيرودس الكبير وهيرودس أرخيلاوس وهيرودس فيلبس وهيرودس أنتيباس وهيرودس أغريباس الأول والثانى . وما أسهل الخطأ ، ليس فقط فى وطنهم وطباعهم وامتداد سلطتهم ، لكن فى أسمائهم أيضا . ومع ذلك ، لم يغلط الإنجيليون ولم يخلطوا بين الواحد والآخر ولم يخطئوا فى حرف أو ظرف زهيد أيا كان " .

ويمكننا أن نؤيد برهاننا بالمقابلة بين الأناجيل الصادقة وأناجيل الزور . فهذه لا تكاد تذكر إسما أو مدينة إلا ويكبو بها جواد التزوير . هذا إنجيل ميلاد مريم يتكلم عن رئيس كهنة إسمه اسكار وليس للإسم ذكر فى سلسلة رؤساء الكهنة . وهذا إنجيل الطفولية (العربى) لا يذكر إلا مرة إسم مدينة وملك وهى منفيس ، حيث يقيم - على زعمه - فرعونا ، وإليها يذهب المخلص . وكلٌ يعرف أن الفراعنة كانوا قد بادوا منذ أجيال . وكذلك إنجيل نيقوديموس يتكلم عن جبل الزيتون ويجعله فى بلاد الجليل ، ولا أحد يجهل أنه محاذ لأورشليم ، وأمثال ذلك كثير لا يحصى .



الفصل الرابع

شهادة أعداء المسيحية الأولين

+

(١) إن أقدم أعداء الإيمان المسيحى لم يستطيعوا أن ينكروا أن البشائر تواريخ صادقة : فالغنوسيون مثلا ، الذين كانت تعهاليمهم مركبة من مزج خرافات وثنية وفلسفة يونانية مع بعض حقائق مسيحية ، كانوا من أقدم الأعداء وأقواهم شهرة ونفوذا ومقاومة للكنيسة المسيحية . فالبشائر ، التى كانت سلاح الكنيسة ، لو لم تكن مقبولة من ذى قبل ومسلم بها من الجميع ، لأنكرها على الكنيسة هؤلاء الأعداء الألداء وما قبلوها البتة . ولكن الكنيسة كانت تحاربهم بها وتستند إليها ككلمة الله وتواريخ صادقة لإثبات معتقداتها الخاصة المخالفة لآراء أولئك الهراطقة . قال إيريناوس : " إن البشائر مقررة ومثبتة عند الجميع ، حتى الهراطقة أيضا ، فإنهم يقبلونها ويشهدون لصدقها ويجتهدون أن يسندوا آراءهم على أساس إنجيلى . قال باسيلدس ، الذى علّم فى الإسكندرية من سنة ١٢٥-١٤٠م ، أنه تعلم من غولياس كاتب متى ، وعلى ذلك تكون سنة مولده بين ٦٠ و ٧٠م ، ويظهر جليا أنه قرأ واستخدم بشائر متى ولوقا ويوحنا ، وقد كتب كتابا مطولا عن البشائر ولكنه فُقد . وكذلك هيراكليون تلميذه ، سنة ١٥٠-١٦٠م ، إستخدم تلك البشائر نفسها وكتب شرحا على بشارة يوحنا. وكذلك ڤالنتينوس وتلاميذه ، سنة ١٤٠ -١٦٠م ، قد اطلعوا على البشائر واستعملوها ، فإن ثيودوطس تلميذ ڤالنتينوس يستشهد ٧٨ مرة بالأناجيل القانونية منها ٢٦ بإنجيل يوحنا ، كذلك بطوليايوس ، سنة ١٦٥-١٨٠م ، فإنه يشير بكل وضوح إلى بشارتى متى ويوحنا .

(٢) ماركيون : وهو شاهد آخر يُعَوّل على شهادته . فقد كتب ، حوالى سنة ١٤٠م ، مذكرات مشابهة لبشارة لوقا . ومع أن مؤلَّفه هذا قد أضاعته طوارئ الدهر، إلا أن ترتليانوس إقتبس منه نصوصا حرفية ، مما يدل على أنه كان معروفا ومشهورا وقتئذ . وقد أجمع البحاثة والنقّادة ، وبينهم مؤلف كتاب " الديانة الخارقة للطبيعة " ، وفى الطبعة الثالثة منه ، على أن بشارة لوقا هى المتقدمة لهذا الكتاب ، وقد حاول أن يثبت عكس ذلك قبلا . وبما أن بشارتى متى ومرقس تقدمتا بشارة لوقا ، فنستدل من ذلك على أن كل هذه البشائر كانت منتشرة سنة ١٤٠م .

(٣) شهادة كلسوس الفيلسوف الوثنى الأبيقورى (أو الأفلاطونى) سنة ١٧٠م : فقد وضع كتابا سماه " البحث الحقيقى " ضد كتب المسيحية إقتبس فيه أكثر من ثمانين اقتباسا من أسفار العهد الجديد هاجما عليها وطاعنا فيها . وتدل اقتباساته على أن الأناجيل كانت فى وقته منتشرة ومعروفة . ومع أن كتاب كلسوس مفقود ، إلا أن رد أوريجانوس عليه محفوظ وفيه يشير إلى اقتباسات كلسوس . . وها نحن نورد بعضها بحسب ترتيب كتب الرد التى لأوريجانوس :

ففى الكتاب الثامن ، ينقل عن كلسوس قوله عن المسيح أنه " ظهر مؤخرا بين الناس "، وفى ك ١ : ٢٦ يقول عنه : " ومن زمن قريب ، إبتدأ أن يعلّم هذا التعليم ، واعتبره المسيحيون إبن الله " ، وفى ١ : ٧٤ يؤكد كلسوس بأن التعاليم التى يهاجمها هى الموجودة فى " كتب المسيحيين " ، وفى ٤ : ٢ - ٣ يهاجم تعليم التجسد ، وفى ٥ : ٥٢ يشير إلى يوسف النجار ، وفى ١ : ٥٨ يذكر مجئ المجوس ليسجدوا للطفل يسوع كإله ، وفى ١ : ٦٦ و ٥ : ٥٢ يتكلم عن الهروب إلى مصر ، وفى ١ : ٥٨ يشير إلى ذبح هيرودس الأطفال الأبرياء ، وفى ١ : ٤١ يهاجم مسألة نزول الحمامة على يسوع فى المعمودية ، وفى ١ : ٧٢ يهاجم سماع الصوت من

السماء فى وقت معموديته أيضا. وفى النصف الأول و ٦ : ٧٢. ٧٤ و ٨ : ١٤ و أماكن أخرى ، يهاجم اعتقاد المسيحيين فى أن المسيح هو إبن الله ، وفى كلامه عن تعاليم المسيح (١٨:٧) يقول : " إن الرجل الناصرى وضع شرائع مخالفة لتلك (أى لشرائع موسى) إذ قال أنه لا يقدر أحد أن يأتى إلى الرب إذا كان يحب قوة أو غنى أو مجدا ، وأنه يجب أن لا يعتنى الناس بأمر طعامهم أكثر من اعتناء الغربان ، وأن يكونوا أقل اهتماما بلباسهم من زنابق الحقل . وأن الذين تأتيهم لطمة يجب عليهم أن يقدموا أنفسهم لأخرى " . ثم فى ٧ : ٥٨ ، يقتبس قوله : « إن لطمك على خدك فحوّل له الآخر أيضا » . وفى ١ : ٦٢ يشير إلى تلاميذ المسيح بأنهم " كانوا جباة وملاحين " ، ثم يقول مؤكدا : " أنه تُرك وسُلم بأيدى أولئك الذين كانوا يتبعونه . وأن كل شئ كان مشتركا بينهم . وأنهم اتخذوه معلّما لهم واعتبروه نهائيا مخلّصا و إبن الله الأعظم " (ك ٢ : ٩).

ثم يشير هازئا إلى آلام المسيح (٢ : ٢٤) فيقتبس قوله : « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » ، وفى ٢ : ٣٦ يدعو المسيح « يسوع المصلوب » ، وفى ٨ : ٤١ يتكلم عن أولئك الذين صلبوه بقوله : " أولئك الذين صلبوا إلهكم " ، وفى ٢ : ٣٨ يهاجم الإعتقاد المسيحى القائل " أن المسيح احتمل هذه الآلام لأجل خير البشرية " ، وفى ٢ : ٥٩ و ٧٠ يحاول أن ينقض حقيقة قيامة المسيح ، وفى ٥ : ٥٦ يشير إلى الملائكة الذين ظهروا عند قبر يسوع ، وفى ٥ : ٥٢ يتكلم عن الملاك الذى دحرج الحجر عن باب القبر .

فواضح من هذا أن الأناجيل ، بصورتها التى نراها الآن ، هى التى كانت فى القرنين الأول والثانى .

(٤) شهادة مؤرخى الوثنيين : و ذكر تاسيتوس فى كتابه " الحوادث "

(فصل ١٥ : ٤٤) خبر موت المسيح . وروى مكروب نبأ الأبرياء الذين أمر هيرودس بقتلهم ، ومدح بلينى آداب المسيحيين ، واحتسب الإمبراطور إسكندر المسيح معبودا لأنه ممن أحسنوا إلى الجنس البشرى ، واعترف ساسيوس وبروفيريوس بحقيقة المعجزات الإنجيلية ولكنهما نسباها إلى السحر .

والأخير ، وهو عدو لدود للديانة المسيحية ، نشأ بعد كلسوس بنحو قرن ، شهد بصدق نسبة الأسفار الموجودة عند النصارى ، وأن المسيح لم يكن موجودا فقط ، بل قال عنه أيضا أنه رجل تقى صعد إلى السماء لأنه كان محبوبا عند الآلهة (لاردنراف ٣٧). ويوليانوس الملك الجاحد شهد بصدق نسبة البشائر ولم ينكر عجائب المسيح ، وقال أن المسيح لم يفعل شيئا عظيما إلا إذا زعم أحد أن شفاء الأمراض وإخراج الأرواح النجسة فى قرية بيت صيدا هى من الأعمال العظيمة، وشهد بباقى عجائب المسيح وبذل جهده ليقلل من قيمتها .

وكانت عادة الرومان أن يحتفظوا بذكر الحوادث المهمة التى تصير فى المدينة ، ويدونون ذلك فى وقائع المجلس الكبير أو فى وقائع الشعب اليومية ، وكانت تكتب وتحفظ بعناية فى رومية . وكان ولاة الأمور يرسلون أخبار ولايتهم المهمة لتحفظ هناك . وبناء على ذلك ، كتب بيلاطس عن اليهود مدة حكمه كتابا يدعى " أعمال بيلاطس " . وقال يوسابيوس : " إنه لما شاع خبر قيامة مخلصنا فى كل فلسطين ، أخبر بيلاطس الإمبراطور عنها وعن معجزاته التى سمع عنها . وإذ قام بعد أن قتل ، آمن به كثيرون أنه الله " (أوسابيوس ك ٢ ف ٢) . ويوستينوس الشهيد ، فى محاماته الأولى عن المسيحيين ، التى تقدمت للإمبراطور أنطونيوس بيوس ومجلس رومية نحو سنة ١٤٠م ، بعدما ذكر صلب يسوع المسيح وبعض الأمور المتعلقة بذلك ، قال :" وتعلمون أن هذه الأمور صارت هكذا من الأعمال التى كتبت فى زمان بيلاطس البنطى "

(فصل ٣٥) . وفى تلك المحاماة أيضا ، بعد أن ذكر بعض معجزات المسيح كشفاء المرضى وإقامة الموتى ، قال :" وتعلمون أن هذه الأمور صارت هكذا من الأعمال التى كتبت فى زمان بيلاطس البنطى " (فصل ٤٨) . وترتوليانوس العالم ، فى محاماته عن النصرانية نحو سنة ..٢م ، بعدما تكلم عن صلب مخلصنا وقيامته وظهوره لتلاميذه وصعوده إلى السماء أمام عيون نفس أولئك التلاميذ الذين أمرهم بأن يبشروا بالإنجيل فى العالم وعن كل هذه الأمور بخصوص المسيح ، أرسل خبر بيلاطس الذى صار مسيحيا فى قلبه إلى طيباريوس الإمبراطور وقتئذ (رأس ٢١) . وفى نفس تلك المحاماة ، أخبر ترتوليانوس عما فعل طيباريوس عندما وصلت إليه أخبار المسيح فقال : " وجد قانون من قديم الزمان بأنه لا يُحسب أحد إلها إن لم يصدقه السناتوس الرومانى (أى مجلس الشيوخ أو الأعيان)". فطيباريوس الذى نشأ فى أيامه الإسم المسيحى ، إذا وصل له من فلسطين فى سوريا خبر عن الأمور التى برهنت حقيقة لاهوته (أى لاهوت المسيح) قال السناتوس بأنه يجب أن يضعوا إسمه فى قائمة آلهة الرومانيين وأعطى صوته أولا فى إيجاب قبوله . غير أن السناتوس رفض ذلك لأن الإمبراطور نفسه كان قد رفض قبول هذا الإكرام لنفسه ، على أن الإمبراطور أصر على رأيه وتهدد كل من يشتكى على المسيحيين . " فتشوا تفاسيركم (أو كتاباتكم الجمهورية) تجدوا أن نيرون هو أول من أهاج بغضب السيف الملكى على المذهب عندما انتشر كثيرا فى رومية " . وزاد أوسابيوس على خبر ترتوليانوس قوله أن طيباريوس تهدد بالقتل كل المشتكين على المسيحيين و اعتبر (أى أوسابيوس) مداخلة الإمبراطور هذه نوعا من العناية بقصد امتداد الإنجيل فى بدايته بدون إزعاج . وهو وذهبى الفم إعتبرا رفض السناتوس الرومانى أن يؤلهوا المسيح من تدبير العناية الإلهية حتى لا يكون لاهوته مستندا على قوة الناس بل على قوة الله العظيمة ، وحتى لا يُحسب المسيح بين الذين ألَهَهُم الرومانيون (أوسابيوس . تاريخ الكنيسة كتاب ٢ فصل ٢) .

الفصل الخامس

شهادة يوسيفوس المؤرخ اليهودى

+

(١) فإنك تقرأ فى الإنجيل أن هيرودس أمر بقتل الأطفال فى بيت لحم . ولكن يوسيفوس فى كتابه " الآثار اليهودية فى فصل ٩ ك ١٤ - فصل ٢ ك ١٧ ، يوضح لك ذلك بأجلى بيان ، فيحكى عن هيرودس هذا أنه كان شريرا للغاية حتى لم يكن يلذ له إلا سفك الدم ، وقد بلغ به الجنون أن أمر بخنق أولاده لئلا يكبروا فيغتصبوا عرشه ، وقتل زوجته . وعند موته ، أمر بقتل كبار الأمة حتى يكون فى كل بيت مناحة فى وقت موته لعلمه أن موته يفرح به الجميع .

(٢) قيل فى مت ٢ : ٢٢ « و لكنه لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضا عن هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وإذ أوحى له فى حلم ذهب إلى نواحى الجليل » . و منه يفهم أن أرخيلاوس تولى الحكم بعد هيرودس على اليهودية وأن سلطانه لم يمتد إلى الجليل . ويقول يوسيفوس : " إن هيرودس الكبير الذى كان ملكا على أرض إسرائيل عيّن إبنه أرخيلاوس خليفة له ، وقسّم بقية ملكه على أولاده الآخرين ، وأن القيصر الرومانى أيّد هذا التقسيم " (التاريخ القديم ك ٧ ف ١٧ رأس ١) .

ثم أن متى يقول أن أرخيلاوس كان يملك ، ويوسيفوس يقول أن هيرودس لم يعين أرخيلاوس خليفة له فقط ، بل أعطاه لقب ملك (أخبار حروب اليهود ك ١ فصل ٣٣ ، ٨) غير أن أوغسطس لم يؤيد ذلك ، بل وعده بهذا اللقب إذا أظهر كفاءة تؤهله له (التاريخ القديم ك ١٧ ف ١١ و ٤) .

ويشير متى بصراحة إلى قساوة أرخيلاوس ، وهذا يؤيده قول يوسيفوس عنه أنه : " فى السنة العاشرة من ملكه ، إذ لم يعد رؤساء اليهود والسامريين قادرين على احتمال ظلمه ، إشتكوه للقيصر " (التاريخ القديم ك ١٧ ف ١٣ و ١) .

(٣) قيل فى لو ٣:١ « وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على أيطورية وكورة تراخونيتس إلخ » ، ويوسيفوس يقول أنه " كوصية هيرودس الكبير وأمر أوغسطس تعين إبنا هيرودس أحدهما (هيرودس أنتيباس) رئيس ربع على الجليل وبيريا ، والآخر (فيلبس) رئيس ربع على تراخونيتس والبلدان المجاورة " (التاريخ القديم ك ١٧ ف ١٨ و ١) ثم يتفق يوسيفوس مع لوقا على أن الأخوين كانا فى مركزيهما فى السنة الخامسة عشرة من تملك طيباريوس ، ويظهر من يوسيفوس أيضا أن كاليغولا خليفة طيباريوس عزل هيرودس (ك ١٨ ف ٨ و ١) وفينس مات فى السنة العشرين من ملك طيباريوس بعد أن حكم على تراخيتس وباتانيا والجولا سبعا وثلاثين سنة (ك ١٨ ف ٤ و ٦) .

(٤) قيل فى مر ٧ : ١٧ (أنظر أيضا مت ١٤ : ١-١٣ ولو ٣ : ١٩) « الآن هيرودس نفسه كان قد أرسل وأمسك يوحنا وأوثقه فى السجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه إذ كان قد تزوج بها » ويقول يوسيفوس " أنه (هيرودس رئيس الربع) زار أخاه هيرودس ، وبينما هو هناك عشق هيروديا امرأته و عوض عليه أن يتزوج بها " (التاريخ القديم ك ١٨ ف ٥ و ١) . أما سبب تسمية الإنجيل زوج هيروديا بفيلبس وتسمية يوسيفوس إياه هيرودس ، فلما كان معروفا حينئذ من أن يكون للمرء إسمان كسمعان وبطرس ، وبولس وشاول ، ثم أن هيرودس الكبير كان له أولاد من سبع نساء ، يذكر

يوسيفوس ثلاثة منهم بإسم هيرودس ، ولا ريب أن هؤلاء الإخوة كانت لهم أسماء أخرى لتمييزهم من بعضهم .

وقيل فى مر ٦ : ٢٢ « ودخلت إبنة هيروديا ورقصت » ويقول يوسيفوس أن " هيروديا تزوجها هيرودس بن هيرودس الكبير ووُلدت لهما إبنة إسمها سالومة ، فبعد ولادتها تركت هيروديا زوجها الذى لم يزل حيا ضد شرائع البلاد وتزوجت هيرودس رئيس ربع الجليل وهو أخو زوجها من أبيه " .

(٥) ثم يتفق يوسيفوس مع الإنجيليين فى هذه الحادثة : وهى أنه لما خاف هيرودس من يوحنا المعمدان ، طرحه فى السجن فى قلعة مخيروس ، وهذه هى الفقرة الواردة فى تاريخه بشأن ذلك :

" والآن ظن بعض اليهود أن خراب جيش هيرودس هو من الله بعدل تام قصاصا لما فعله بيوحنا الملقب بالمعمدان لأن هيرودس ذبحه مع أنه كان رجلا صالحا وعلّم اليهود أن يمارسوا الفضائل ويصنعوا البر ويتقوا الله ثم يأتون إليه ليعتمدوا . وإذ جاء كثيرون إليه لأنهم تأثروا عند سماعهم كلامه ، خاف هيرودس أن يعظم نفوذ الرجل ويعطل على سطوته الملوكية ، فيسير الشعب وراء هذا المثير ويقومون بثورة لأنهم كانوا مستعدين للقيام بأية حركة ، فرأى هيرودس أن أفضل شئ هو أن يقتل يوحنا ليمنع الضرر الذى يمكن أن يُسبب بوجوده ويريح نفسه من مشاكل الإبقاء على رجل قد يندم على تركه وشأنه حيث لا ينفع الندم ، ولذلك أرسله إلى السجن . ثم إذ ازدادت شبهاته ومخاوفه ، أرسل رسولا إلى قلعة مخيروس التى ذكرتها سابقا ، وهناك قتل يوحنا بأمر هيرودس " .

(٦) و يتكلم يوسيفوس أيضا عن بيلاطس البنطى والى اليهودية و عن ظلمه وجوره ، وأنه بعدما حكم فى اليهودية عشر سنوات ، أمره

فيتليوس والى سوريا أن يتوجه إلى رومية ليجيب عن الشكاوى المقدمة ضده . وبينما كان ذاهبا إلى رومية ، مات الإمبراطور طيباريوس ، وكان موته فى السنة الموافقة ٣٧م . و من هذا يُستنتج أن مدة ولاية بيلاطس كانت من سنة ٢٦ أو ٢٧ إلى سنة ٣٦ أو ٣٧م .

(٧) ويخبرنا يوسيفوس أيضا عن عادات اليهود وأحزابهم وفرقهم المتنوعة كما كانت فى تلك الأيام ، ويذكر أخيرا الفريقين العظيمين الرئيسيين أى الفريسيين والصدوقيين . ويتكلم عن تحاسدهما وتنافرهما ويقول عن الفريق الأول فى ك ١٨ ف ٣ " أنه كان صاحب الكلمة النافذة فى الشعب " . ويقول فى ك ١٦ ف ٦ " إن الفريسيين قد سلبوا الشعب وصايا وفرائض تسلموها من الآباء وليست مما جاء فى شريعة موسى " ولا يخفى أن يوسيفوس نفسه كان فريسيا . أما عن الصدرقيين فيقول في : ١٨ ف ١ : ٦ " إن الصدوقيين يعلمون أن الأنفس تموت مع الأجساد " . ثم يصف كل أعياد اليهود ، ويسهب فى الكلام عن الجماهير التى كانت تجتمع فى أورشليم فى عيد الفصح . ويتكلم أيضا عن الدقة التى كان يراعيها اليهود فى حفظ يوم السبت ، ويقول أنه كان غير جائز عندهم أن يسافروا مسافة طويلة فى ذلك النهار .

(٨) و يتكلم يوسيفوس أيضا كثيرا عن رياسة الكهنوت فى تلك الأيام فيقول " إن فليريوس غراثوس الوالى عزل رئيس الكهنة حنانوس (وهو حنان المذكور فى لو ٣ : ١ ويو ١٨ : ١٣ و ٢٤) وأقام عوضا عنه أربعة آخرين الواحد بعد الآخر كان آخرهم يوسف قيافا (المذكور فى الإنجيل) . وبعد أن نصب قيافا ، رجع غراثوس إلى رومية . وبعد أن حكم فى اليهودية إحدى عشرة سنة ، حكم بعده بيلاطس البنطى . و قد جاء فى كلامه عن رياسة الكهنوت ما ترجمته : " إن فليريوس غراثوس بعد أن عزل حنانوس من رياسة

الكهنوت ، عين بدلا من إسماعيل بن فابى رئيسا للكهنة ، ثم عُزل بعد وقت قصير وعُيّن العذار بن حنانوس رئيس الكهنة بدلا عنه " .
وترى هنا أن يوسيفوس لا يزال يدعو حنان رئيس كهنة مع أنه معزول بأمر غراتوس ، ومع أنه عُزل فى آخر سنة من حكمه ، فإنه أعطى رياسة الكهنوت لسمعان بن لونوس ، ولكن هذا لم يحظ بشرف الوظيفة أكثر من سنة . ثم دعى غراتوس المدعو قيافا ليحل محله . أما قيافا ، فبقى فى وظيفته رئيس كهنة مدة حكم بيلاطس التى دامت عشر سنوات . وحالما جلس فيتليوس على كرسى الولاية بعد بيلاطس ، عزله من وظيفته . فمن هذه الكتابات التاريخية ، يتضح لنا معنى ما جاء فى إنجيل لوقا ٣ : ٢ من وجود اثنين فى رياسة الكهنوت ، وأيضا ما جاء فى يوحنا ١٨ : ١٣ و ٢٤ فحنان كان الرئيس الحقيقى وقيافا الرئيس المُعيّن من الحكومة والمعترف به من رومية أنه الرئيس الدينى للأمة اليهودية ، وبهذا الإعتبار كانت إستشارة الإثنين فى أمر يسوع واجبة .

(٩) ثم أن يوسيفوس يشرح نفسية اليهود المنحطة فى عصره ، وميلهم للمشاغبة والسعى فى قتل النفوس البريئة ، ونسب خراب مدينتهم لقتلهم يعقوب الرسول ظلما . وهذه الحالة التى ذكرها يوسيفوس ، تنطبق تمام الإنطباق على وصف الإنجيل لها . فأمثال المسيح وبعض عباراته ، وتوجيهها للقوم بالصور التى وجهها إليهم ، تدل على أنهم كانوا أهل تشويش وسلب وحيل ومكائد وظلم . فأمثال السامرى الصالح ، والكرامين ، والقاضى الظالم ، والوكيل الخائن ، ومجئ ابن الإنسان كلص ، والبيت المنقسم على ذاته ، وسرقة السارقين للكنوز ، والعدو الذى زرع زوانا . . إلخ ، فهذه كلها مأخوذة من أحوال اليهود حينئذ . وقد روى يوسيفوس أنها كانت هكذا .

(١٠) ثم نرى أن يوسيفوس أنه كان بين اليهودية ورومية علاقات كلية ، وأن اليهود كانوا يقصدون إلى رومية طمعا فى نوال الرتب

والوظائف . والأناجيل مملوءة من العبارات التى يفهم منها هذا ولو بطريق التلميح ؛ ومن ذلك ما قيل عن ابن الإنسان : « كأنما إنسان مسافر ترك بيته وأعطى عبيده السلطان ولكل واحد عمله وأوصى البواب أن يسهر » (مر ١٣ : ٣٤) . وأيضا : « إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه ملكا ويرجع » (لو ١٩ : ١٢) . وكذلك عن الإبن الشاطر ، فإنه جمع كل شئ وسافر إلى كورة بعيدة ، وهناك بذر ماله بعيش مسرف (لو ١٥ : ١٣) . وأيضا أنه « كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى كرامين وسافر » (مت ٢١:٣٣) .

(١١) و هذه العلاقات السياسية بين اليهودية وروميـة مركز الحكومة التى منها كانت تتوزع كل الكرامات والوظائف ذات الإرباح الكثيرة ، كانت أيضا الداعى إلى استعمال تلك الإستعارات الواردة كثيرا فى العهد الجديد ؛ مثل ملكوت السموات ، وطلب ملكوت السموات ، وأعطى ملكوت السموات ، ونحو ذلك . وكل ما نريد إثباته هو أن تلميحات واستعارات مثل هذه ، تخطر طبعا على بال معلم فى ظروف وأحوال كالظروف والأحوال التى كان فيها المسيح . وذلك مما يرجح صدور تلك الأمثال والإستعارات والعبارات حقيقة فى فم المخلّص حسب شهادة الرسل .

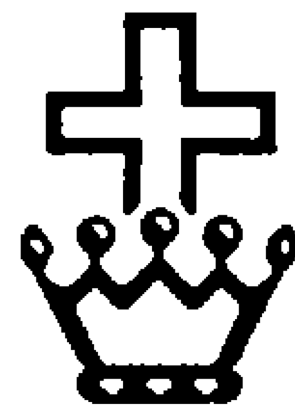
(١٢) قال مر ٥ : ١ « وجاء إلى عبر البحو إلى كورة الجدريين. . إلخ » وفى ع ١١ « وكان هناك عند الجبال قطيع كبير من الخنازير يرعى » ربما يظن القارئ من أول وهلة أن مرقس قد ارتكب الغلط سهوا فيما قال عن الخنازير ، لأن هذا الحيوان كان مكروها عند اليهود ومحسوبا نجسا ، ويسأل كيف اتفق والحاله هذه ، أن قطيعا منه كان يرعى على شاطئ بحر طبرية؟ فنجيب أن هذا القول ، الذى يعترض عليه ، يبرهن أيضا ضبط على كلام البشير ومعرفته الكاملة بأحوال اليهودية العمومية والموضعية ، كما تبين ذلك من كلام يوسيفوس فى كتاب

التاريخ القديم ك ١٧ ف ١١ و ٤ حيث يقول أن برج ستوانو (وهو قيصرية فلسطين) وسبسطية (وهى مدينة السامرة القديمة) ويافا وأورشليم كانت خاضعة لأرخيلاوس ، وأما غزة وجدرة وهبوش ، فبما أنها كانت مدنا يونانية ، ألحقها قيصر بسوريا . وهذا كاف ليعلل لنا عن وجود الخنازير عند الجدريين .

(١٣) وجاء فى لو ٢٣ : ٦ و ٧ « فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلى وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس إذ كان هو أيضا تلك الأيام فى أورشليم » . إن النتيجة الأصح من العبارة الأخيرة من هذا العدد هى أن أورشليم لم تكن مركز إقامة هيرودس وبيلاطس ، كما يدل قوله « إذ كان هو أيضا تلك الأيام فى أورشليم » أى هيرودس ، وهى تتضمن إشارة إلى أنها لم تكن مركز إقامة بيلاطس . وهذا التلميح غير مقصود وغير صريح ، ولكنه يوافق مقصودنا الآن . أما عدم اتخاذ هيرودس أورشليم مركز الإقامة ، فيُستنتج من كلام يوسيفوس (التاريخ القديم ك ١٩ ف ٧ - ٣) " إن هذا الملك [هيرودس] الذى قتل يعقوب أخا يوحنا (أع ١٢) لم يكن كهيرودس الذى ملك قبله (وهو يشير إلى هيرودس الذى أرسل بيلاطس إليه المسيح) لأن هذا > أى الأخير ، كان صارما وقاسيا فى قصاصه ولم يكن فى قلبه شفقة على الذين يبغضهم ، وكان الأمر معلوما أنه يميل إلى اليونانيين أكثر مما يميل إلى اليهود ، ولذلك زيّن بعض مدن الأجانب على نفقته ، وبنى فيها حمامات ومسارح ، وبنى فى بعضها هياكل وأروقة ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك البتة فى مدينة من مدن اليهود ، ولا كلف نفسه تزيين واحدة منها بأى شئ . وأما هيرودس الآخر (أغريباس) ، فكان ألطف خلقا وأرق طبعا وأحسن سلوكا من جميع الناس . نعم إنه كان محسنا للغرباء ، ولكنه كان يراعى اليهود أهل وطنه أكثر منهم ، وكان يحس معهم فى جميع أتعابهم ، ولذلك رغب فى الإقامة دائما فى أورشليم ، وحفظ بكل تدقيق جميع عوائد أمته .

(١٤) هذه شهادة يوسيفوس المؤرخ اليهودى غير المقصودة لصحة الإنجيـل ، ولئن كان لم يسهب فى بيان أعمال المسيح ومعجزاته ، فذلك لأنه كان يهوديا قبل كل شئ ، فليس من مصلحته أن يشير إلى أعمال المسيح التى كانت تؤول لهدم النظام اليهودى، غير أنه ذكر فقرة عن المسيح ، ولئن كانت وجيزة ، إلا أنه يُفهم منها كل شئ ذكر فى الأناجيل ، وهذه هى : " وكان فى هذا الوقت (أى زمن هيرودس أنتيباس) إنسان حكيم - لو صح أن نلقبه إنسانا - إسمه يسوع . وكان يصنع المعجزات الباهرة العديدة ، ويعلّم الناس الراغبين فى الحقيقة ، وقد اجتذب إليه عددا عديدا من اليهود ومن الأمم أيضا ، هذا كان المسيح . وقد سعى به زعماء طائفتنا إلى بيلاطس فأماته على الصليب . ولكن الذين اتبعوه أولا لم يكفوا عن حبه . وقد ظهر لهم حيا فى اليوم الثالث لموته كما سبق الأنبياء الإلهيون فتنبأوا بذلك وبأمور عديدة فى شأنه . و نسبة إليه سُميت طائفة المسيحيين التى لا تزال إلى هذا اليوم " .

وهذه الشهادة اليوسيفوسية قد أثبتت النقد العلمى نصها بالحرف مدونا فى كل المخطوطات اليونانية ، ونقلها أوسابيوس المؤرخ المدقق فى ربع القرن الرابع الأول فى كتابه المعنون " إثبات الإنجيل " ف ٣ ف ٥ . و قـد يستغرب بعضهم اعـتراف يوسيفوس بأن المســيح كان أكثر من إنسان ، ويَظُن أن تلك كلمات مدخولة على أقوال يوسيفوس ، و على كل حال فيوسيفوس يقر صراحة بمعجزات المسيح وبما أحاط بحياته من الخوارق والسمو .



الباب الخامس

فى عدم تحريف الأناجيل

(١)

يدعى بعضهم أن العهد الجديد حُرِّف أو بُدِّل ، وهو قول لا يعتبر ذا قيمة إلا إذا أتى صاحبه بالنسخة الأصلية التى يعتقد أنها أصح مما عندنا . ولكن نحن عندنا نسخا مخطوطة أقدمها يرجع إلى سنة ٢٠٠ م ، وهى والنسخ المتداولة متطابقة تماما .

فلو كان هناك تحريفا طرأ على الإنجيل ، فيكون قبل القرن الثانى للميلاد ، ولا يمكن طبعا أن يكون فى القرن الأول ، لأن الذين كتبوا الإنجيل كانوا أحياء فلا يمكن تحريف كتبهم فى حياتهم . فلا بد أن يكون التحريف بعد القرن الأول ، وهذا متعذر كل التعذر لأن الأناجيل المخطوطة كانت قد ذاعت وانتشرت فى كل مكان . وقد أخبرنا أكليمندس الرومانى بأن المسيحيين الموجودين فى كل مكان ، كانوا يقرأون الإنجيل فى اجتماعاتهم الجمهورية فى أيام الآحاد كما هو الآن ، ولم تمض سنوات بعد كتابة إنجيل يوحنا حتى بلغ عدد النسخ المتداولة منه ثلاثة آلاف نسخة ، وبعد ذلك بقليل وصلت إلى ثلاثين ألفا كما قال مونسبرة الذى روى أنهم كانوا يكرمونها كأشياء إلهية ، ويقبلونها بشغف ولهف كأنها كانت تحمل طابع شِفَتَى يسوع .

وحقق الباحثون أنه فى أوائل القرن الثانى، بلغت النسخ ستين ألفا . فلو كان هناك سعى إلى تغييرها ، لما أمكن بدون جمع النسخ الكثيرة

المتداولة فى الكنائس وفى البيوت من جميع أقطار الأرض وإعدامها حتى لا يبقى أثر لذلك التغيير . وليس لأحد قليل من العقل يسلم بإمكان ذلك .

ثم أننا نجد الهراطقة وأعداء المسيحية قد كتبوا ضد هذه الديانة ، ولكن لم يذكر واحد منهم أن المسيحيين أحدثوا أى تغيير فى كتبهم ، ولو حدث ، لكان ذلك من أهم الأمور التى يستطيعون بها أن يشهّروا بالمسيحية ويسجلوا عليها ضعفها .

لو وقع فى كتب العهد الجديد تحريف ما ، فلا يخلو أن يكون ذلك من اليهود أو الوثنيين أو المسيحيين ، والحال أن هذا ممتنع . لأن اليهود لو قصدوا هذا التحريف ، لأهملوا كل ما كان مضادا لأميالهم ، ، وحذفوا كل ما ذكر فيه من العجائب ، وقيامة المسيح وصعوده إلى السماء ، وألغوا النبوات التى تشير إلى تدمير الهيكل وتبديد الشعب اليهودى ، و الحال أن جميع هذه الأمور لم تزل مدونة فى كتب العهد الجديد كافة . و لو كان تحريف الإنجيل واقعا من الوثنيين ، لقذفوا كل ما اختص ببطلان عبادة الأصنام ، و ألوهية المسيح و معجزاته و ضرورة الإيمان به و ما شابه ذلك . و الحال أن هذه الحقائق أجمع لم تزل مدونة إلى يومنا هذا فى الكتب المنوه عنها .

عدا ذلك ، كان يمنع من التحريف فى هذه الكتب بيد اليهود أو الوثنيين ، مقاومة المسيحيين وغيرتهم على صيانتها. فضلا عن ذلك ، فإن اليهودى أو الوثنى المصرين على عدم الإيمان ، لا يستطيعان لو أرادا ، أن يوضحا أقوال المسيح وأعماله كما هى فى كتب العهد الجديد بسموها وجلالها .

و أما المسيحيون ، فكيف يجسرون على ذلك ، وكيف يمكن للمسيحى أن يزوّر وينسب تزويره لرسول إلهى مملوء من الروح القدس ،

لأنه إن كان هذا المزور المسيحى صالحا ، لما احتال على هذا الغش . وإن كان شريرا ، لما أوضح تعليما كهذا مفعما من القداسة والطهارة .

قال أحد الأفاضل : " ولا يمكن للآن تعيين زمان أو مكان حدث فيهما تزوير كتب العهد الجديد ، بل كلما يقال فى هذا الشأن ، إنما هو رمية من غير رام . وكيف يسلم بذلك المؤمنون عامة ولم يكونوا كلهم من ذوى السذاجة والغباء ، لأن كثيرين منهم كانوا ذوى عقول ثاقبة . لا ، بل من الفلاسفة أيضا من اعتنقوا الديانة المسيحية ، وهؤلاء قد صنفوا مصنفات عظيمة فى مدى الأجيال الأولى ، ناهيك عن استيعاب أولئك الذين كانوا يرومون الإرتداد عن المذهب الوثنى أو اليهودى إلى الديانة المسيحية . فهؤلاء لا شك كانوا يبحثون بحثا دقيقا ليعتنقوا ذلك التعليم الحقيقى الذى لأجله كان يلزمهم مكابدة الشدائد والعذاب . إن الكفرة الذين يدعون ، بعد مضى كذا جيل ، أن كتب العهد الجديد مستجدة عن زمان الرسل ، و أنها عُنونت بأسمائهم فى الجيل الثانى أو الثالث ، يلزمهم أن يثبتوا مدعاهم الجديد هذا ببعض البراهين ، والحال أنهم إلى الآن لم يأتوا ببرهان ولو منتحل ، وما أمكنهم أن يبينوا مكانا أو زمانا أو مبدعا أو أقلّه أثرا لهذا التزوير . فإذن ، بكل صواب ، يحق لنا الوقوف على ذلك المبدأ المشهور و المعترف به من الجميع وهو ' ما يُزعم مجانا فمجانا يُنكر ' . أما نحن فوق ذلك ، فنتقدم إلى ما قدام مبرهنين أن تزوير هذه الكتب لم يكن ممكنا أدبيا .

فيُستدل بتحقيق أنه فى مدة الثلاثة أجيال الأولى ، كان يوجد كنائس كثيرة غربا وشرقا وأغلبها مؤسسة من الرسل . وفى هذه الكنائس كانت محفوظة الكتب المذكورة التى كانت تقرأ علنا على أسماع الجميع . فكيف إذن اتفق حدوث التغيير فى مقدار كذا من النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية . لأن لو حدث هذا التغيير فى الكتب الموجودة فى كنائس المشرق فقط ، لعثر عليه الغربيون وأرجعوا إلى الشرقيين الكتب المقدسة الصحيحة وبالعكس .

(١) ثم نلاحظ أن التاريخ لم يذكر حرفا عما وقع فى الإنجيل من التحريف إن كان هناك تحريف ، ولا يصح أن يغفل التاريخ حادثة خطيرة كهذه لو كان لها نصيب من الصحة .

(٢) كما أن المسيحيين لو أحدثوا تحريفا بكتابهم ، لحرّفوا الآيات التى تُلزمهم إحتمال الصعوبات وتُصعّب عليهم جهاد الخلاص .

(٣) كذا ، فإن المسيحيين يختلفون إلى فرق ومذاهب متنوعة على عقائد شتى ، ولكنهم لم يختلفوا على سلامة إنجيلهم من التحريف ، وكلهم يسلّم بما جاء فيه ، وإن كانوا يختلفون على شرح معانيه .

(٤) إن قرآن المسلمين يذكر الإنجيل بالتجلة و التعظيم ، و يبرهن على أنه لغاية عهد كتابته [القرآن] فى القرن السابع ، لم يحدث بالإنجيل أى تحريف ؛ فقد جاء فى سورة المائدة : " وأتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين " ، وفى سورة الحديد : " ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلناه فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة " . و ذِكره فى مواضع شتى بمثل هذه النعوت ، التى لا يوصف بها كتابٌ ، أزال التحريف بهجته ، وأوهى أسباب الركون إليه . وفى سورة المائدة : " وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه " ، وفى سورة يونس : " فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك " ، فلو أنس فيه صاحب الشريعة الإسلامية أثر التحريف ، لما صلح أن يجعله نبراسا لأحكام النصارى ، ولا أوجب استفتاءهم فيه حال الشك والإبهام إذهم لا يؤدون جوابا إلا مسندا إليه . وفى الحديث المروى فى صحيح البخارى : " وأعطى أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا به " .

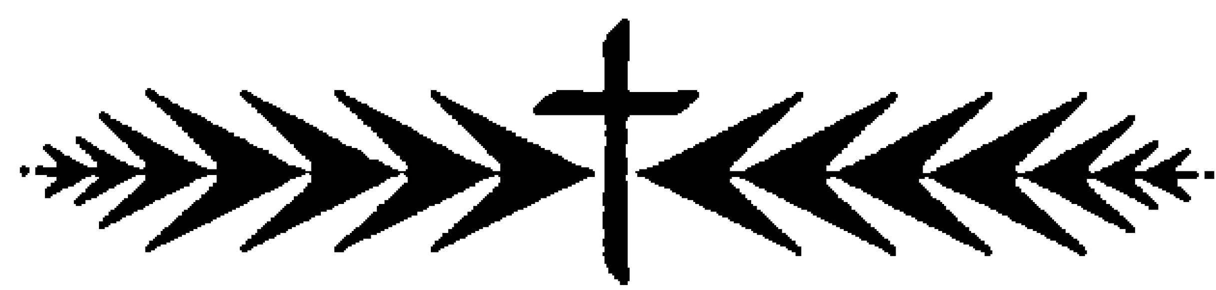
(٥) هذا ، و قد كان المسيحيون أحرص من اليهود على سلامة كتبهم من

التغيير والتبديل ، فقيل أنهم كانوا يحفظونها ويحملونها معهم ويوصون بأن توضع معهم فى قبورهم ، وكانوا يؤثرون الموت على تسليمها لغير المؤمنين . وروى أن بعض مؤمنى أفريقيا سمعوا أسقفهم مرة يستبدل كلمة " سرير " فى قصة المفلوج بكلمة " فراش " فاحتجوا عليه احتجاجا شديدا . وإذ حرّف كاسيانوس الهرطوقى نصا من الإنجيل ، أجابه أكليمندس الإسكندرى بما ترجمته : " إن هذا النص مزور لأننا لا نجده فى أناجيل المسيح الأربعة " . لا سيما وفى الكتب الإلهية لعنات شديدة لكل من يزيد عليها أو ينقص منها (رؤ ٢٢ : ١٨و١٩) . وكان يوستينوس يعتبر هذه الجريمة كعبادة العجل الذهبى . وكان القديس دنيس ، ومثله كثيرون ، يدعو الذى يجرؤ على تحريف الإنجيل رسول الشيطان . وأراد إيرونيموس أن يترجم الإنجيل ترجمة مضبوطة الألفاظ ، ولكنه خشى أن يفعل ذلك لئلا يحسبه المؤمنون مجرما لشدة احترامهم لنصوص الكتاب .

ومن يطلع على تاريخ تقلب العلماء بشأن الأناجيل ، يدرك لأول وهلة أنهم حاولوا أن يضعفوا من شأنهم ، ولكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلا. قال مؤلف كتاب " الإنجيل الشريف " :

" هزأ ڤولتير فاعتبر السخرية برهانا . فجاء إيخبورون وبولس الألمانيان وعجبا من طياشة ڤولتير وجماعته وردا عليه ، لكنهما طلبا طريقة أخرى لتزييف الأناجيل ، فبحثا بجد وارتأيا أن حل المشكلة الإنجيلى ونكران الدين النصرانى يتمان بنكران كل أعجوبة فى الإنجيل وشرح ما يحسب عجيبا بالإختراعات الطبيعية ، وما عتم أن قام ستروس وهزأ من ' تأويلاتهما الباردة ' - هذه هى كلمته - واخترع التأويل التخيلى ، فادعى أن أخبار الإنجيل ، بل شخص المسيح بالذات ، ليس إلا وهما وتخيلا ، ولذا لا بد من أن يكون قد عرف الخبر وكتب الإنجيل لمائتى سنة على الأقل بعد تاريخ المسيح لتعطى المخيلة مجالا لاختلاق هذه الأخبار . وقام بور وحلقة علماء توينغ فأنكروا كل ما سبق وقسّموا أخبار النصارى

إلى حزبين : الحزب البطرسى والحزب البولسى ، ونظموا التاريخ كما شاءوا ، و نسبوا قسما منه لبولس الرسول و قسما لبطرس إثباتا لمبدئهم . فضجك منهم الملحدون الفرنسيون و غيرهم من المتأخرين واختاروا فى المذاهب السابقة ما طاب لهم اختياره ، إلا أن العصريين يضحكون اليوم من جهل رنان و ذويه ، فيقولون أن رنان ليس مؤرخا و لم يكتب تاريخا ، لكنه قصصى روائى يكتب رواية خيالية بناها على الحدس و التخيل ، و لا ندرى ماذا سيقولون بعد ذلك . كل هذا برهان واضح على صحة الأناجيل واضطرابهم .



الباب السادس

الإعتراضات على صحة الأناجيل

<+>

أولا : أن إنجيل يوحنا يختلف عن الأناجيل الثلاثة الأخرى لأنها تُسمى المسيح ابن الإنسان وهو يسميه إبن الله .

فنجيب : لا يخفى أن الروح القدس حرك الإنجيليين إلى الكتابة لفائدة العالم . فلم يكن إذن مقصودا أن يكتب أربعة رجال تاريخا واحدا على نسق واحد . بل أن يقصد كل منهم إلى إثبات ألوهية المسيح ببرهان خاص . هذا فضلا عن أن وجود خلاف بين يوحنا وباقى الإنجيليين لهو أكبر دليل على أمانة يوحنا ، لأنه كتب بعدهم واطلع على كتاباتهم . فلو لم يكن أمينا ، ولو كان مسوقا بدافع جسدانى ، لتحرى أن يأتى فى كتابه على ما يُشتم منه رائحة خلاف بينه وبين من تقدموه من الإنجيليين . ثم أن الخلاف بين يوحنا وإخوانه نشأ من أنهم كتبوا فى وقت أرادوا فيه أن يحيطوا العالم علما بحوادث المسيح وحياته التى هى أكبر برهان على لاهوته . أما يوحنا ، الذى كتب إنجيله سنة ١٠٠م ، وكانت قد ظهرت بدع فى الكنيسة مؤداها إنكار لاهوت المسيح ، فإنه أراد أن يُفند زعمهم ، وبنى إنجيله على إثبات هذه الحقيقة .

ثانيا : أن بين الأناجيل اختلافات عديدة :

(١) فى ترتيب الحوادث .

(٢) فى تفصيلها .

(٣) فى إيراد أقوال المسيح .

فنجيب :

(١) ليس ترتيب الحوادث التاريخى هو كل ما يجب أن يعنى به المؤرخ ، فالمؤرخ يرتب الحوادث حسب غايته من كتابة تاريخه . وهذا ما جرى فى ترتيب الحوادث فى الإناجيل . فمتى ، لأنه كان يريد أن يقنع اليهود بصدق رسالة المسيح ، رتب إنجيله ترتيبا منطقيا ، أى أنه جمع حوادث المسيح التى يريد بها إثبات أن المسيح هو مسيا اليهود المنتظر . ومرقس قد اهتم بأن يكتب ما فى فكره عن المسيح لأن يدون حوادث مرتبة ، وهذا ما يسميه العلماء بالترتيب النفسى . ولوقا راعى الترتيب التاريخى لأنه كان يكتب لقوم يفيدهم السير على هذا المنوال . هذا ، والشرقيون أقل عناية بترتيب الحوادث تاريخيا . كما أن الإنجليين لم يكونوا يقصدون أن يكتبوا تواريخ عالمية تغلب عليها شروط العلم والبلاغة ، بل أن يبلّغوا العالم رسالة دينية ، فلا يُنتظر منهم أفضل مما قاموا به . فليست الأناجيل تواريخ ووقائع مرتبة على ترتيب زمَان وقوعها . بل هى بعض قضايا عظمى انتخبت من عدد أكبر لم يُذكر . فزمان هذه الوقائع ومكانها لا يتعلقان بقصد أصحاب الأناجيل ، ولهذا نجدهم تارة ينظرون إلى ترتيب الزمان ، وتارة بما يتعلق بمعنى ما سبق من الكلام ، وتارة إلى أمور أخرى . ولهذا نجد أن أكثر التناقض الذى يدعون وجوده فى الأناجيل إنما هوناشئ عن ترك بعض الكتبة لبعض الأشياء ، ومن ملاحظة أحدهم قسما من تاريخ المسيح لم يلاحظه الآخر . ومعلوم أبدا أن الترك لا يصح عليه اعتراض ، وهو غير وارد فقط فى كتابات كتبة مختلفين ، بل فى كتابات كاتب واحد أيضا كما يظهر ذلك لدى مقابلة كتاباته بعضها ببعض . ولا يخفى أن هذه التناقضات تقل فى كتابة الناس للتواريخ عما هى فى كتاباتهم للتقارير المختصرة التى أناجيلنا ضرب منها ، أعنى حيث يتحرون أن يأتوا فى ترتيب الوقت على خبر تام عن كل ما هو ذو بال ، بل ينظرون فقط إلى ما يخطر على بالهم من الأعمال والخطب ، أو ما تعلق بقصدهم الخصوصى وقت الكتابة .

(٢) أما عن تفصيل الحوادث ، فكان كل إنجيلى يروى الحادثة بالصورة التى أثرت بها فى نفسه وللغاية التى يروم أن يتممها . فكل منهم كان يختار من الحادثة ما يحقق به أغراضه الخاصة . هذا ، ولكل لغة وعصر اصطلاحاتهما ، فلا ينبغى أن نقيس نظام كل العصور على عصرنا الحاضر . فمثلا ، قال السيد المسيح : « لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا ينبغى أن يكون ابن الإنسان فى بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال » (مت ١٢ : ٤) . كان اصطلاح اليهود فى تلك الأيام أن يحسبوا الجزء من النهار نهارا كاملا والجزء من الليل ليلا كاملا ، أنظر (١ صم ٣٠ : ١٢و١٣ وتك ٤٢ : ١٧و١٨ و ٢ أى ١٠ : ٥و١٢ و هو ٦ : ٢) ، وعلى ذلك يصح أن يكون معنى قوله « ثلاثة أيام وثلاث ليال » يوما كاملا ، أى أربع وعشرين ساعة ، وجزئين من يومين آخرين مهما كان ذانك الجزآن صغيرين . وليس هذا التفسير من اختلاق المسيحيين ، كما يزعم أعداء دينهم ، للتوفيق بين نبوءة المسيح وإتمامها ، فإن ذلك مبدأ فى كتاب التلمود - أقدس كتب اليهود عندهم بعد كتاب الله - ففيه أن إضافة ساعة إلى اليوم تحسب يوما آخرا ، وإضافة يوم إلى سنة تحسب سنة أخرى ، وهكذا كان الأمر فى زمن أستير (اس ٤ : ١٦ و ٥ : ١) . ولولا ذلك لاعترض اليهود على المسيحيين وادعوا كذب مسيحهم لعدم إتمام وعده بقيامته صباح اليوم الثالث ، ولكن ، لإقرارهم هذا المبدأ ، لم يأتوا الإعتراض قط .

وكل الذين درسوا اصطلاحات العصر الذى كُتبت فيه الكتب المقدسة قرروا أنه لم يرد فيها ما يُطعن فيه .

(٣) أما عن اختلافهم فى رواية أقوال المسيح فسببه :

أ) أنهم راعوا أن يوردوا المعنى لا الحرف . فمثلا متى قال أن يوحنا المعمدان قال عن المسيح : « لست أهلا أن أحل حذاءه »

(مت ٣ : ١١) ، وقال مرقس ولوقا : « أنحنى وأحل سيور حذائه » فالمعنى المقصود واحد ، أو لعل يوحنا قال كلتا العبارتين . ثم أن متى استعمل فى تعبيره عن " فِلْس " Obolos ولوقا Quadrant لما قال المسيح : « لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير » . والكلمتان عن عملتين صغيرتين مختلفتين إلا أن المعنى محفوظ وهو « أنك لا تخرج حتى توفى أقل دين » .

ب) أن فى بعض الأناجيل أقوال المسيح مجموعة معا ، فكان إذا تكلم الإنجيلى عن أمر جمع كل ما قاله المسيح عنه فى مواضع متفرقة ليصل إلى تحقيق غرضه . ومعظم الخلاف الذى يراه البعض بين الإنجيليين سببه :

١- أن الأناجيل كتبت منذ ألفى سنة بلغة لا يتكلم بها أحد الآن ، وبين أناس عوائدهم مختلفة عما هى عندنا الآن ، ولقلة معرفتنا بهذه الأحوال ، لا نستطيع فهم الكثير من المشاكل .

٢- ولا عبرة بتدوين معجزة يُذكر عدد الذين انتفعوا بها ، لأن المعجزة تبقى معجزة سواء أعطى البصر لأعمى واحد أو أكثر . أو أخرج الشيطان من واحد أو من كثيرين . وإن كان مؤرخ ، فى ذكره أعجوبة ، يختار أن يذكرها كما حدثت فى شخص واحد لسبب من الأسباب ، ومؤرخ آخر يذكر وقوع تلك المعجزة فى شخصين ، فلا تناقض فى ذلك البتة . نعم ، لو ادعوا الأخبار بعدد جميع الذين شفوا واختلفوا فيه لصح الإعتراض ، ولكن ذلك لم يكن غاية الإنجيليين . وإذا كان إنسان يريد أن يظهر براعة طبيب بأنه أبرأ على طريقة غريبة من كان أعمى زمنا طويلا ، لا

ينتج من ذلك أنه لم يشف غيره . وإذا أخبرنا آخر بالتفصيل عن كل من أبرأهم ذلك الطبيب ، فلا تناقض بينهما ، بل الفرق يكون أن الأول يختار واحدا من كثيرين والآخر يذكر الجميع .

٣- أكثر المشاكل فى الإنجيل تقوم من خلط الأشياء المتميزة ، فإن الأخبار المختلفة قد تتشابه فيحسبها البعض خبرا واحدا . فمثلا ، أخبرنا أحد الإنجيليين أن المسيح أطعم الجموع مرتين ، وكان عدد الخبز والجمهور مختلفا فى المعجزتين . فلو ذكر إنجيل معجزة وذكر آخر الثانية لكنا نحسبهما مختلفتين .

وأكثر ما يقع من مزج الأشياء المتميزة من الخلاف ، يكون عندما يصحب الأمر أحوال وحوادث كثيرة تلى بعضها بعضا ولا يذكر المخبر سوى البعض منها . ويصح هذا القول خاصة فى قيامة المسيح لأن أخبار الإنجيليين فى ذلك مختصرة ، فلا يُذكر فيها إلا القليل من الحوادث الواقعة منها ، مع أن الحال يقتضى أنها كانت حركة عظيمة جدا بين التلاميذ ، وجرى سريع من مكان إلى آخر للأخبار بما حدث ، واجتياز بالغير لتحقيق القيامة ، ومن ثم لا عجب إذا تراءى كأن قد وُجد اختلاف فى أخبارهم . فإن ذكر كل واحد جماعة من النساء ، مثلا اللواتى أتين إلى القبر ، فيبادر المعترض إلى الظن بأنهن جماعة واحدة ويعترض أنهن وصلن إلى القبر دفعة واحدة وبقين معا ، ولا يلاحظ الإضطراب الذى حصل من الأخبار بما حدث فى ذلك الصباح ، ولكننا فى هذا الأمر وفى أمور أخرى ، قد صرنا مديونين لأعداء الوحى الذين باعتراضاتهم أقاموا أناسا علماء أوضحوا ما كان خفيا ، فلم يبق أثر من الريب .

وهكذا قل فى الخلاف فى نسب المسيح بين متى ولوقا ،

فالمدعون ظنوهما مختلفين ، على أن أحدهما ذكر نسب مريم والثانى ذكر نسب يوسف ، وأن معرفتنا بطريقة تأليف جداول النسب فى تلك الأيام قاصرة جدا ، فلا عجب من ظهور مشاكل فيها . ثم يُحتمل أن هذين النسبين نقلا عن جداول أنساب السبط والعائلة ، إذ لا بد من أنه كان لكل عائلة وصول إلى مثل هذه الجداول لأجل معرفة حقوق الإرث. ولما كانت هذه الجداول المشهورة مقبولة عند الجميع ، وافقت غاية الإنجيليين أكثر من جداول جديدة يكتبونها هم ولو كانت أكثر تدقيقا وصحة . فالحاصل أن غاية هذه الأنساب إنما كانت برهانا على أن يسوع المسيح كان من نسل داود وإبراهيم ، وتم ذلك بها ، ولا توجد صعوبة لا نستطيع أن نعللها بجهالتنا فى هذا الشأن .

٤- ثم أن الإنجيليين ، بما أنهم كتبوا الوحى بلغتهم أى بلغة البشر ، فيصح لهم أن يستعملوا فى عباراتهم ما تجيزه اللغة لهم حتى إذا لم يتفق معناها الظاهر على معناها الأصلى كما فى الآتى :

أ) بأن تُنسب حادثة لشخص لم يكن سببا مباشرا لحدوثها . فإذا قيل أن هيرودس قتل أطفال بيت لحم ، يفهم أن ذلك بواسطة جنوده . و لما قال قائد المئة للمسيح : « لستُ مستحقا أن تدخل تحت سقفى » لا يمنع أن يكون قال له ذلك بواسطة رسله .

ب) وبأنه ينسب إلى جمع من الناس ما فعله بعض هذا الجمع . فبعض الإنجيليين نسب للتلاميذ أفكارا كانت لبعضهم . وبعضهم ذكر أن اللصين عيّرا المسيح ولعل المعيّر أحدهما . وأن النساء القديسات عملن عملا لعل إحداهن عملته .

ثالثا : أن الحوادث المهمة التى ذكرها الإنجيليون لم يذكرها المؤرخون المعاصرون لهم ، فنجيب بما قاله العلامة أوجين دى بليسى :

(١) إن شهرة العلماء فى ذلك العصر كانت تقتضى - للإنتشار والذيوع لما كان معروفا من وسائل المواصلات البطيئة حينذاك - وقتا أطول مما تقتضيه فى عصر البخار والكهرباء .

(٢) أن اليهود كانوا شعبا يحتقره الرومانيون [١] .

(٣) أن المؤرخين القدماء كانوا يهتمون بالحوادث السياسية بنوع خاص .

(٤) أن المسيحية فى بدء أمرها ظلت فى مكان قصى ، واختلطت بمذاهب حديثة مملوءة بالمتناقضات والعادات التى قلما تستوقف أنظار كُتّاب مقيمين فى رومية . وهذه كلها أسباب تفسر صمت الكُتّاب الوثنيين على فرض أن هذا الصمت كان مطلقا .

وقال أحد الأفاضل : " إن الكافرين يطلبون أحيانا شهادة أعداء الديانة المسيحية مع شهادة أصحابها . ولكن انتظارهم شهادة من الأعداء بصحة ديانة يقاومونها شئ لا يوافق العقل ، فيكون سكوتهم هو كل ما ينتظر منهم ، لأنه إذا كانوا ينكرون تلك القضايا لو أمكنهم ، يكون عدم إنكارهم إياها هو أعظم البراهين التى يمكننا الحصول عليها . نعم إنه برهان سلبى ، ولكن يجب أن لا ننتظر دليلا من أعداء الإنجيل إلا ما كان سلبيا أو أتى على سبيل العرض " .

وإذا فحصنا جميع مؤلفات الوثنيين ، لا نجد فيها البتة ما ينفى صحة هذه الأخبار . فلو فرضنا أن هذا لم يكن صحيحا ، هل كان ممكنا أن

---

(١) حتى أن كلسرس الفيلسوف الوثنى أنف أن يذكر الشعب اليهودى ضمن الشعوب القديمة المتمدينة معتبره شعبا همجيا ، وقد عاب عليه أوريجانوس ذلك .

أهل أورشليم والمؤرخين والوثنيين يتقاعدون عن تكذيبه ؟ وهل يبقى كتاب متضمن هذه الأكاذيب ساعة واحدة ؟ فعدم وجود إنكار لهذه الأخبار هو برهان قوى على صحتها .

كما أنه لا بد أنه فُقدت كتب كثيرة من تلك الأجيال القديمة ربما كانت هذه الحوادث مذكورة فيها .

ثم أن الإعتراض على الشهادة من حيث قلة عدد الشهود لا اعتبار له ، لأن أكثر القضايا التى وصلت إلينا بواسطة التاريخ الثابت ، لا يشهد لها أكثر من مؤرخين أو ثلاثة إلا نادرا . وكثيرا ما تُقبل شهادة واحدة إذا كانت جميع أحوال القضية المشهود لها توافق ذلك . وأما هنا ، فلنا أربعة شهود مستقلون لهم معرفة تامة بما شهدوا له . فمثلا ، لم يُشر يوسيفوس أن هيرودس قتل أطفال بيت لحم ، لكنه يذكر عنه فظائع لا عدد لها حتى قال أحدهم : " إن قتل أطفال بيت لحم كان أقل ما عمله هيرودس من الفظائع ، فأهمله يوسيفوس " ويؤيده ما ذُكر من قتل أولاده فلا يبعد أن يقتل أولاد الغير . هذا ، وقد مر بنا أن كثيرين من الوثنيين واليهود قرروا حدوث الحوادث التى رواها الإنجيل .

رابعا : قالوا أن الإنجيليين رووا حوادث يعارضها ما وُجد فى كتب التاريخ العالمية المعتبرة : فنجيب أن الذى يقرأ الكتب المقدسة بعين ملؤها الغرض ، يستطيع أن ينتقدها بما يشاء . وقد ثبت بالبحث أن كل ما اعتُرِضَ به على تلك الكتب لم يكن على أساس . فمع أن الكتب المقدسة كتبت فى عصور لم يكن فيها الإهتمام بكتابة التواريخ شاملة وملاحظا فيه الدقة ، إلا أنه قام بين علماء الدين من استخرج من الآثار والتواريخ القديمة ما حقق به كل الحوادث التاريخية الدينية . فمثلا ، إعترضوا على قول لوقا فى ص ٢ : ١ و ٢ : « وفى تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة و هذا الإكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية » فقالوا :

(١) إن أوغسطس قيصر لم يأمر باكتتاب .

(٢) لو أمر ، لما شمل اليهودية لأنه كان لها ملكا هو هيرودس .

(٣) إن كيرينيوس لم يعين على سورية إلا بعد ولادة المسيح بسنين . فالعلماء المسيحيون أثبتوا : " أن المؤرخين لم يذكروا أيضا التعدادات التى أمر بها سابقا يوليوس قيصر " ثم وجدوا فى مدخل هيكل أنسير كتابة أثرية عن الحوادث التى وقعت فى ملك أوغسطس فيها إشارة إلى ثلاثة تعدادات أحدها تاريخه سنة ٤٦٧ ق. م. لبناء رومية ، أى قبل ولادة المسيح بسنين . ثم وجدوا فى تاريخى تاسيتوس وسوتيون بأن أوغسطس أمر بعمل جدول مختصر للإمبراطورية . أما عن شمول الإكتتاب لليهودية ولها ملك ، فاستقلال اليهودية كان إسميا وكان ملكها خاضعا للقيصر . ثم أن تاسيتوس وسوتيون ذكرا أن الجدول الذى أمر به أوغسطس إشتمل على عدد الرعايا الرومانيين وحلفائهم القادرين على حمل السلاح ، وعدد الممالك والولايات إلخ . أما قولهم أن كيرينيوس لم يُعين نائبا على سورية إلا بعد ولادة يسوع بسنين ، فيفسره يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى قال : " إن كيرينيوس عُيّن على اليهودية مرتين الأولى فى وقت ولادة يسوع وفى هذا الوقت عمل اكتتاب " . واكتُشف فى تريفولى جزء من كتابة قديمة ، قال علماء الخطوط التاريخية الموثوق بهم أنها لكيرينيوس ، وقد جاء فيها : " أنه نائب لأوغسطس على سورية وفينيقية للمرة الثانية " . فالإكتتاب إذن كان فى توليته الأمر أولا كما قال لوقا .

ثم اعترضوا على قول لوقا أيضا عندما أراد أن يؤرخ مجئ المسيح : « فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر » ذكر أن « ليسانيوس رئيس ربع على الابلية » (لو ٣ : ١) فقالستروس أن " ليسانيوس قُتل قبل ميلاد المسيح بثلاثين سنة مع أن لوقا جعله رئيس

ربع بعد الميلاد بثلاثين سنة ، أى أنه أخطأ فى ستين سنة " . قال العلامة أوجين دى بليسى : " إن ستروس هو المخطئ ، فقد كان فى إبيلينيه شخصا إسمه ليسانياس معاصرا لأنطونيوس ، وهو الذى ذكره يوسيفوس وأورده ستروس . أما الكتابة التى اكتُشفت فى أبلا ، وتاريخها يرجع إلى نحو سنة ٢٩ ميلادية ، فقد ذكرت ليسانيوس آخر كان معاصرا لطيباريوس " .

واعترضوا على قول لوقا : « فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر . لما ابتدأ المسيح كان له نحو ثلاثين سنة » (لو ٣ : ١ و ١٣) قالوا : لو فُرض أن المسيح وُلد فى عصر هيرودس كقول متى ولوقا ، يكون عمره فى سنة ١٥ لسلطنة طيباريوس لا أقل من ٣١ سنة كقول يوسيفوس ، وإن كان قد وُلد كقول متى قبل موت هيرودس بسنة أو اثنتين ، يكون عمره وقتئذ ٣٢ أو ٣٣ سنة ، ولكن رأى العلماء أن كلمات لوقا تدل على الأعم وهو أن « يسوعَ ابتدأ حينئذ أن يكون له نحو ثلاثين سنة » أى أن عمره كان نحو ثلاثين سنة لما ابتدأ فى وظيفته . هذا ، وإن كلمته (نحو) تفيد كل ما نحن بصدده .

خامسا : يقولون أن كثيرين من المنتقدين العصريين ينكرون صحة الأناجيل . ولكن هؤلاء المنتقدين لا يقاسون بألوف من المسيحيين ممن قرروا صحة الأناجيل قديما وحديثا ، وأخصهم من غير المؤمنين رينان ، فقد اعترف بأن : " الأناجيل الثلاثة الأولى وثائق معتبرة " . وقال جوليشير : " أنها كوثائق عن تاريخ يسوع ذات قيمة عظيمة لا مثيل لها " . واعترف هرنك كبير علماء النقد بأنها : " لا تزال حقا تقليدا فريدا فى بابه " . وكتب فى موضع آخر يقول : " لقد جاء حين من الدهر كان الناس يعتبرون فيه الكتب المسيحية الأولى ، وفى جملتها العهد الجديد ، نسيجا من الأكاذيب والتزويرات ، ولكن ذلك الزمن مضى ، وما كان فى نظر العلم إلا فقرة تفقه كثيرا فى أثنائها ، وأصبحت كتب الكنيسة الأولى فى مبادئها العامة وفى الجانب الأكبر من جزئياتها ، صادقة من الوجهة التاريخية

وجديرة بالإيمان " . وقد قال بابينى : " ليست من حياة للمسيح ، ولو أنها مكتوبة بقلم أنبغ كتّاب العالم ، يمكن أن تسمو على جمال الأناجيل وكمالها " .

سادسا : قال ستروس : " كل دين عند اليونان و الرومان والهنود وغيرهم يبتدئ بالأوهام ، أى بأقاصيص يعرض فيها فكر أدبى أو حادث طبيعى إلخ ، يعزى لإنسان لم يوجد قط ، وكذلك فى زعمه الحكم فى الدين المسيحى ، فإن كل ما يلائم الناس معزو فيه إلى يسوع المسيح " . فنجيب بناء على ذلك :

(١) يلزم أن الوهم هو الذى غيّر العالم بأسره وردّه إلى الدين المسيحى ، وأن مختلقى الوهم بذلوا دمهم فى سبيل ما توهموه ، وتبعهم ألوف من العقلاء .

(٢) نعم ، لقد نشأت الأديان الكاذبة فى أحضان الوهم ، لأنها قامت فى أوقات مظلمة لم ينتشر فيها النور . أما الدين المسيحى ، فقد نشأ فى عصر فتحت فيه العيون للبحث والتنقيب ، ولم يؤمن بالمسيحية البسطاء والأغرار فقط ، بل آمن بها بولس البيانى ولوقا الطبيب وسرجيوس بولس الوالى الرومانى ، وكانوا من أكابر الناس عقلا وأدبا . وهل يستطيع من به قليل من العقل أن يضع قصص الأديان الوهمية مع قصة يسوع المسيح الحية المطبوعة عليها سمات اللطف والجلال العاريين من كل تكلف ؟ .

(٣) إن قيل أن نابليون لم يوجد ، فهل هذا ينفى وجوده ؟ . وإن قيل أن آثاره الباقية حجة على أنه وُجد ، فنقول أن الكنيسة والجماعة المسيحية بأسرها أقوى دليل على أن يسوع المسيح ، كما تصوره لنا الأناجيل ، حقيقة لا يشوبها ريب .

سابعا : قالوا إن وجود أناجيل كاذبة ينقص قيمة الأناجيل الصحيحة .

فهم كمن يقول : من النقود ما هو مزيف إذن لا نقود صحيحة . وبطلان هذا القياس ظاهر والصادق عكسه . قال بسكال : " من الأناجيل ما هى صحيحة ، إذن قد وجدت أناجيل غير صحيحة . يوجد أناجيل مزورة لوجود أناجيل صحيحة " . وقال رنان : " إن هذه المؤلفات (المزورة) لا ينبغى أن تُقابل بوجه من الأوجه مع الأناجيل القانونية ، فإنها ليست إلا شروح مبهمة وصبيانية مبنية فى الغالب على الأناجيل القانونية لا تُزيد عليها شيئا يُؤبه له " . وقال أوريجانوس ، وهو من رجال القرن الثانى : " للكنيسة أربعة أناجيل، وللمبتدعين أناجيل عديدة ". وقال ترتوليانوس: " إن الكنيسة حرمت أسقفا وطردته من كرسيه ، لأنه ألف كتيبا ورغب فى رواجه فعزاه إلى بولس الرسول " .

وبالجملة ، فإن ظهور كتب مزورة إلى جانب الكتب الإلهية منسوبة إلى نفس الذين كتبوها ، تُظهر قدمية الكتب الصحيحة عن الكتب المزورة التى ظهرت فى القرنين الثانى والثالث ، ووجودها يثبت وجود الكتب الإلهية وإلا لما تمثلوها . ومؤلفو تلك الكتب قد قصدوا نشر آرائهم تحت ستر سلطة رسولية ، أو أن يضيفوا على كلمة الله الطاهرة ما اخترعته مخيلتهم من الأوهام ، فبعضها يحوى مقتطفات من كلمة الله وبقايا تقاليد قديمة ، ولكن أكثرها حكايات باطلة سخيفة رفضتها الكنيسة كل الرفض كأسفار مزورة منذ ظهورها . وقلما امتد شئ منها خارج نقطة إنشائها . ويظهر جليا أن أقدم هذه البشائر المزورة وُجد سنة ١٥٠م وإذ ذاك ، فلا بد من مرور سنين لانتشار البشائر الأصلية ، وذلك يردنا على الأقل إلى أواخر حياة يوحنا الرسل سنة ٩٨م . إن يوحنا الرسول نفسه لا بد أن يكون قد اطلع على الأناجيل الثلاثة التى كُتبت قبله ، بدليل أنه تحرى أن يذكر فى إنجيله ما لم يرد ذكره فى تلك .

وكتب الرسل كانت شائعة ومعروفة ، حتى أن بطرس اطلع على رسائل بولس وذكرها بقوله : " كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضا بحسب الحكمة المعطاة له . كما فى الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن

هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير الثابتين لهلاك أنفسهم (٢ بط ٣ : ١٥ و ١٦) . ومما لا ريب فيه أن كثيرين من المبتدعين فى كل عصر ، يحاولون أن يدسوا بدعهم فى كتب المعتبرين بين الجمهور . وكل كاتب شهير أو زعيم دينى يُنسب إليه كثير مما ليس له . وسورة النوريين التى يعتبرها الخوارج من المسلمين وفيها مدح الأمير على قصتها مشهورة . ومسيلمة ، كما يُعرف ، حاول أن يقلد نبى المسلمين فى قرآنه ، وكذا قيل عن خويلد وطليحة وسجاح . والأحاديث المنسوبة زورا إلى نبى المسلمين لا يحصيها عد ، منها ٣٠ ألف حديث ابتدعها أبو موسى الطويل . وأثناسيوس الرسولى وذهبى الفم وباقى آباء الكنيسة ، كلهم زُورت بإسمهم كتب . ولكن الكتب الصحيحة ظاهرة وكذا المزورة ، ومثل ذلك فى كل زمان ومكان كثير .

ثم أن الكتبة الوثنيين واليهود الذين كتبوا ضد المسيحية فى الجيل الثانى ، لم يستشهدوا بكتاب مزور إطلاقا ، بل كل استشهاداتهم وُجدت من الكتب المعتبرة الآن . هذا ، وعندنا أدلة كافية على أن الأناجيل الأربعة جُمعت فى العصر الرسولى ، وربما جمعها يوحنا الرسول نفسه آخر كتبة الأناجيل ، لأنه كتب إنجيله نحو سنة ١٠٠م فى أفسس ، وكانت الحاجة تدعو إلى جمعها نظرا لأنها كانت تُقرأ فى الكنائس . وهذا واضح من قول يوحنا نفسه فى سفر الرؤيا : « كل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب إلخ » (رؤ ٢٢ : ١٨) فهو يعرف بأن كتبه كانت تقرأ وتسمع . وهكذا كتب الرسول بولس لأهل كولوسى يطلب أن تقرأ رسالته فى لادوكية (٤ : ١٦) . وقال يوستينوس الشهيد الذى كان فى بدء القرن الثانى : " فى اليوم الذى يقال له الأحد ، يجتمع جميع المسيحيين الذين يسكنون المدن والقرى ، وتتلى أخبار الرسل وكتاب الأنبياء " . وقال ترتوليانوس : " وكانوا يجتمعون لكى يقرأوا الكتب المقدسة والصلاة " . وشهد بذل كبريانوس . وأقدم من ذلك ، شهادة ديوناسيوس الأريوباغى الذى آمن على يد بولس الرسول فى أثينا .

ثم أن علماء المسيحية الأولين إقتبسوا فى كتبهم من الأناجيل الصحيحة ، ولم يقتبسوا من أحد الكتب المزورة مطلقا . وقد بحث أعداء الكتاب فى هذا العصر كل كتب الآباء القدماء علهم يجدون فيها شاهدا من كتاب مزور ، فلم يهتدوا إلى ذلك ، بل وجدوا أن جميعهم استشهدوا بما جاء فى رسالتى بطرس الصحيحتين ، ولم يجدوا أدنى إشارة إلى الكتب المزورة بإسمه كرؤياه وإنجيله . قال تيشندروف المكتشف للنص السيناوى ، والناشر لعدد من المخطوطات القديمة : " يحق لنا أن نجعل فى ختام القرن الأول لميلاد المسيح ، لا تأليف الأناجيل الأربعة فقط ، لكن ضمها إلى بعضها فى مجموعة أو جسم قانونى " . وقال رنان الجاحد : " إنى أقرأ أن الأناجيل الأربعة هى تقريبا تأليف الكتّاب الأربعة الذين تعزى إليهم " . وقال الملحد الشهير هرناك : " لا بد من أن يقر العارفون والدارسون أن الترتيب التاريخى الذى جعله التقليد للآثار المسيحية الأصلية ، أى للأناجيل الأربعة ، لهو ترتيب صادق . ومن ثم يضطر المؤرخ أن يرضى به كما هو وأن ينكر كل ما يخالفه " .

ثامنا : يعترضـون بوجـود خلاف بين القراءات العديدة للأناجيل . فنجيب : معلوم أن فن الطباعة لم يُعرف إلا منذ عهد قريب ، وكانت الواسطة الوحيـدة لنشر الكتب أن تُنسـخ بأيدى كتبة . ومعلوم أن الأناجيل قد نُسخت مرارا بأيدى نساخ كثيرين حتى بلغ منها ما يزيد على مائتى ألف نسخة ، ولذلك تعتبر سلامتها من تغييرات زهيدة ضربا من المحال ، وإذا كانت الكتب المطبوعة يظهر فيها خطأ ، فكم بالحرى ما يكتب باليد ؟ . وحفظ الكتب المقدسة سالمة سلامة مطلقة لم يكن ممكنا إلا بمعجزة دائمة ، والشئ الذى يعرف بالبحث ويوصل إليه الإجتهاد ، لا يوجد الله فيه معجزة . فلذلك وجدت جملة قراءات مختلفة للإنجيل ، ولكن الذين وقفوا على مختلف هذه القراءات ، شهدوا بأن الإنجيل وصل إلينا كما أعطى من الله العلى .

إن الله لما أراد أن يعلن إرادته للناس ، إستعمل النواميس العمومية لهذه الغاية ، وفعل ذلك بموجب المجرى الإعتيادى فى حكم عنايته على قدر مناسبة تلك النواميس فى إظهار قصد رحمته . نعم أن إعلان الحقائق الإلهية يتطلب مداخلة فائقة للطبيعة ، و كل ما نجده أن الله ، فى إعطاء الديانتين اليهودية والمسيحية ، لم يفرط فى العجائب حيث لم تكن لازمة . وهكذا الأمر فى الوحى بالكتب المقدسة ، فيجب أن نعلم أن الله لم يقصد إملاء ما يريده معنى ومبنى ، فلا يكتب الرسول إلا الألفاظ التى يسمعها بأذنيه من السماء ، فالوحى هو إعلان مشيئة الله وإرادته على أنبيائه ورسله ، فيمكن للرسول أن يضع الفكرة التى أوحيت إليه فى أسلوب لغوى خاص به . ولهذا ترى فى كتابة كل كاتب روحه الخاصة ولهجته الخاصة التى أنشأتها تربيته أوثقافته . فلو أراد الله ، لاستطاع أن يطبع كلامه فى وجه السماء لكى يقرأه كل واحد ، وكان ممكنا أن تحفظ نسخ الرسل فى الكنيسة لنصلح عليها القراءات المختلفة العديدة . ولكن ، كما قلنا ، إن الله لا يجرى معجزة إلا إذا دعت الضرورة . قال العلامة بنستللى، وهو من أشهر مدققى الإنجليز : " إن متن الكتبة الأطهار الصحيح ليس موجودا الآن (بعد فقد المتون الأصلية بزمان طويل بهذا المقدار) فى نسخة أو ترجمة ، بل متفرق فى كل النسخ والترجمات . وإذا أخذنا أحقر النسخ وأردأها ، فالمتن مضبوط على قدر ما يكفى لتتميم غاية الكتب ، وليس شئ من المبادئ الأدبية ولا من قواعد الإيمان مفقودا منها ولا محرفا " . قال أيضا : " هات جميع القراءات المختلفة ، فذلك مما يسر الدارس الحاذق المتعمق ، لأنه يحصل من ذلك على وسائط أكثر لاختيار ما يراه أصح ، أو سلم هذه الإختلافات بجملتها إلى أيدى إحمق جاهل ودَعْه ينتخب أعظمها ، فإنه مع ذلك لا يستطيع أن يطفئ نور فصل من الكتاب ولا يُظلِم الديانة المسيحية ، بل تبقى كل حقائقها ومبادئها كما هى " .

ولما فرغ العلامة كنيكوت من عمله العظيم فى مقابلة النسخ العبرانية ، سأله الملك جرجس الثالث عن خلاصة تعبه هذا العظيم فأجاب :

" أنه وجد اختلافات عديدة وبعض الغلطات النحوية ، ولكنه لم يجد واحدة لها أدنى تأثير فى عقائد الإيمان أو فى العمل " . بل ما وصل إليه الباحثون ، أنه لم يصل إلينا كتاب صحيح مصحويا بوسائط لإصلاح غلط الخطأ كالكتب المقدسة . والإختلافات التى وجدها المعلمون فى مقابلة النسخ القديمة ، ليس واحدة من ألف منها تستحق الإعتبار لأنها طفيفة جدا من حيث أن أكثرها يكون : إما من جهة الهجاء ، أو فى ترتيب الكلمات، أو فى استعمال الألفاظ المترادفة ، فلا يختل المعنى بذلك أصلا . وقد كتب الدكتور چون مونروكيبسن يروى تاريخ البحث فى مقابلة نسخ الإنجيل يقول : " ولكن يقول قائل أن نسخ الخط الأصلية ليست بموجودة عندنا . هذا أمر مسلم به لا جدال فيه ، كما أنه لا وجود لنسخ ڤرچيل وچوڤينال وسينيكا الأصلية ولا لغيرهم من كتبة تلك العصور . فأية بينة عندنا إذن على صحة النسخ الدارجة ؟ الجواب : نفس البينة الموجودة على كتب المصنفين القدماء من العلم والتاريخ . إنما بينات الأسفار المقدسة أقوى من تلك بعشرة أضعاف لأن عدد نسخها أوفر جدا من كتب سائر المؤلفين . على أنا لا ندعى للنساخ العصمة ، ولكن إذا نظرنا لها نظرا إجماليا ، حكمنا بصحتها العجيبة لوجود اتفاق كلى بين مجاميعها الوفيرة . والخلاف إنما هو فى أمور زهيدة لا يعتد بها . هب أن عندك خمسين نسخة أو مائة من كتاب ' حفظ الصحة ' ، ألا يتيسر لك بالمقابلة استخراج نسخة صحيحة منها ، وإن لم يسلم أحدها من الخطأ لأن الكتاب لا يسقطون جميعا فى ذات الأغلاط نفسها ؟. فإذا رأيت أحدهم ترك كلمة مثلا حال كون التسعة والأربعين أثبتوها ، لا يداخلك ريب قط بوجوب إثباتها . وإذا أثبت أحدهم لم يذكرها التسعة والأربعون ، حكمت على الفور أن تلك الجملة لم تكن فى أصل الكتاب . ومعلوم أن صحة الكتاب تكون بنسبة عدد النسخ وتفرقها عن بعضها . لأنك بعد تدقيق النظر فى مقابلتها ، تستطيع إصدار نسخة صحيحة طبق الأصل " .

" ولا يخفى أن منذ نحو مائة وخمسين سنة ونيف ، شاع فى العالم أن نسخ الأسفار المقدسة الأصلية لا تتفق فى كل حرف وكل كلمة . فجزع

قد دنت ، وأنه عن قريب تُسمع الكلمة الأخيرة عن تمزيق توراة المسيحيين و انصرام عهدها ، و قالوا بفسادها و تحريفها كلها ، و بعدم وجود ضمانة على كون نسخ اليد الباقية هى النسخ الأصلية الرسولية ، ثم تبع ذلك مقابلة نسخ الخط الأصلية وكابدوا فى هذا العمل مشقة وعناء يفوقان الوصف ، فقابلوا بين ألف وثلاث مئة نسخة خط يونانية إلى ألف وخمس مئة (هذه الشهادة مقتبسة من غوش) فتشوا عنها فى كل مكاتب أوربا وآسيا ، وقابلوها ببعضها كلمة فكلمة وحرفا فحرفا بمزيد الإنتقاد والدقة ، وقابلوها أيضا مع سائر النسخ القديمة فى اللاتينية و الأرمنية و السريانية و الصعيدية و الحبشية و العربية والسلاقونية والغوثية والفارسية ، مع كل الإقتباسات التى اقتبسها من العهد الجديد آباء الكنيسة الأولين فى كتاباتهم التى لا تحصى . وماذا كانت النتيجة يا ترى ؟ تقرير نسخة صحيحة يعول عليها تقريرا راهنا . ولا تزال ترى طوائف المسيحيين قاطبة فى العالم كله ، حتى أشدها مقاومة، تحافظ على الإنجيل اليونانى نفسه ، ولم تستطع النسخ المختلفة إنشاء حزبين يناقض أحدهما الآخر بهذا الموضوع . وعلى ذلك ، أمسى هذا الإنتقاد الدقيق ، الذى كانوا يتوقعون أن يهدم نصوص أسفار العهد الجديد، وسيلة تقريرها على أسس راهنة لا تتزعزع ، على أنهم عثروا ، ولا عجب ، على بعض الآيات المشكوك بها ، غير أنها كانت قليلة ومما لا يعتد به ، ولم تؤثر ، حسب اعتقاد العموم ، على صحة التعاليم الرسولية. وقد أشارت إليها النسخة المصححة إشارة صريحة ، ووضح لكل ذى عينين أن مجموع الحق الخلاصى يظل ثابتا كما كان وإن محيت تلك الآيات الواقعة تحت الريب عن آخرها . و من ثم ، بعد إنفاق العلماء قصارى الجهد فى هذه المقابلة الإنتقادية الدقيقة ونطقهم بكلمتهم الأخيرة ، حصل تأكيد راهن يزيد عن سالفه أضعافا . إذن ، لنا خير الأسباب وأصحها لقبول السبعة والعشرين كتابا المؤلف منها العهد الجديد ، والقول بصحتها وسلطتها الإلهية " .

وأخيرا نقول أنه حتى لو لم تكن لدينا النسخة الصحيحة للكتاب ،

وأخيرا نقول أنه حتى لو لم تكن لدينا النسخة الصحيحة للكتاب ، فإنه يمكن جمع العهد الجديد ، ما عدا آيات قليلة ، من كتبة القرن الأول ، ويمكن جمع ثلثيه من كتابات أوريجاونس وحده .

قال العلامة أوجين دى بليسى : " ولا يخلو من الفائدة أن نذكر هنا الفقرات التى يقوم عليها الإعتراض ، وقد رتبناها ترتيبا تاريخيا ، وهى :

(١) الحَبَل بلا دنس بيسوع : يظهر أن فى نسخة سريانية مخطوطة من الإنجيل ، أنكِر هذا الحبل فى ترجمة العدد ١٨ من الإصحاح الأول من إنجيل متى . ولكن المحقق أنها غلطة فى الترجمة ، ولم يكن قصد كاتبها أن يلقى ظلا من الشك على هذه المعجزة ، بدليل أن المترجم أكد فى آيتين أخريتين فى الإصحاح عينه عذراوية مريم طبقا للنص الأصلى .

(٢) التطويب (لوقا ١ : ٤٦) : نُسب هذا التطويب فى بعض النسخ إلى القديسة أليصابات لا إلى العذراء ، وهى بلا شك غلطة من الكاتب ، لأن جميع النسخ أجمعت على أن مريم هى التى قالت هذه التسبحة .

(٣) ملاك البركة (يوحنا ٥ : ٤) : فى نسخ كثيرة من الإنجيل لم يذكر شئ عنه .

(٤) قصة المرأة الزانية (يوحنا ٨ : ٣ - ١٢) : لم تذكر هذه القصة فى عدد كبير من النسخ ، ولكن من السهل فهم السبب ، فإن النسخ المخطوطة التى كانت تقرأ علنا ، كان يُؤشَّر إلى بعض فقرات منها بأن لا تقرأ أو كانوا يحذفونها . و من هذه الفقرات القصة التى نحن فى صددها ، ومع ذلك فإن لوازى يعتبرها " من أصح ما فى الإنجيل " . قال أوغسطينوس :" إن البعض من ذوى الإيمان الضعيف ، أو بالحرى ناقصى الإيمـان الحقيقى ، قد نزعوها من نسخهم خائفين ، كما أظن ،

من اتخـاذ دليل منها على جـواز هذه الخطيئة " . و هذه القصة موجودة فى الترجمة اللاتينية وهو يعادل عدم وجودها فى السريانية. وعدم وجودها فى الأربع النسخ القديمة يقابله وجودها فى سبع نسخ من الحرف الثلث القديم ، وفى أكثر من ٣٠٠ نسخة من الحرف النسخى الدارج . هذا على أن النسختين الإسكندرية و الإفرائمية ضائع من الأولى من ص ٦ : ٥٠ - ص ٨ : ٥٢ ومن الثانية من ص ٧ : ٣ - ص ٨ : ٢٣ ، فلا يُعلم إن كانت موجودة فيهما أو غير موجودة .

(٥) ما قاله القديس لوقا فى (ص ٢٢ : ٤٣ - ٤٤) وهو أن مخلّصـنا ظهر له ملاك يقويه وهو فى جبل الزيتون ، وأن عرقه صار كقطرات دم نازلة على الأرض . فقد حذفت هذه الفقرة من بعض النسخ . ولعل الناقلين من فرط غيرتهم حذفوها لأنها لا تتفق ولاهوت المسيح (حسب ما فهموا) .

(٦) فى إنجيـل متى (ص ٢٨ : ١٩) أن مخلّصنا قال لتلاميذه إذهبوا و تلمذوا جميع الأمم و عمّدوهم « باسـم الآب و الإبن و الروح القدس » . فهذه الآية لم يروها أوسـابيوس . و لـكن ليس هذا سـببا لإنـكارها فى حين أن جميع النسـخ الأخـرى و الترجمات قد ذكرتها .

(٧) الجـزء الختامى من إنجيـل القديس مرقس(ص ١٦ : ١ - ٢٠) لا وجود له فى بعض النسخ . ولكن القارئ لا بد أن يلاحظ أنه مرتبط بما قبله ارتباطا وثيقا ، حتى أنه لو حُذف ، لكان ختام الإنجيل فى نقطة وقف فجائية جدا . وهذه الأعداد الموجودة فى جميع النسخ اليونانية ما عدا النسختين الأقدم وهما السينائية والفاتيكانية . أما تركها فى الفاتيكانية فواضح من خلو محلها ، لأن ما بين عدد ٨ وعدد ٢١ من هذا الإصحاح ، عامودا كاملا متروكا فارغا ، وهو

العامود الوحيد المتروك هكذا فى كل هذه النسخة . وإيريناوس اقتبس من هذه الأعداد فى القرن الثانى .

(٨) أما الجزء الختامى من إنجيل يوحنا ، فالعقليون ينكرونه ويقولون أن هذا الإصحاح أضيف إلى الإننجيل لأن المؤلف ختم إنجيله فى آخر الإصحاح العشرين . ونحن نقول أن ذلك ليس سببا للإعتراض ولا هو دليل على عدم صحة الإنجيل أو على تحريفه ، إذ أننا نرى كل يوم أن المؤلفين يضيفون إلى كتبهم ما يظنون إضافته ضروريا .



الجزء الثاني

في سر التثليث

✢ † ✢

الباب الأول

في السر

(+)

ما هو السر بحسب تعريف الديانة ؟ « هو حقيقة أعلنها الله فى كلمته، وهى تفوق العقل، ولذلك ينبغى أن نصدقها وإن كنا لا ندركها ». فلا نقول أن السر هو ما يناقض العقل ، بل ما يفوقه ويسمو عليه . والله الذى خلق العقل فينا ، له الحرية أن يعلن لنا من الحقائق ما يسمو على العقل . لذا ، كان لا بد من السر فى الديانة .

وفى وجود السر فى الديانة ، إعلان عظمة الله وسموه وعلو أفكاره عن أفكارنا ، لأننا لو كنا نفهم كل ما يفهمه هو لما فاقنا بشئ . فلكى يشعرنا بأنه كما علت السموات على الأرض ، هكذا علت أفكاره عن أفكارنا وطرقه عن طرقنا . أعلن فى كلمته بعض الحقائق وجعلها فى صورة تسمو بها على مدارك العقل بشئ حتى يكون السر مدركا و مفهوما

من الله ، ومفهوما بحدوده فقط عند الإنسان وغير قابل أن يدرك منه بالنظر إلى الحقيقة التي يعلنها تعالى لكونها تسمو مدارك العقل دون أن تكون متناقضة معه .

فالدين هو علاقة واتحاد بين الله غير المتناهى والإنسان المتناهى . وألا يلزم من ذلك أن يكون هناك فارق فى أمر حقائق الدين بين الله وبين الإنسان ، فتكون فيه حقائق مفهومة من الإنسان لكى يعلم أنها موضوعة للإنسان العاقل ، وحقائق تفوق فهمه لكى يفهم أنها موضوعة من الله . ففى الدين المسيحى وجهان : وجه ظاهر بين قابل الإدراك ، وهو الحقائق الطبيعية والعجائب والنبوات ونشأة النصرانية وديمومتها . وجه غير ظاهر غامض ، وهو ما فيه من الأسرار القليلة التى يتأسس عليها الدين ، ووجودها فى الدين إشعار بأن الدين من الله ، لأنها لو كانت موضوعة من الإنسان لفهمها ، لأن الإنسان لا يخترع شيئا لا يفهمه .

وفضلا عن ذلك ، فإن فى الوجود أسرارا عديدة لا يدرك الإنسان أصولها . فأى إلمام لنا بالمعلومات الرياضية والطبيعية والكيماوية ؟ قال العلامة موانيو : " إننا لسنا على شئ منها أو على ما هو دون الطفيف " وقال أيضا : " إن ما نعرفه معرفة طفيفة غير جلية ولسنا على حكم نهائى فى شئ . فما هو تقدم العلوم وارتقاء المعارف إذن ؟ إنْ هما سوى تكثير المشكلات والأسرار . فالعالم المادى كان لدى آبائنا سرا رباعيا ، أى مؤلفا من أربعة أسرار هى : التراب والماء والهواء والنار ، والماء والهواء كانا لديهم سرين بسيطين أى غير مركبين . أما نحن الذين اكتشفنا ما ينيف على الستين جوهرا ، فقد أضحى العالم لدينا سرا مركبا إزدادت صعوبة إدراكه خمس عشرة مرة عن ذى قبل . وبات الماء لدينا سرا مزدوجا مذ عرفناه مركبا من هيدروچين وأكسچين . والهواء سرا ثلاثيا مذ عرفناه أنه مركب من أجزاء محدودة تقريبا من الأكسيچين والأزوت والحامض الكربونى. ومثل ذلك أشياء كثيرة كالروح والمادة والأثير و الفضاء والزمان والثقل والكهرباء والحرارة والنور وما أشبه من مسميات محاطة بالنسبة إلينا بأسرار غامضة وما ضاهاها من أحاجٍ ومبهمات نقف دون إدراكها " .

وقال العلامة أوجانيوس كوليه : " تأمل بألوف من الكواكب البازغة فى الفضاء وبأشعتها وحركاتها التى هى كوكب من الدرجة السادسة فى العظم ، والأرض التى نخالها ثابتة بيد أنها متحركة بحركاتها الثلاث السريعة ؛ وهى حركتها على محورها ، ودورانها حول الشمس ، وتنقلها حول الشمس التى تتجاذب حول إحدى نجوم الثريا (سبعة كواكب فى عنق الثور) . تأمل أيضا بنقطة الماء مع ألوف من ذراتها وجواهرها المفردة المركبة منها ، وبالغازات أو حرارتها المتنوعة العديدة ، وكم من أسرار لا يسبر كنهها ! تفرس بهذا الشكل الهندسى ، وذلك أن تمد إلى ما لا حد له خطا منحنيا وخطا مستقيما فوقه متباعدين عن بعضهما فى الأصل مسافة سنتيمتر أو مليمتر واحد فيتقاربان دوما ولكنهما لا يلتقيان أبدا . وبذلك السر الغامض ، أعنى إتحاد النفس بالجسد إتحادا جوهريا ، وبحادث الحياة ، وبمليارات الكائنات التى تتناول الأجسام الجمادية والسائلة والآلية . أليس ذلك جميعا سرا مكنونا فى الطبيعة ؟ " .

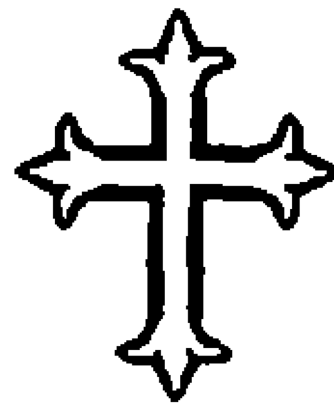
غير أننا نعلن هذه الحقيقة وهى أنه ، ولئن كان فى الدين المسيحى أسرار ، إلا أن هذه الأسرار لا نخفيها عن الناس بل نشهرها ، ووجه السر فيها أنها غير محدودة ، وعقل الإنسان محدود ، ولا يستطيع المحدود أن يدرك غير المحدود كما يجب .

قيل أن خطيبا ملحدا أخذ يهزأ أمام سامعيه بتعليم التثليث ، ثم التفت إلى أحدهم سائلا إياه : " كيف تفهم أن الثلاثة واحد و الواحد ثلاثة ؟ " فأجاب المسئول الخطيب سائلا إياه أيضا : " هل تستطيع أن تخبرنى عما تفهم فى كيفية اشتعال هذه الشمعه ؟ " أجاب الملحد : " إن الأمر سهل ، فإن الشحم و الفتيل و الهواء إتحدت فأوجدت هذا النور المنظور " فأجابه المؤمن : " وهل يمكنك أن تفهم كيف أن الثلاثة مواد توجد نورا واحدا ؟ " فأجاب : " كلا " فقال : " وهل تصدق الأمر مع عدم فهمك كيفيته ؟ " فسكت . وحينئذ أدرك الحاضرون النكتة ، فتحوّل غيظهم من الخطيب إلى استهزاء به .

فإذا كنا نرى أسرارا فى الطبيعة نعجز عن إدراكها ، فكيف نستبعد أن تكون الأسرار فى الدين ؟ لا سيما وكُتّاب الوحى الإلهى صرحوا بأن فيما أوحى إليهم أسرارا . قال موسى : « السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا » .

وقال الرسول بولس : « لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبؤ وأننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز ونعرف بعض المعرفة » . وقال الرسول بطرس عن رسائل بولس : « فيها أشياء عسرة الفهم يحرّفها غير العلماء وغير الثابتين لهلاك أنفسهم » . وقال بولس أيضا : « ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الإستقصاء » . وقال : « الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحيا » . ولا ريب أن الحقائق الإلهية تستلزم منا روح التواضع كقول الرسول : « إننا نهدم ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ونستأثر كل فكر إلى طاعة المسيح » .

وعلى هذا ، فإن نفى الأسرار من الدين من المحال .



الباب الثاني

فى العقل و الإيمان

(+)

الفصل الأول

ما ندركه بالإيمان

+

العقل هبة سامية من الهبات الجليلة التى وهبها الله للإنسان . ولكن ، وا أسفاه ، فإن الإنسان أفرط وتطرّف فى أمر العقل حتى أنكر الكثيرون وجوده واعتبره آخرون بأنه كل شئ . ولكن الدين يوقفنا عند حد الإعتدال و يعلمنا أن العقل البشرى يفهم ويدرك ما يدرك ، ولا يفهم ولا يدرك ما لا يدرك . و ما أجمل قول بعضهم : " إنها لحالة خطيرة محزنة ، وهى فى الواقع نتيجة للعصر الذى نعيش فيه ، عصر الإنتقال ورد الفعل. فقد كان معظم الناس قديما لا يأبهون لحكم العقل ولا يخضعون إلا لاعتقاداتهم وتقاليدهم . فجاء العلم الحديث محررا العقل . فلم يكتف العقل بحريته ، بل تعدى على حرية العاطفة . فبدلا من أن يقتصر جهده على هدم الخرافات ، حاول أن يهدم الحقائق النفسية الثابتة ، وبدلا من مهاجمة التعصب هاجم الدين نفسه " .

ويجمل بنا أن نذكر بقية كلام هذا الكاتب فى الموازنة ما بين العقل والقلب ، فقد قال :

" إن للقلب منطقا أسمى من منطق العقل الذى يتعلمونه فى المدارس . وأن منطق العقل البشرى ضيق محدود بطبيعته ، والرجل الحر يأبى أن يكون أسيرا ولو لعقله ، بل يسعى إلى تلطيف حدة عقله بشئ من رقة قلبه ، وإن الحياة لو اقتصرت على منطق العمل وتجردت من منطق القلب ، لأكل الناس بعضهم بعضا ، وصارت الأرض كجهنم لا يسكنها إلا شياطين العقل و يهجرها ملائكة القلب .

" إننى خائف وَجِل مما أراه متفشيا فى العالم من ركون الناس إلى عقولهم البشرية القاصرة دون أن يلجأوا إلى ضمائرهم الإلهية الطاهرة . إننى خائف وَجِل من تفشى الكفر ، فقد بدأ الناس يشكون فى الله وفى أنفسهم والوطن والفضيلة والعاطفة بأنواعها .

" وقد نتج عن ضعف الإيمان من جهة وعدم تقدم العلوم الميكانيكية وما يتبعها من ازدياد الثروة والترف من جهة أخرى ، أن كثيرين من الناس قصروا اهتمامهم على الماديات ونظروا إلى العلم كوسيلة من وسائل التجميل الذاتى والمنفعة المادية . أما الدين والوطنية والحب وكل ما هو عاطفة ، فقد أماته فى قلوبهم عامل الترف المادى .

" وليس أسخف فى نظرى من أولئك الذين يدعون العلم ، ويطبقون الأقيسة العقلية المحضة على المسائل النفسية والعواطف القلبية ، وينظرون إلى علم النفس، ويبحثون بالطريقة التى يبحثون بها علم الحشرات ، فتراهم مثلا يحللون العظمة والحب والإيمان تحليلا يدعونه نفسيا أو سيكولوچيا ، ولو أنصفوا لدعوه مكروسكوپيا كأنما النفس ميكروب من الميكروبات . وقد نتج من هذه التحليلات المصطنعة أنهم اعتبروا كل رجل عظيم أنانيا ، وكل خيالى أو شاعر أو متحمس مصابا بنوع من الهوس أو الهستريا . وبأن العبقرية نوع من الجنون ، والحب شهوة حيوانية ، والدين خرافة تاريخية ، وهكذا لا يبقون على شئ ، ولا يبقى ما هو جدير بالإهتمام إلا نفوسهم الصغيرة يهذبونها فى معاهد العلم و يعرضونها فى مجتمعات الترف . . دين جديد مبدؤه الترف والمصلحة بدل الفضيلة والتضحية .

" غير أن العلماء الحقيقيين أدركوا فساد هذه الطريقة المفتعلة التى تترفع عن الحقائق الأساسية ، وتنحدر إلى التفصيلات فترفعها إلى مرتبة الحقائق العامة ، وفهموا أن الإنسان ليس مجرد عقل يفكر ، بل هو نفس تشعر و قلب ينبض . و أن الحاجة الأولى لكل نفس هى إيمان ثابت وعقيدة لا تتزعزع ، لأنه ليس أقل للنفس من أن يشك الإنسان فى غيره و فى نفسه .

" هذه حقيقة الرابطة بين العلم الذى يتعلمونه والشعور الذى تخفق به القلوب . إن الغرض الأصلى من كل علم هو أن يزيد الحقيقة بساطة ووضوحا ، فيزيد الناس إيمانا بحقائق الحياة السامية ، وكل علم يتعارض مع الحقائق الأزلية البسيطة أو يزيد الحياة تعقيدا أو غموضا ، فاعلموا أنه ليس له من العلم إلا إسمه ، وإنْ هو إلا رجس من عمل الشيطان " .

إن وجود الإيمان ضرورى للمكافأة لأنه أي فضل لك إذا اعتقدت بما ترى فقط . فالدين يحوى أمورا يفهمها العقل للدلالة على صدقه ، وأمورا لا يفهمها يستحق المكافأة على التسليم بها . قال العلامة بوسويت فى ذلك : " إنّا إذا كنا نرى جليا الخير الحقيقى الذى هو الله ، فرؤيتنا إياه تُعدمنا حرية الإختيار ، وبالنتيجة تفقدنا ثواب العزم الصالح ، لأن إتمام الفعل الجيد يستلزم أن يكون حرا ومجانيا ، وهذا لا يتم إلا إذا كان بيّنا جيدا ، والله معلنا ذاته للغاية " .

ثم أن الإيمان يعلن الفضيلة ، فأى فضيلة يتخلق بها رجل يحصر آماله فى الحياة المنظورة . أما الإيمان ، فإنه يحرضنا على الفضيلة ، ويبث فينا روح القداسة . وإذا أردت برهانا على ذلك ، فقارن بين آداب العقليين وآداب المؤمنين يظهر لك الفرق .

فلولا الإيمان ، لما استطاع أحد أن يحل أسرار هذا الوجود. أنظر إلى العقليين تراهم يتخبطون فى بيان أصل وجودنا وإلى أين نذهب . بينما الإيمان يعلمك فى هذا الشأن التعليم الذى يرتاح إليه ضميرك .

وضع أحدهم مؤخرا كتابا أسماه " الإنسان العاجز " وأثبت فيه أن الإنسان، منفردا عن مساعدة الله ، عاجز عن كل شئ . عاجز فى طبيعته وفى فكره وفى آدابه ، وهذا حق . فعجز الإنسان - لا سيما عقله - ظاهر لكل متأمل .

فكل شئ فى الإنسان قاصر عن بلوغ الكمال . كم من المخلوقات تظهر أمام عين الإنسان ، ومع ذلك لا يراها إلا بالمجهر (الميكروسكوب) ؟ وذلك لأن العين خُلقت لترى أشياء محدودة فقط لا لترى كل شئ . وهكذا الأذن ، كم من الأصوات ترتفع حولها ومع ذلك لا تسمعها ؟ وذلك لأنها خلقت لتسمع أصواتا دون أصوات . وهكذا تجد باقى أعضاء الإنسان . ومنها العقل الذى يظهر عجزه كثيرا أمام معضلات شتى . فهو يفهم بعض الأشياء ، ولكنه لا يفهم أكثر الأشياء .

كم من مرة عزمت أن تعمل عملا ثم عدلت عنه . كم من المرات استحسنت فكرا ثم عدت فاستهجنته . فلو كان عقلك كاملا له الحق أن يفهم كل شئ لما خانك فى تفكيره ، ولما صور لك شيئا حسنا ثم صوره لك فيما بعد قبيحا .

هل تظن أنه سيان عندك أن تعبد الله بحسب ما هو معلن فى كلامه المقدس ، أو أن تعبده بحسب تصورك وإدراكك . إن ذلك الإنسان الذى يتصور الله كما تصوره له أفكاره ، لا بد وأن يكون عاجزا عن معرفة الإله الحقيقى . وكل إنسان يصور الله فى مخيلته كما يملى عليه عقله وأوهامه ، ألا يعتبر كعابد الأوثان ؟ . ألا يكون هذا الإنسان قد ضل عن عبادة الإله الحقيقى ؟ . يقول المثل السائد بين الناس : " كل ما خطر فى بالك فهو حالك والله بخلاف ذلك " . ومعنى ذلك أنه مستحيل على الإنسان أن يفتكر فكرا صحيحا عن الله ، وأن الصورة التى يتصورها الإنسان فى مخيلته عن الله ، ما هى إلا صورة من نفسه وليست بصورة الله أبدا . ولو صدق هذا المثل (وهو الصواب لأن الوثنيين يعبدون آلهة

شريرة كأنفسهم) يتضح أمامنا أن كل إنسان يعبد الله بغير الطريقة التى بيّنها الله فى كتابه المقدس فهو عابد أوثان . فعلى كل من يرغب فى معرفة الله الحى الحقيقى ، أن يعبده ويخدمه ويتفكر فيه حسب تعاليمه المختصة بذاته ومشيئته التى أعلنها لنا فى كتابه .

ونتخطى من ذلك إلى القول بأنه لا بد من وجود حقائق دينية يؤمن بها القلب ولا يفهمها العقل . ويجب أن نميز بين ما هو ضد العقل و بين ما لا يفهمه لأن ما كان ضد العقل فهو مرفوض ، ولكن ما يسمو على إدراكه فلا سبيل إلى رفضه .

ومن الضرورى أن توجد أشياء لا يدركها العقل ، لأنه إذا وقع كل شئ تحت إدراك العقل لانتفخ صاحبه وتعالى . . فيجب أن يظهر عجزه فى فهم بعض الأشياء ليقف عند حده ويمجد صانعه العالِمُ بكل شئ . قال العلامة بوسويت : " إننا لِنعرف أسرار الله ، ينبغى أنْ يبيح لنا الله بها ، ويلهمنا الحكم بها . و منَ ثم ، يلزمنا أن نعلم أن كل ما نبذله من الجهد من ذاتنا كى نعرف الله ، يذهب أدراج الرياح ولا يعود علينا إلا بازدياد عمى العقل وزيغانه وارتباكه ، ولا نكون فَعَلنا سوى أن طفنا وعدنا حيث كنا دون جدوى . ولا يكفينا أن نرتفع عن الحواس مع موسى على الجبل مرتفعين إلى أسمى مقام فى التفكر ، بل علينا أن ننبذ ظهريا أفكارنا وعقلنا وندخل معه فى الغمام ، أعنى غوامض الإيمان المقدسة " .

قال أحدهم : " كما أن الذى يحدق بنظره إلى الشمس قاصدا أن يدركها يغلب على بصره نورها فيعجز عن قصده ، بل تتفرق قوته الباصرة وتدهش ، هكذا الذى يحدق بعقله إلى بهاء اللاهوت ليدرك كنه ذاته الفائقة الإدراك ، فإنه يغلب عليه بهاء الجلال الإلهى ، فيذهل عقله ويدهش ، ولا يمكنه أن يدرك قصده من معرفة ذات الله " .

ثم نلاحظ أن العقول متفاوتة ، ومن الناس من يفهم ، ومنهم من لا يفهم. فلو أعلنت حقائق مفهومة لكانت تحت تناول عقول الفاهمين دون غير

الفاهمين . أما أمام الأسرار ، فيقف عقل كليهما عاجزا ويتساوى الجميع أمامها ، وهكذا يجب أن تكون الديانة للكل غير مميزة بين فريق وآخر .

ثم إذا نظرنا إلى طبيعة الحقائق الدينية وجدناها على نوعين : منها ما يتناوله العقل كوجود الله وخلود النفس وحقيقة الدين ووحدانيته، ومنها ما ليس له أن يتناوله كالتجسد الإلهى والفداء والتثليث وقيامة الأموات .

ففى النوع الأول ، لا منافاة ولا تضارب مع العقل ، إذ أنه يعرف حقائقه بذاته ، والوحى يشدد عزيمته ويقويه . أما عن النوع الثانى ، فلم يكن للعقل أن يحكم بوجود تنافر بين الموضوع والمحمول [1] لأن الرابطة الحكمية التى تبينها خافية عليه ؛ فأرى مثلا أن الله عالم بكل شئ ولا تخفى عليه خافية ، وأرى من جهة أخرى أن الإنسان حر وأنه رب أفعاله ، كما أجده من نفسى . وعلى ذلك ، لا أرى الرابطة بين علم الله وحرية الإنسان . أفهل لى أن أنكرهما أو أنكر أحدهما ؟ . فالعقل بقوة الوحى يوقن بوجود تلك الحقائق ، ولكنه يجهل وجودها . فإذا لمح بعض التناقض بين تلك الحقائق ، كان ذلك التناقض ظاهريا لا حقيقيا ، فينزله البعض ، لسوء الفهم ، منزلة الحقيقى .

وإذا كانوا يقولون أنه لا يُلزم العقل أن يسلم بحقيقة لا يفهم كنهها، فنحتم عليهم أن ينكروا أشياء كثيرة تنزل منهم منزلة سامية . هل يدركون ما هى الجاذبية فى كنهها ، والحرارة والكهرباء ؟ هل يعرفون كيف يتحول الطعام إلى لحم وعظام ؟ هل يفهمون ما يخالج قلب الإنسان من الأحوال الوجدانية ؟ و أكثر من ذلك - بناء على هذا المبدأ - يلزم الإنسان أن ينكر ذاته نفسها لأنه لا يعرف كيف يصير إنسانا .

---

(١) القضية فى علم المنطق تتركب من ثلاثة أطراف : من الموضوع وهو الحد المحكوم عليه بشئ ، والمحمول وهو الحد الدال على الحكم ، والرابطة التى توصل المحمول بالموضوع إيجابيا وسلبيا كقولك : الله هو صالح   الله ليس بظالم . فـ " الله " فى المثلين هو الموضوع ، و " صالح " و " ليس بظالم " هما المحمول فيهما ، والرابطة بينهما لفظة " هو " و " ليس " .

الفصل الثاني

في ما ندركه بالعقل

+

ولا يؤخذ من ذلك أن الدين المسيحى يبغى إلغاء العقل ، حاشا ، بل يريد منا أن نستعمل عقولنا فى ديننا ، حتى أن الرسول يسمى عبادتنا « العقلية » (رو ١٢ : ١) . ولكن ما لا يطيق الإنسان الخوض فيه من الأسـرار ، فعليه أن يستعمل عقله فيه ، لا ليفهمه كما هو ، بل ليقبله . وما عدا ذلك ، ففى الدين من الحقائق كوجود الله ووحدانيته والخلق والعناية وكيان النفس وخلودها وحريتها ، كل هذه يمكن إثباتها ببراهين عقلية . قال أحد علماء الدين المسيحى : " ينبغى أن يُوطد العلم الفائق الطبيعة على الطبيعية ". وقال آخر :" فالمؤمن الحقيقى بعيدا عن أن يؤمن عن غباوة أو جهل ، بل يجب عليه أن يقول دوما مع أوغسطينوس : إنى لا أؤمن إن لم أر ما يحملنى على الإيمان " .

فالعقل ، أمام الأسرار الإلهية ، لا يستطيع أن يدعى العلم بكل نواحيها ، ولكنه يستطيع أن يفهم الحدود التى تؤول إلى التعبير عن الحقائق . فالعقل الإنسانى يستطيع أن يثبت الحقائق الدينية كما يثبت الحقائق العلمية والطبيعية والتاريخية والأدبية مستعملا فى تلك ما يستعمله فى هذه من قياس الإستقراء والإختبار . وبهذا صارت النصرانية علم العلوم كما قال الفيلسوف ياكون : " الإيمان هو طبيب العلوم " .

والنتيجة التى استنتجها العالم بيفون عن أسرار الدين هى : " أن حقائق إيماننا هى غاية الثبوت ، فإن الذى أوحاها يضمن لى ثبوتها ، وهى عندى مرد عليها " .

يدّعون أن المسيحية التى تعلم بالإيمان تعطل عمل العقل لأنه لا اتفاق بينهما . قال توما الأكوينى : " لو لم ير العقل أنه يجب عليه أن يؤمن ، لما كان يؤمن " . وقال القديس أوغسطينوس : " معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان حائلا دون التماس علة الإيمان . لأننا لولا العقل لما استطعنا أن نؤمن " (رسالة ١٢٠ عدد ٣) .

وقال بوردالو : " إن الإيمان المسيحى إذعان صوابى ، وإلا لما كان فضيلة . وكيف يكون صوابيا ما لم يكن للعقل إصبع فيه ؟ فأنا لا أؤمن إلا بعد إعمال عقلى تقصيا عن حقيقة ما يوجب على الإيمان " (أفكار فى الإيمان ١) . وقال يوحنا الرسول : « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله » (١ يو ٤ : ١) . وقال الرسول بولس : « إمتحنوا كل شئ . تمسكوا بالحسن » (١ تس ٥ : ٢١) فالعقل والحق بينهما اتصال شديد ، بحيث إذا قيل أن هناك أمرا ولكنه وُجد مضادا للعقل ، فينبغى رفضه .

ولكن وجود تعاليم سرية فائقة الإدراك فى الأمور الدينية ومخالفة لكل تصوراتنا وبعيدة فى ذاتها عن أوهامنا ليس مضادا للعقل . بل إنما بعكس ذلك أن العقل السليم ينتظر وجود مثل هذه الأشياء فى وحى من الله . لأن كل ما يتعلق بهذا الإله غير المحدود ، لا بد وأن يكون فيه شيئا فائقا إدراكنا على نوع ما ، وكل حقيقة مستحدثة لا بد وأن تكون مختلفة عما كان معروفا من قبل .

قال العلامة إسكندر : " فإذن فى قبول أعظم غوامض الوحى تنتهى الدعوى إلى حكم العقل " .

إن الذى ينشئ له دينا ، يجتهد أن يجعل مطاليبه موافقة لرغباته ولرغبات البشر . والحال أن الديانة المسيحية نادى مؤسسوها بمبادئ غير ملائمة لطبيعتهم وغير موافقة لأميالهم ، يعيشون بموجبها كابحين جماح

شهواتهم . وعلى ذلك ، يلزمنا تصديقهم فى ما قالوا عن باقى الأسرار التى قالوا أنهم تلقوها من الله ، لأنهم لو لم يكونوا قد تلقوا تلك الأسرار من الله وقالوا أنهم تلقوها ، لكانوا أشر الناس وأكذبهم . والحال أنهم على كونهم أعلنوا تلك الأسرار ، فقد نادوا بأسمى الفضائل ، وعلّموا بأكمل الأخلاق التى أطاعوها قبل سواهم . فتعاليمهم الأدبية وحسن آدابهم الشخصية أقوى برهان على صدق ما نطقوا به من الأسرار .

إنهم ، مع ضعفهم ، نادوا بتعليم لليهود عثرة ولليونانيين جهالة . فهل يعقل أن أناسا مثل دعاة المسيحية الأولين يحاربون العالم بمثل تلك الأسرار التى لا بد أنهم انذهلوا من سموها قبل غيرهم ، دون أن يكونوا قد تلقوها من الله ؟ .

لو كانوا أناسا أشرارا ، لكان لهم فى المناداة باليهودية أو الوثنية ما يمكنهم به الوصول إلى حياة أكثر من تعرضهم للهلاك بالمناداة بالمسيحية .

فالعقل يفهم جيدا أن ذلك برهان وطيد على صدق أولئك الناس ، لا لأجل الحكم على إمكان كشفه تلك الحقائق بذاته ، بل لأجل الحكم على أى الأمرين هو أكثر مطابقة للعقل . أهو تصديق قوله تعالى أم الإعتماد على عقلنا القاصر ؟ وإذا كنا نقبل شهادة البشر عن أمور لا نفهمها ، فبالأولى نقبل شهادة الله العليم بكل شئ الذى لا يمكن أن يغش خليقته بأقوال كاذبة . فهذا هو الوجه الذى نستطيع به فهم حقائق الدين بالعقل ، أى أن تلك الحقائق نطق بها أناس ثبت صدقهم ، وقالوا أنهم سمعوها من فم الله ، لذلك وجب تصديقهم . قالوا أن الله مثلث الأقانيم ، وأن أحد هؤلاء الأقانيم تأنس ، ذلك يسمو عقولنا ، ولكنهم قالوا به متيقنين بما ثبت لهم ، فلنصدقه .

ولو كنا نرفض كل ما لا نفهمه ، لوجب أن ينكر الجاهل قول العالم الذى لا يفهمه ، وينكر الأعمى أن هناك شمسا لأنه لم يرها . فلو قيل

لرجل جاهل عن حقائق طبيعية لا ينكرها لأنها مضادة لحواسه أو لأنه يجهلها ، لكنه يسلم بها لأنه يوافق العقل أن يسلم لمن له معرفة بهذا الموضوع ، ولمن يمكن الإعتماد على صدقه ، فبالحرى ينبغى أن نقبل شهادة الله عما يقول عن نفسه . إنه لا خطر من استعمال العقل على الوجه المستقيم ، و لكن الخطر من استعماله على غير الإستقامة نظرا لضعف طبيعتنا وسوء أحكامنا كثيرا .

إن كثيرين من الناس يعرفون عن أديان كثيرة مُلئت بالخرافات والمذاهب الباطلة ، فهم بدون بحث يعتبرون كل أديان على هذا النحو بلا بحث جدى . ولو سلكنا فى أمور العالم بهذه الصورة ، لطرحنا الحق والشرف جانبا ، ولما اهتدينا إلى أى صواب .

ومنهم أيضا قوم يبحثون فى الدين مهتدين بالعقل ، ولكن فى ما هو ضد الدين ، فلا يقفون موقف الحاكمَ العادل ، بل يحكمون على بطلان الدين قبل البحث فيه ، فيميلون إلى ما يكتب ضده ، مع أنهم لو وقفوا على الحياد وقتا ، لعرفوا الحق .

وقوم آخرون يبحثون عن الدين بالعقل أيضا ، ولكنهم مرتبطون بشرور عديدة لا تجعلهم أهلا للحكم على المسائل الدينية ، وهم كما قال عنهم أحد الفضلاء : " هم يقاومون الدين لأن الدين يقاومهم " . وكان ڤولتير زعيم هذه الفئة ، ولكن ما أكثر الذين اتبعوه من غير أن يقفوا على أقواله فى أناتول فرانس الأبيقورى .

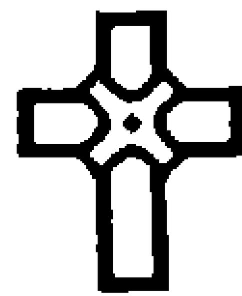
وهناك نوع آخر ، وهم الذين يتركون لأفكارهم العنان لتصور الحياة كما تملى عليهم روح الإرتياب الكامنة فيهم ، فيرتابون فى كل شئ ، فكم بالأحرى الحقائق الدينية السامية .

وقوم آخرون يريدون أن يشتهروا على حساب الدين ، فيخالفون كل مشهور ليُعرفوا .

فلا يمكن أن تتعارض حقائق الإيمان مع العقل الراجح . قال أحدهم : " ليس بين العقل والإيمان ما يخشاه أحدهما من الآخر لصدور كل منهما من ينبوع حقيقة واحدة لا تتغير " . وقال آخر : " إن الإيمان ، وإن كان فوق العقل ، فليس بينهما منافاة . لأن الله الذى يوحى الأسرار ويعلم الإيمان ، هو الذى نشر نور العقل على روح الإنسان ، والله لا ينكر نفسه . والحق لا يقاوم الحق . بل العقل والإيمان يتعاضدان ، لأن العقل المستقيم يكشف عن أسباب الإيمان ، والإيمان يصون العقل من الضلال ويغنيه بالمعارف . لذلك تعاون الكنيسة على درس العلوم والفنون ونشرهما بطرق كثيرة " .

فإذا انقدت إلى العقل المستقيم ، ساقك إلى الإيمان وعرّفك أن يسوع كان فى العالم وأن الرسل بشّروا به وأثبتوا بأدلة لا تنقض رسالتهم الإلهية.

ومتى أقنعك العقل بذلك ، وجب عليك الإيمان به والخضوع له . وإن وُجد شئ غامض عليك فى التعاليم الإلهية ، فليسَلّم فهمك الضعيف به مقدرا سمو مصدره الإلهى . قال أحدهم : " إنه لَلَقب شريف للفلسفة أن تكون مترسة الإيمان وسور الدين الحصين " . وقال العلامة فافيه : " إعلم أن العقل لا يؤكد الإيمان مباشرة لأن الإيمان هبة فائقة الطبيعة . والطبيعى لا يصدر الفاق الطبيعة . ولكن مبلغ العقل أن يهئ العاقل للإيمان بالبحث عن الأسباب الموجبة التصديق . فإذا بحث الكافر حتى اضطر إلى الإيمان ، كان إيمانه بشريا بحتا حتى تحمله النعمة على اعتقاد الحقائق باعتبار كونها موْحاة ومستندة إلى سلطة الله المعصومة . والله لا يحبس هذه النعمة عمن يسعى فى التماس هذه الحقيقة الدينية سعيا صادقا وهو يلتجئ إلى الله بالصلاة والتواضع " .



الباب الثالث

فى الكلام عن سر التثليث

<+>

الفصل الأول

أهمية تعليم التثليث

+

قد يُسأل : ما الفائدة من تعليم التثليث ، ولماذا لا يُكتفى بالقول بوحدانية الإله ؟ فنجيب : إن تعليم التثليث ضرورى الإعتقاد به كالإعتقاد بوحدانية الله لأسباب كثيرة ، منها :

(١) الإجابة على الإعتراضات الكثيرة التى يُعترض بها على الوحدانية المحضة مثل : كيف يكون الله هو الودود أو المحب ، وبما أنه غير متغير ، فهو ودود منذ الأزل ، ويلزم من ذلك أن يكون مودود أومحبوب منذ الأزل قبل خلق العالم . فمن عساه يكون ذلك المحبوب الموجود منذ الأزل عند الله ؟ . قال أحد الأفاضل : " ففى عقيدة التثليث الجواب الصريح والوحيد لهذا السؤال . فنقول أن أقنوم الآب الودود وأقنوم الإبن المودود ، وما أحسن ما قال يسوع فى هذا المعنى مخاطبا لأبيه : « أحببتنى قبل إنشاء العالم » . وعليه ، لا يمكن الإعتقاد بوجود صفة المحبة فى الله منذ الأزل ، ما لم نعتقد بتعدد الأقانيم مع وحدة الجوهر ، وإلا كان متغيرا ، إبتدأ أن يحب من الوقت الذى خلق له فيه ، محبوبا من الملائكة والبشر ، وهذا باطل لأنه قال : « أنا الرب لا أتغير » .

إن معنى تعليم التثليث " أن الله كامل فى نفسه ومتضمن فى كيانه كل ما هو ضرورى لكماله " ، أما عقيدة الوحدانية المحضة فمعناها " أن الله إله منعزل عمن سواه و كائن بمفرده منذ الأزل " ، وإلا فنضطر إلى القول أن الكون أزلى وكان مشاركا له . لأنه إذا كان الله ذا صفات ، فينبغى أن تكون صفاته قائمة لا مُعطلة . فإذا قلنا بالوحدة المحضة ، فما المعنى أن الله محب وحكيم وقوى ، ومن يحب ، ومع من يكون حكيما ، وإلى من يُظهر قوته ؟ . إن الصفات الأدبية بأسمى معناها ، لا توجد إلا بين شخصين عاقلين ، فلذا وجب أن يكون فى الله أقانيم (لا آلهة) .

قال العلامة أوجين دى بليسى : " ذلك أن الصلاح بحاجة إلى الإنتشار ، فيكون من المناسب إذن أن يتصل ' الخير الأعظم ' بذاته من الأزل وإلى الأبد إتصالا كليا . لأن اتصال صلاح الله بمخلوقاته ليس له ولا يمكن له به إظهار كل صفاته . أفليس حسنا إذن أن يتصل الله اتصالا أزليا كليا بداخله ؟ نعم ، وهذا ما يتم بالتثليث ، وأن الله بالخلق هو ملك جمهور خلائقه ".ولكن القديس غريغوريوس النازينزى يقول : " إنه خير لله أن يكون أبا لإبن من أن يكون سيدا لجمهور من العبيد " .

قال م. ليموان للعقليين الذين اعترضوا هذا الإعتراض : " من الذى قال لكم أنه خير لله أن يحيا لذاته وحده من أن يحيا لكثيرين، وأنه خير له أن لا يكون له (غير) حقيقى على أى وجه كان ولا ولد ولا شخص يحبه كما يحب نفسه حبا كليا ، وأنه خير له أن لا يكون معروفا من كائن آخر غير ذاته ؟ إن هؤلاء الذين يزعمون أنهم حكماء ويسخرون من تثليثنا قائلين إنه عقيدة صبيانية ، قد تصوروا مكان هذا الإله المبارك كائنا ساكنا فى عزلة وصمت أبديين ، وتصوروه وحيدا حبيسا فى مكانه ، و ناسكا أخرس اللسان بلا عينين و لا حب ، مطويا فى لانهايته ، جاثما فى عزلته الموحشة . نعم ، إنى

لا أنكر ضخامة هذا الإله المارد الذى يتصوره الفلاسفة . ولكن ، كم يؤلمنى فراغه العميق ، وكم تشبه لانهايته صحراء . ترى من الذى يكون صغيرا بشرط أن يكون عائشا كثيرين على أن يكون عظيما عائشا من غير أن يستطيع أن يهب كل ما له لغيره ، ولا أن يكون محبا أو محبوبا ؟ " .

(٢) وذكر سببا آخر، وهو ما لهذا التعليم الجوهرى السامى فى نظام الفداء من التأثير القوى فى قلوب جميع المسيحيين بالحق حتى أن البسطاء منهم يفرحون به فرحا لا يوصف ؟ فإنهم إذا آمنوا بالله أنه هو الخالق والحافظ الذى تعدو شريعته ، ولا يقدرون أن يوفوا ما عليهم لعدله، ولا أن يجددوا صورته فى طبيعتهم الساقطة ، إقتضى أن يؤمنوا أيضا بفادٍ إلهى ومقدس إلهى ، أى أن فى شعورهم الدينى ما يدعوهم إلى تمسكهم بتعليم التثليث . فلو كان هذا التعليم عقليا فقط ، لما أمكن أن يبقى فى اعتقاد كنيسة المسيح على ما هو نظرا إلى عمقه وغرابته عن جميع التعاليم البشرية .

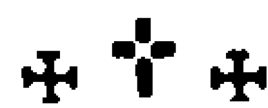
ولا يخفى أن الشرقيين والهنود الحمر، قد أضرهم كثيرا الإعتقاد بالقضاء والقدر . فتعليم التثليث يجعلهم ، عوضا عن أن يتصوروا الله ، مقدرا عليهم السوء والشر يتصورونه يحبهم حبا فائقا بحيث أنه أعلن نفسه فى شخص " كلمته الأزلى " الذى حمل آلامهم وأحزانهم ومات بالجسد لخلاصهم وقام لأجلهم ، ومن ثم ، لا يبقى عندهم شك فى حسن مراد الله من جهتهم .

(٣) وذكر الدكتور أنس سببين آخرين ؛ أحدهما أن التثليث وسيلة إلى إتمام الله عمل الفداء بكل لوازمه فالإبن - الأقنوم الثانى - تجسد وأعلن و كفّر و شفع فينا و رتّب كل و سائط التبرير و المصالحة والخلاص ، و ذلك لا يمكن لمن هو أدنى من الله نفسه ، لأن الله نفسه يقدر أن يصالحنا مع الله . و كذا يقال فى عمل الروح القدس

- الأقنوم الثالث - فإنه وحده يقدر أن يجدد قلوبنا ويطهرنا وينير عقولنا ويقربنا روحيا من الله ، ويقدسنا التقديس اللازم للدخول إلى حضرة الله والعيشة السماوية الطاهرة . فمن يكفر عن خطايانا غير الإبن الإله ، ومن يقدسنا غير الروح القدس الإله ؟ فالأقنوم الثانى والثالث يقربان إلى الأقنوم الأول ، ويعداننا للحياة الأبدية مع الله . فلو كان الله واحدا بمعنى ينفى التثليث ، لم يصح أن يكون مخلّصا ومقدسا وقاضيا معا على كيفية تتم فيها كل لوازم فداء الخاطئ من لعنة الشريعة وأفساد الشر والهلاك الروحى وعناد العصيان القلبى عليه تعالى .

(٤) وثانيهما أن التثليث يجعل الله مثالا للحياة البشرية فى ما يتعلق بالمعاشرة الحبية والألفة الإلهية ، وذلك بمعاشرة الأقانيم والنسبة البنوية بين البشر . ويقدرنا على التمثل بحياة اللاهوت ، ويميز جنسنا عن غيره من الخلائق تمييزا ساميا . فلو جردنا اللاهوت عن كل شعور بالمحبة للغير ، جعلناه قوة مجردة ، وسلبناه صفة الألفة الحبية ، إلا فيما يتعلق بالمخلوق المنحط عن حياة اللاهوت ، وأفرزناه عما هو أعلى خواص حياتنا ، أى محبة بعضنا لبعض .

(٥) إن الإعتقاد بسر الثالوث الأقدس هو أعظم إكرام تستطيع الخليقة أن تقدمه لله ، وذلك لأن الإقرار بأن الله أعظم من أن يُدرك بالعقل البشرى هو أعظم إكرام له . ولعمرى أى سر أغمض من سر الثالوث؟ فباعترافنا إذن بهذا السر نكرم الله ، لأننا حينئذ نضحى له أعظم شئ فينا وهو العقل ، وليس هذا فقط ، بل إننا نضحيه عن نوع غريب ، إذ أننا نعترف بسر لا معرفة لنا به البته ويستحيل على عقولنا القاصرة إدراكه أو معرفته ، ولكن الله قد أوحاه لنا ونحن اعتقدنا به دون أن نضعه تحت حكم العقل ، وهذا يجعل ضحيتنا كاملة لأننا نعتقد بما يسمو عقولنا ، ويعلو فوق فهمنا البشرى .



الفصل الثاني

في الأقنوم

+

قال الفيلسوف طواتين : " إن لفظة ' أقنوم ' تنبئ عن كل شئ يوجد في الطبيعة قائم بالكمال إدراكا وتعقلا ، ومن حيث يلزم أن ينتسب إلى الله كل ما هو فائق بالكمال ، فلذلك إنه من الواجب أن الأقنومية تعتبر في اللاهوت . فإذن كلمة ' أقنوم ' في الله ، قدل على وجود شئ قائم فيه تعالى يحتوى على الكمال الفائق . ومن حيث أن هذه الذات الإلهية قائمة بصفات متنوعة ، فيلزم ضرورةً بأن هذه الصفات تكون فيها أقانيم [١] .

-

قال القديس باسيليوس : " الذات تمتاز عن التقنم ، أى الأقنوم كما يمتاز عن الشئ العام والشئ الخاص لكل واحد ، كما يطلق إسم حيوان على كل واحد من الناس " . وقال اسطاسيوس بطريرك أنطاكية مما اقتطفه من مؤلفات كيرلس الإسكندرى : " الذات والطبيعة يدلان على الشئ الذى هو مشاع . أما التقنم والأقنوم فيدل على الشئ الذى هو خاص لكل فرد . بطرس وبولس مثلا هما ذا طبيعة واحدة وأما أقنوماهما فمختلفان " . والقديس أثناسيوس قال : " إن الطبيعة شئ والأقنوم شئ آخر ". ثم قال : " فالذات والجنس والطبيعة من الصورة هى شئ واحد . وأما الأقنوم والرسم والقيام والفرد والخاصة هى أيضا شئ واحد " .

وبالجملة ، فإن كلمة " أقنوم " يونانينة الأصل ، معناها الوضعى كما عرف العلمـاء ، يقرب من كلمة شـخص ، ومعناها الإصطلاحى تطلق على

(١) الصفات فى الله نوعان : كمالية وشخصية ، ونريد هنا الصفات الشخصية أى الأقانيم الثلاثة كما سنبينه فيما بعد .

الآب والإبن والروح القدس . فالأقنوم عبارة عن شخص عاقل مستقل قائم بذاته ينسب أفعاله إلى نفســه إذ يقول : (أنا) أقول . أنا أفعل . أنا أحب . . إلخ . فنفس الإنسان لا تعد شخصا لأنها ، وإن تكن عاقلة ، فهى غير مستقلة بذاتها ، بل خلقت لتكون مقيدة بجسد ، وبدونه لا تكون كاملة ولا تنسب أفعالها لذاتها . و لذا لا يقول الإنسان : نفسى تحب ، نفسى تفهم . . إلخ . بل يقول : أنا (المركب من نفس وجسد) أحب وأفهم وأقوم وأقعد وأمشى و . . . و . . . إلخ .

غـير أن الفـرق عظيم بين الأشـخاص المخلوقـين و الأشـخاص غـير المخلوقين ؛ فالأشخاص المخلوقين ترى لكل منهم طبيعة مختصة به ، وبها ينفرد عن غيره تمام الإنفراد . ففى العائلة مثلا الأب والأم والولد ثلاثة أشخاص لكل منهم طبيعة بشرية يُدعى معها إنسانا و يمتاز بها عن غيره ، وهم ثلاثة أشخاص بثلاث طبائع . و إنما فى الله ثلاثة أقانيم أو أشخاص ؛ أب وإبن وروح قدس . وليس لهم ، يا للعجب ، إلا طبيعة واحدة ، فإنهم ثلاثة أشخاص فى طبيعة واحدة . فيا له من سر عميق ، والأغرب من ذلك أنه مع كونهم ثلاثتهم ذوى طبيعة واحدة ، ترى كلا منهم منفردا عن الآخر كاملا بذاته يتكلم بإسمه ، فيقول الآب : أنا خلقت العالم – ويقول الإبن : أنا فديت العالم – ويقول الروح القدس : أنا قدست العالم .

ومما ينبغى أن يُعلم هو أننا لا نعتقد أن الله ثلاثة أقانيم بمعنى أنه ثلاثة جواهر ، لأن لفظ أقنوم ليس بمعنى جوهر ، فالمراد هنا بالجوهر الذات الواحدة ، فهو عبارة عن الوحدة اللاهوتية .

فالمراد بالأقنوم واحد من الآب والإبن والروح القدس ، فهو عبارة عن الإمتيازات فى ذلك الجوهر الواحد . لكن لفظة الأقنوم ، كسائر الألفاظ البشرية ، قاصرة عن إيضاح تلك الحقيقة الإلهية ، أى كون الله ثالوثا فى الأقنومية وواحدا فى الجوهر ، فليس للفظة أقنوم فى اللغة البشرية معنى كمعناها الخاص فى التعبير عن الثالوث الأقدس ، لأن المراد بتلك اللفظة

فى غير الكلام عن التثليث ، شخص متميز منفرد عن غيره كبولس مثلا . والمراد بها فى الكلام عن الثالوث غير ذلك التعيين أو استقلال الأقنوم عن الجوهر ، فأقانيم الثالوث هى واحدة فى الجوهر ، أي له ذات واحدة كقول القانون الأثناسى : " هكذا الآب إله والإبن إله والروح القدس إله ، ولكنهم ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد " . فإذا قلنا ثلاثة أقانيم بشرية ، أشرنا إلى ثلاثة أفراد معينين فى وحدة جنسية ، أى إلى ثلاثة أشخاص من البشر لهم طبيعة واحدة جنسية . ولكن إذا قلنا ثلاثة أقانيم إلهية ، أشرنا بذلك إلى اتحاد جوهرى أى إلى ثلاثة فى طبيعة واحدة لا جنسية بل جوهرية أى فى الذات الواحدة . فأقانيم اللاهوت هى فى جوهر واحد فرد لا فى جوهر واحد جنسى أو نوعى ، فالتعدد الأقنومى فى اللاهوت لا يلحق الجوهر ، بخلاف التعدد الأقنومى فى البشر ، لأن فى البشر يتقوم بتعدد الجوهر والأقنوم معا . فكل من الآب والإبن والروح القدس هو باعتبار أقنومه فى الذات الواحدة ، ولكل منهم جوهر اللاهوت الواحد بلا انقسام ولا انفصال .

والخلاصة ، كما قال العلامة أوجين دى بليسى : " ما أعلى الحقائق التى تتضمنها عقيدة التثليث و ما أدقها ، فما مستها اللغة البشرية إلا جرحتها فى أحد جوانبها " . وكما قال بوسويه : " ولقد خَلَت الكتب المقدسة من حل لهذه المعضلة حتى وقف آباء الكنيسة حائرين زمنا طويلا . لأن كلمة ' أقنوم ' لا توجد فى قانون الإيمان الذى وضعه الرسل ، ولا فى قانون مجمع نيقية . وأخيرا اتفق أقدم الآباء على أنهم " كلمة " تعطى فكرة ما عن كائن لا يمكن تعريفه بأى وجه من الوجوه " . وقال القديس أوغسطينوس : " عندما يراد البحث عن كلمة للإعراب بها عن (الثلاثة) فى الله ، تعجز اللغة البشرية عن ذلك عجزا أليما " . وقال القديس غريغوريوس الكبير : " إن عجز اللغة يشمل جميع العبارات التى تستعمل فى الكلام عن الله ، فكل ما يقال عنه أقل من أن يليق به . وإذا كان هذا العقل الذاهل ليس كفؤا لحمده ، فكيف يستطيع اللسان ذلك " . وقال يوحنا الدمشقى : " إن الله بصلاحه الفائق ، قَبِلَ أن يسمى بأسماء الأشياء

المألوفة لدينا حتى لا نُحرم كل الحرمان من معرفته ، ولكى يكون عندنا فكر ما عنه ولو كان غامضا " .

ولم تقصد الكنيسة من تسمية (الثلاثة) بثلاثة أقانيم أن تجزم بوجود مشابهة بين البشرى والإلهى . بل قصدت أن تبين " ثلاثة مظاهر منفصلة لحياة جوهر فرد غير منفصل " . ولكن كيف يتم ذلك ؟ هذا هو السر . فإن لكل ثلاثة أشخاص بشريين حياة ، أما الأقانيم الإلهية فتحيا بطبيعة واحدة " .

ولئلا يتوهم أحد أننا نقول بأن الأقنوم فى الله صفة كالقدرة والحكمة فنقول أن فى الله نوعين من الصفات : الأولى كمالية كالقدرة والعلم والقداسة ، وهذه الصفات مشتركة بين الأقانيم الثلاثة . والثانية شخصية وهى نسبة الأشخاص إلى بعضها كنسبة الآب إلى الإبن والروح القدس ، وهذه النسب لا تشترك بين الأقانيم الثلاثة ، ومنها تتوقف الأقانيم وهى صفات جوهرية قائمة .

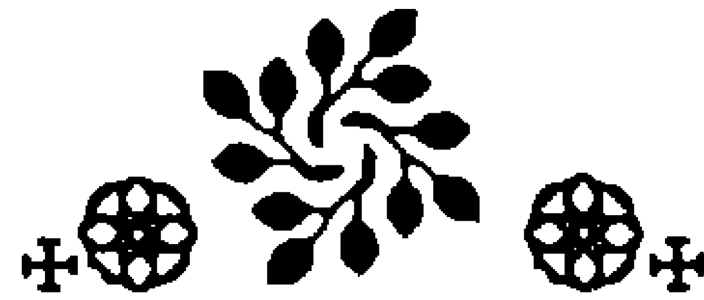
وهنا ننقل تعبير أحد الكتاب الأجانب عن سر التثليث :

(١) الآب - أصله : لا يستمد الأقنوم الأول أصله من أى كائن ، بل إنه كائن بذاته . وإذا كان الله أقنوما واحدا فقط ، فالآب هو هذا الأقنوم ، فهو أصل اللاهوت . وقد قال أوريجانوس : " إن الآب هو الأصل أو الله الذى هو من ذاته وبذاته إله " . ولا شك فى أن الأقنومين الآخرين هما الله جوهريا ، ولهما ملء اللاهوت كالأقنوم الأول . ولكن بما أنهما استمدا من الطبيعة الإلهية ، فيمكن أن يقال أنهما " الله بالأقنوم الأول " .

(٢) الإبن - يقول قانون إيمان نيقية أن الأقنوم الثانى (الإبن) مولود غير مخلوق ، وقد جاء فى قانون أثناسيوس أجلى بيانا فقال : " إن الإبن

مولود من الآب فقط ، فهو غير مصنوع ولا مخلوق بل مولود " ومعنى ذلك أنه ليس خليقة ولا معلولا لعلة ، بل أن أصله الأزلى فى الأقنوم الأول . وغنى عن البيان أن هذه الولادة ليست مادية لأن الله روح . ولما كان الآب موجودا منذ الأزل ، فالإبن الذى هو صورته ليس محدثا وليس فيه شئ محدثا ، بل هو ضرورى الوجود أزليا .

(٣) الروح القدس - جاء فى قانون إيمان نيقية والقسطنطينية : " الأقنوم الثالث منبثق من الآب مسجود له مع الآب والإبن " . وعلّمنا قانون إيمان القديس أثناسيوس (أن الروح القدس غير مصنوع ولا مخلوق ولا مولود ولكنه منبثق من الآب ، فهو أصله إذن) .



الفصل الثالث

إن العقل يقبل سر التثليث وإن كان لا يفهمه

+

نعود فنكرر القول أن سر التثليث عقيدة كتابية لا تُفهم من غير الكتاب المقدس ، وأنه من الضرورى أن لا يفهمها البشر ، لأننا لو قدرنا أن نفهم الله لأصبحنا فى مصاف الآلهة ، كما أنه لو استطاع الحيوان غير العاقل أن يدرك لأصبح عاقلا كالإنسان . فإذا كان الحيوان لا يقوى على أن يدرك الإنسان مع أن الإثنين محدودان ، ومع أن الفرق بينهما هو غير الفرق بين الإنسان وربه ، فبين هذين هوة ليس لها قرار ، وبين ذينك صلة قريبة وتقارب كلى فى سلسلة الخلق . فكيف يقوى الإنسان الضعيف أن يفهم الإله الخالق ؟ .

إن المسلم واليهودى يسلمان معا بوجود الله القدير مسبب الأسباب ، غير المحدود ، المنزه الأزلى و الأبدى ، ولكننا عاجزون عن أن نتصور أمامنا نهاية سلسلة هذه السببية ، أو ندرك معنى أبدى وأزلى ، ولكن لا يمنعنا من أن نؤمن بالله بكل قلوبنا . وعلى هذا المثال ، نؤمن نحن المسيحيون بتعليم الثالوث لأن الله أعلنه فى كتابه .

وكون الله يعلم كل شئ ، ويدرى ما فى بواطن جميع البشر ، ويقف على أحوال الكون ، ويرى جميع الأفراد واحدا واحدا . هذا أمر لا تدركه عقولنا ومع ذلك نسلّم به . ونفس الموحدين ينظرون إلى الله من ثلاثة وجوه مختلفة :(١) كإله أزلى مستقل عمن سواه (٢) كخالق لكل الكون ومنظم الطبيعة ومافيها ومتولى أمرها والعناية بها ومنه صدرت وإليه تعود (٣) كروح إلهى له صلة مستديمة بأرواحنا ينبهنا بواسطة الضمير والعقل . فهذا هو تعليم الثالوث فى الوحدة بعينه .

بل أن الماديين يعتقدون أن الله فائق كل عقل ، منزه ومستقل عن الطبيعة كلها . خلق الكون من أمد بعيد وتركه وشأنه . والمعلوم لنا أن الله خلق العالم ولا زال يدبر أموره . وتعليم التثليث يوحد هذين الرأيين فيقول أن الله سامٍ فائق ، ومع ذلك له بنا صلة متينة .

ويجب أن نميز بين ما هو من العقل وما هو ضده ، لأننا لسنا ملزمين بالإعتقاد بما يراه العقل مستحيلا ، إنما ينبغى أن نتبصر فى الحكم على الحقائق بعقولنا ، لأن كثيرا ما تكون النظريات العلمية أو الإعتقادات الموروثة التى نبنى عليها حكمنا خطأ . و قد وضع بعضهم للحقيقة المرفوضة هذا الحكم ، وهى أن يقول كل الناس باستحالتها وإلا وقع فيها الشك طبعا .

أما تعليم التثليث ، فلا يدخل تحت حكم المسائل المناقضة للعقل لأنه ما هو التناقض فيه ؟ هل نقول كما يتصور الغير أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ؟ إن قلنا ذلك ، صح رفض التثليث . ولكنا نقول أن الله جوهر واحد فى ثلاثة أقانيم .

ففيه وحدة وتعدد . وحدة فى الجوهر وتعدد فى الأقانيم . فلو قلنا أن الله جوهر فى ثلاث جواهر ، أو أقنوم فى ثلاثة أقانيم ، لصار قولنا مرفوضا . ولكنا نقول عنه أنه واحد باعتبار وثلاثة باعتبار آخر ، واحد فى الجوهر وثلاثة فى الأقانيم .

وما عقيدة التثليث فى الواقع إلا شرح للوحدانية . مثال ذلك : لما أوصى المسيح تلاميذه أن يكرزوا بالإنجيل للناس ، قال لهم : « عمّدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٩) ، فيدل هذا القول على حقيقة التوحيد ، كما يدل على تثليث الأقانيم لأنه قال [باسم] بصيغة المفرد لا الجمع مع أنه ذكر الأقانيم الثلاثة كل على حدة .

يعترضون علينا بأنه ليس فى الخليقة مثيل لهذا القول ؛ إذ أن كل ذات فى الملائكة والناس هى أقنوم ، وكل أقنوم هو ذات ممتاز عنه غيره . فكيف يمكن أن يكون الله ثلاثة أقانيم ولا يكون ثلاث ذوات ؟ . ونجيب بما أجاب به أحد الأفاضل ، قال : " إن الله ليس له مثل فى الخلق ، وقد قرر علماء الإسلام أنفسهم أن الذات الإلهية مغايرة لسائر الذوات - فلا يجب أن ننسى الفرق العظيم غير المحدود بين الذات الإلهية وبقية الخلائق. فإنه لوكانت الذات الإلهية محدودة كالبشر والملائكة ، لأمكن للعقل البشرى أن يعلل بها أو يحكم باستحالة تعدد الأقنومية فيها . ولكن بما أن عقولنا لم تخلق لتحكم فى ذات أو تدرك الجوهر الإلهى أو الأقانيم الإلهية ، فلا حق لها أن تحكم باستحالة وجود الثلاثة الأقانيم فى الله " .

ويجب أن نفهم أن كل ما عُبّر به عن الله فى الكتب الإلهية ، ما هو إلا تعبير مجازى لا ينبئ عن حقيقة جوهر الله ، لأن الله سبحانه أعلن لنا ذاته بصورة نستطيع أن نفهم بعضها ، وأبقى بعضها غير مفهوم منا ليظهر عجزنا أمام عظمته . فإذا ما سمعت أن الآب والد و الإبن مولود ، و أن الآب باثق والروح منبثق ، فلا تفهم أن ذلك يُنسب إليه تعالى كالتوالد النباتى أو الحيوانى - حاشا لله - لأنه بهذا المعنى لم يلد ولم يولد ، إنما ذلك التعبير يشير إلى النسبة الإضافية [1] التى بين الأقانيم الإلهية ، وليس ذلك كأنه قد كان عن فعل حدث فى الذات الإلهية - حاشا - بل هى دلالة تشير إلى الشئون النفسية القائمة فى الذات الإلهية .

وعليه ، فإنه لا يجوز بالحصر، أن تطلق على معنى الذات والأقانيم الإلهية أسماء مركبة من حروف وأصوات ، إنما لضرورة الحال الذى به قائم

---

(١) فى علم المنطق ؛ هى نسبة شئ إلى آخر :

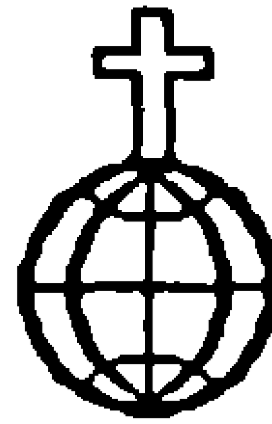
(أ) نسبة حقيقية ؛ كنسبة الإبن إلى أبيه ، ويدعى الأول منسوب والثانى منسوب إليه ، وسبب النسبة وهو التوليد .

(ب) أو مجازية ؛ كنسبة الإبن الربيب أو التلميذ إلى الأب المربى أو المعلم .

(حـ) أو عقلية ؛ كنسبة النوع إلى الجنس أو بالعكس .

المخلوق وقصر فهمه ، جاز استعمال ألفاظ للتعبير عن الله ، وإنما هذه الألفاظ لا تؤدى المعنى كما هو . فإذا سمعنا أن الله ينظر ، فلا ينصرف ذهننا إلى أن له عينان كما نحن . كلا ، لأن الله روح ، ولكنه ينظر بلا واسطة . فإذا أردت فهم ذلك عجزت واضطررت إلى التسليم فقط ، فالعقل يسلّم بأن لله بصرا ، ولكنه لا يفهم كيف يبصر الله ، فعدم إدراك العقل لكيفية بصر الله ، لا يلزم منه أن ذلك مضاد للعقل ، بل أن العقل عاجز عن فهم الكيفية ، وعجز العقل لا يؤخذ حجة . هكذا فى أمر التثليث ، ليس ما يضاد العقل أن يكون الواحد واحدا باعتبار وثلاثة باعتبار كما أوضحنا . ولكن إذا كان العقل قد عجز عن تفهّم ذلك ، فحينئذ عليه أن يعرف أن هذا سر حفظه الله لذاته ، ولا يعرف سوى أن الله أوحاه فى كتابه وألزمنا الإعتقاد به . فليصمت إذن العقل ، ولتسكت الفلسفة ، ولينطق الوحى فله وحده تذعن الأفهام ، وله يجب أن ترضخ عقول الحكماء والفهماء .

أما إذا اعتُرض علينا ؛ لماذا خلق العقل فينا ؟ . فنجيب ؛ نحن لا نحرّم استعمال العقل فى الديانة ، لأن كتابنا لم يُكتب للحيوانات بل للبشر العاقلين . غير أن العقل لا بد له - تجاه ما لا يمكن أن يدرك - أن يعترف بعجزه . ولا يمكنه ، ولا يجب عليه ، أن يدعى فهم ذاتية الحقائق، بل يمكنه أن يدعى بفهم الحدود التى تؤول إلى التعبير عن الحقائق ، فسر التثليث مثلا يُعبّر عنه بهذه العبارة : " إله واحد فى ثلاثة أقانيم " . فالعقل يفهم جيدا الغرض المقصود بهذه الكلمات ، فيدرك الله وروحانيته وأقنومية الآب والإبن والروح القدس . وإذا كان العقل لا يدرك كنه هذا السر ، فإنه يتشوفه ويتشبته على وجه ما ، كإمكان تصوره غير المتناهى دون أن يدرك امتداده ، حسبما قال ديكارت : " إننى أتمكن مثلا من لمس جبل دون أن يكون فى وسعى اكتنافه " .



الفصل الرابع

الثالوث في المخلوقات

+

نحن لا نميل مطلقا إلى تمثيل ذات الله العزيز بأمثلة بشرية لعدم التناسب بين سمو الله وانحطاط الخلائق . ولكننا ، نظرا إلى رغبتنا فى تقريب الحقائق الدينية للأفهام ، نستعير بعض التشبيهات من الطبيعة ، لنمثل بها الحقائق التى أعلنها الله فى كتابه .

جاء فى كتاب " مفتاح الأسرار " ما يأتى : " أجمع الفلاسفة أن كل موجود له ثلاث نسب أو درجات ، وهذه النسب أو الدرجات هى الذات والصورة والقوة [١] . وعلى ذلك ، يمكننا أن نقول أن كل شئ منظور لدينا أو مُدرك بحواسنا ، ينحصر تحت ثلاث مقولات ؛ و هى الكم و الكيف والنسبة [٢] أو الإضافة . إذن ، فمعرفتنا بهذا الشئ هى معرفتنا لثلاثة أشياء . ولو تركنا كل هذه الأفكار وتأملنا مثلا فى النار ، نجد أنها تحتوى على ثلاثة أشياء هى الحرارة والنور واللهيب ، وإن كانت هذه الأشياء الثلاثة تختلف عن بعضها ، ولكنها تكوّن معا نارا واحدة ، ولا يمكننا أن نجد نارا ينقصها شئ من هذه الأشياء الثلاثة . نجد أيضا أن الأشعة الواحدة من الشمس تتكون من ثلاثة ألوان وهى الحمرة الخضرة والزرقة ، ولكن جميع هذه الألوان لا تفقد وحدتها فى الأشعة الواحدة . وفى هذه الأشعة أيضا نجد نورا وحرارة وقوة كيماوية ، ولكن وجود هذه الأشياء الثلاثة لا يحوّل الأشعة الواحدة ثلاثا .

---

(١) والفرق بين هذه وبين تقسيم أرسطو إلى جوهر وشكل ونتيجة ، فرق طفيف جدا .

(٢) قسمة أرسطو إلى عشرة ، ولكن هذا التقسيم كاف .

فمن الخطأ أن يقول أحد أن وجود تعدد مع وحدة مستحيل ويناقض العقل . يعتقد علماء المسلمين - كما يعتقد المسيحيون - أنه يستحيل إدراك الله كوحدة محضة مطلقة بلا صفات . والصفات السامية الكثيرة التى ينسبونها لله ، تفيد تعدد هذه الصفات فيه . وفى هذا يتفق المسلمون و المسيحيون معا ، كما أن جميعهم متفقون على وحدة ذاته تعالى ، ومتفقون على أن تعدد صفات الله لا يغير أبدا فى وحدته . فإن سلّمنا بتعدد صفاته ، لم نستبعد هذا التعليم الذى نحن بصدد أن نؤمن بوجود ثلاثة أقانيم فى الوحدة الإلهية . قال بعض الفلاسفة فى معتقداتهم الخاصة بوحدة الذات الإلهية أن لا صفات لله ، وبذلك ينكرون صفات الله الحسنى كمعرفة نفسه وإرادته وقوته لإعلان ذاته .

بل أن مثال الثالوث موجود بوجه خاص فى النفس البشرية التى خلقها الله على مثاله التى تبين لنا وجود الوحدة الدائمة فى الثالوث الذى عليه مدار حياتنا وسرّها ، ففى الإنسان ثلاث قوى متميزة هى العقل والفكر والإرادة ، ومع ذلك - كقول أوغسطينوس - ليس له سوى نفس واحدة عاقلة فقط . وهذه الثلاثة الأشياء المتميزة تلبث مع ذلك متحدة مؤلفة شخصا واحدا غير متجزئ ، والحال أن الأمر يجرى على هذا المنوال فى الماهية الإلهية .

فنفسنا هى أكمل مثال للثالوث ضربه الله فى مخلوقاته ليجعلنا أن نتصور معقولية وجود أقانيم إلهية ثلاثة تؤلف وحدة طبيعة الله غير المتناهية .

وهنا ننقل فصلا للعلامة أوجانيوس كوليه ، حيث يقول : " من الظاهر أن الله عزّ إسمه ، أبقى أثرا للثالوث فى باقى مصنوعاته . فإن ذوى عقول تفردت بعلو المدارك ، ذهبوا إلى أن صورة الثالوث مرسومة حتى فى عالم المجردات الرياضية ، حيث يوجد دوما فى كل مسألة ثلاثة

حدود أى كميتان . ويظهر أن الرقم (٣) حسابيا ، ونسبة الرقم الذى هو وجه ما غير مشتق من غيره ، بل تتفرع منه سائر الكسور . أجل ، إنه لم يكن ينبغى التطرف فى التشابيه حسب المخيلة ، ولا التسليم بأن النسبات التى زعم وجودها ذوو العقول الثاقبة بين سر الثالوث والأشكال الهندسية قاطعة ، لكن بطريق العرض اتفقت الشعوب كافة ، أو على الأقل أكثرها ، على جعل المثلث الزوايا شبها رياضيا للماهية الإلهية . وهل من صدفة زعم كم غفير دون الإحصاء من ذوى الألباب وجود شبه أتم انطباق على الماهية الإلهية فى الكرة . فالعلامة پاسكال لم يكن سوى مترجم لما قاله فيلسوف يونانى حين يدعو الله " فلكا محوره فى كل مكان ودائرته لا حد لها " . وقد ألف العلامة كيبلير كتابا كاملا بهذا الصددعنوانه " أثر الثالوث فى الكرة " ، وفى هذا الشبه الوحيد تتلقى ثلاثة جواهر قد استفرغ العلم الهندسى مجهوده فيها ؛ وهى المحور والشعاع والدائرة . فلندع جانبا هذه الإعتبارات النظرية المحضة ، ممعنين النظر فى بعض تقريرات منسقة فى علوم بشرية مختلفة .

(١) إن العدد الثلاثى يوجد فى تقسيم سائر العلوم. لقد ميزوا فى العلوم الطبيعية ثلاثة موالد هى المعدنى والنباتى والحيوانى . وفى المعدنى ثلاث حالات هى الجمودية والمائعية والغازية . وفى النباتى ثلاث فصائل هى الحشائش والنجوم والأشجار . وفى الحيوانى ثلاثة أماكن يعيش فيها وهى اليابس والهواء والماء .

وفى الطبيعيات ثلاث عوامل هى النور والحرارة والمغناطيسية. وفى العلوم الآلية ثلاثة أشياء كائنة فى قوة واحدة هى المركز والوجه والإشتداد . وفى العلوم الطبية لحفظ حياة الإنسان ثلاث وظائف خصوصية هى التنفس ودورة الدم والهضم . وفى مبحث العلوم الأدبية يرشد علم البسيكولوجيا (أى علم النفس) أن للنفس البشرية ثلاث قوى هى الحس والفهم والإرادة ، والحس أيضا إما طبيعى أو أدبى أو عقلى ، فالبصيرة تطرح للبحث حوادث التعقل والتصديق

والتضمير ، والإرادة تقدم للفحص المدقق ثلاث مشاهد : الغريزة والعادة والفاعلية الحرة .

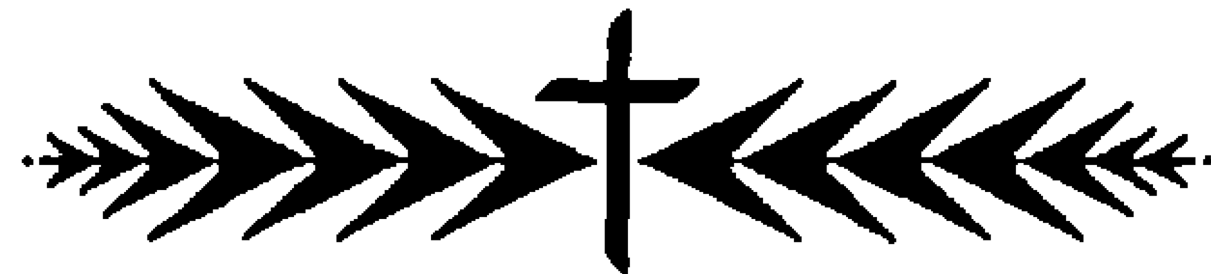
(٢) لو أمعن النظر فى القواعد اللغوية والكلامية، لوجد أن القياس الذى يستعمل به فى تعبير الصـــور ، يتضمن قضيتين كبرى و صغرى ونتيجة ، وأن الجملة ثلاث أجزاء : فاعل وفعل وصفة ، وفى الفعل ثلاثة أزمنة ، ماضى وحاضر ومستقبل، وفى الزمان ثلاثة أشخاص : متكلم ومخاطَب وغائب .

(٣) إذا استفسرنا الخليقة المادية ، نجد فى كنه كل الموجودات ثلاثة أشياء وهى الجوهر والصورة أو الهيئة التى يلتحف بها الجوهر والفاعلية الحرة أو الإضطرارية . أليس أن هذه الصورة الثلاثية الموجودة فى كل كائن هى مثال حياة الله الداخلية : أى الجوهر الإلهى ظاهر فى فعله وفاعلا فى الخلق . ثم أن كل مادة مهماكانت صورتها ، لها ثلاثة أبعاد هى الطول والعرض والعمق ، التى لا بد منها فى كل مركب واحد . إن مثال الوحدة فى الثالوث موجود أيضا فى شعاع الشمس المؤلف من نور وحرارة وقوة ، وفى الألوان الثلاثية الأصلية الكائنة فى المنشور المثلث وهى الإحمرار والإصفرار والإزرقاق . وفى الألحان الثلاثة المؤلف منها سلم النغم ، وفى التناسل الذى يستدعى ثلاث أشخاص أعنى الأب والأم والولد . وفى الهيئة الإجتماعية التى تتضمن السلطة ومتقلدها والمرؤوس .

قال العلامة بوسيه : " كل هذا دليل على أن الوحدانية فى الأشياء الطبيعية هى فى ذاتها مبدأ الفرد ، والوحدانية ليست أصعب اتفاقا مما نظنه "

وقد اعتاد آباء كنيستنا وبعض معلمى كنائس الشرق أن يتكلموا عن الثالوث الأقدس تقريبا للأفهام هكذا : " نقول عن الله أنه شئ لا

كالأشياء المخلوقة ، إذ هو الخالق لكل شئ ، وذلك لننفى العدم عنه . ورأينا الشئ ينقسم إلى قسمين ، شئ حى وشئ غير حى ، فوصفناه بأجل القسمين ، فقلنا حى ، ينفى الموتانية عنه . ورأينا الحى ينقسم قسمين ، حى ناطق وحى غير ناطق ، فوصفناه بأفضل القسمين ، فقلنا ناطق لننفى الجهل عنه . والثلاثة أسماء هى إله واحد ، وهو الإله الذى لا يتبعّض ولا يتجزأ ؛ فلا هو ثلاثة بمعنى ما هو واحد ، أى ليس هو ثلاث ذوات بل ذات واحد ، ولا هو واحد بمعنى ما هو ثلاثة ، أى ليس صفة واحدة بل ثلاث صفات . فالذات الذى هو عندنا الآب الشئ ، والإبن النطق ، الروح القدس الحياة . وهذا رأينا ومعنى قولنا أن البارى سبحانه إله واحد ، ونصفه بثلاث صفات جوهرية ونقول أنه آب وإبن وروح قدس . نريد بذلك تصحيح القول إنه تعالى شئ حى ناطق ، كقولنا عقل الإنسان ونطق الإنسان وحياة الإنسان ، وهو إنسان واحد وليس ثلاثة " .



الفصل الخامس

التثليث فى الأديان الأخرى

+

نجد فى أصول الأديان الوثنية شيئا ينبئ عن الثالوث :

أولا : فى الهند

كان الثالوث الإلهى مؤلفا من ثلاثة : براهما وفيشنو وسيفا . فبراهما هو الموجود غير المتناهى الأزلى الذى أوجد المادة وظهر فى إبداع العالم . وفيشنو هو الحكمة الحافظة هذا العالم المخلوق . وسيفا هو إله الموت والملاشاة فيلاشى كل ما يجد . وفى زعمهم أن هؤلاء الثلاثة يتولون معا تدبير العالم .

ثانيا : فى الصين

إن الفيلسـوف الصينى لاوشـو يوضح عقيدة قومه فى التثليث بقوله : " إن الذى تفتش عنه ولا تجده ى I والذى تصغى له ولا تسمع صوته يدعى هـ HI والذى تمتد إليه يدك ولا تتمكن من لمسه يدعى و هـ WEI . فتخيلوا فى تقليدهم أولا المبدأ أو الآب (الذى تفتش عليه) ثانيا الكلمة أى الإبن (الذى تصغى إليه) ثالثا الروح القدس (الذى لا تتمكن من لمسه) والحروف الثلاثة ى هـ و هـ JHI تتألف منها كلمة غريبة عن اللغة الصينية ، فهى إذن بلا شك مأخوذة عن اللغة العبرانية ، وهى بلا ريب (يهوه) .

ثالثا : فى الفرس

إن الفيلسوف لزور واسنار كان يتعبد (أولا) إلى عقل هرموفورا

الذى له الكلمة السامية . (ثانيا) إلى الروح الفاعل له الذى يتمم تلك الكلمة . (ثالثا) إلى لسانه الذى يلفظ الكلمة السامية دون انقطاع .

رابعا : فى اليونان

كان أفلاطون (٤٠٠ ق. م.) قد فرض قبل كل شئ بوجود العقل السامى علة العالم ، ثم بعد ذلك الروح الذى هو المثال الأول لكل تصورات فهو على وجه الفكر الإلهى أو كلمته ، وأخيرا يعترف ذلك الفيلسوف الشاعر بوجود روح عظيمة منتشرة تحيى العالم وتحركه ، وهى على مذهبه جزء أزلى من الله متحد بالمادة .

ولما تأسست المدرسة الأفلاطونية الجديدة فى الإسكندرية ، علمت تعليم أفلاطون فيلوتين فى سنة ٢٦٠م الذى اعترف بوجود ثالوث واحد فى ثلاثة أقانيم : الأول على مذهبه هو الوحدة الثابتة ، والثالث على مذهب أفلاطون هو الروح الذى يحرك العالم ، أما الثانى ، فهو الرابط بين الأقنومين الأول والثالث ، وهو معروف عنده بالعقل المتحرك الذى سوى التصور الإلهى .

إلا أن المعطلين، عوضا عن أن ينسبوا اهتداء الوثنيين إلى التثليث الإلهى أو إلى الوجدان أو إلى الغريزة عينها التى تعلمنا بوجود إله ، قالوا أن عقيدة الثالوث المسيحية مستمدة من الفلسفات الوثنية . وقد فاتهم أن الوثنيين مضطربون فى اعتقادهم بالتثليث كما اضطربوا فى عقيدة الوجود الإلهى ، نظرا لأنهم لم يهتدوا بنور الوحى الإلهى كما بنور الوجدان ، وشتان ما بينهما كليهما من طرق التنوير . وكانت عقيدة الوثنيين فى الثالوث أنه ثلاثة آلهة ، بعكس المسيحية التى توحد الله ولا تشرك معه آخر . وكما اختلف الأمم فى الكيفية التى تصوروا بها الله ، كذلك اختلفوا فى الكيفية التى تصوروا بها التثليث . وهكذا يقول المعطلون : " إن براهما وفيشنو وسيفا فى الديانة الهندوستانية ، يمثلون الآب والإبن والروح القدس " . فيرد عليهم أحد علماء المسيحيين بقوله : " إن البراهمة

لم يفهموا وحدانية الله خيرا مما يفهموا تثليثه ، وليست التنشبيهات التى تُروى عنهم إلا تشبيهات لفظية . وإذا امتحنت تعاليمهم فى أعماقها ، وجدت بها اختلافات جوهرية يتعذر معها عمل أى مقارنة بينها وبين الديانة المسيحية " . وزادوا على ذلك بأن زوجوا آلهتهم هذه ؛ فتزوج براهما ساراسفاتى آلهة العلم ، وتزوج فيشنو لكسى آلهة الجمال ، وتزوج سيفا كالى آلهة الخراب . وانتهوا بأن ملأوا المذابح بعدد لا يحصى من الآلهة .

وكم أذاع خصوم المسيحية أن يوحنا الإنجيلى أخذ التعليم عن «الكلمة» مما تكلم به فيلون اليهودى عن لوغوس (الكلمة) وغاب عن بالهم أنه ، وإن اتفقت الكلمات ، إلا أن الفرق بين الأفكار والتعبير لا يقاس . فلئن كان يوحنا قد عبّر عن المسيح « بالكلمة » ووجه الكلام لليهود واليونانيين ، فليس لأنه أراد أن يساوى بين « الكلمة » وما يعتقدونه هم عن « الكلمة » ، بل سلك مسلك الرسول بولس فى أثينا حيث قال لأهلها : « بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم ، وجدت أيضا مذبحا مكتوبا عليه لإله مجهول . فهذا الإله الذى تتقونه وأنتم تجهلونه ، هذا أنادى لكم به » .

فتعليم التجسد فى المسيحية إلهام ، وصيرورة الكلمة جسدا لم يُشِر إليه لا فيلون ولا غيره من الفلاسفة ، وهذا هو الفاصل بين المبدأين ، لأن الكلمة Logos عند فيلون هى كائن متوسط لا هو إله ولا هو إنسان . وأما « الكلمة » فى الديانة المسيحية فهو إله متجسد . ثم أن يوستينوس الشهيد ، فى محاورته مع اليهودى ، ذكر «الكلمة» المسيح بقوله : " كلمة الحكمة هو الله المنبثق من الله قبل كل الأشياء " . فلو كان اقتبس من فيلون ، لذكر إسمه طبعا وهو يجادل يهوديا . هذا ، وأن الذين كتبوا الأناجيل وقاموا بنشر الديانة المسيحية أولا ، جميعهم كانوا يهودا موحدين ، ولم يكن بينهم وثنى ممن تشبعوا بفكرة التثليث فى أديانهم ليُدخل فى المسيحية عقيدته تلك . فمن أين أدخلت العقائد الوثنية إلى المسيحية والذين أسسوها كانوا يهودا متعصبين للوحدانية ؟!

الفصل السادس

الثالوث في العهد القديم

+

إن العلم القديم الذى يعلن أن الله واحد بصريح اللفظ (تث ٦ : ٤) يعلمنا فى أماكن عديدة عن تثليث أقانيمه .

(١) إستعمال الله سبحانه ضمير الجمع لنفسه فى قوله : « نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (تك ١ : ٢٦) ، وقوله :« هوذا الإنسان قد صار كواحد منا » (تك ٣ : ٢٢)، وقوله : « هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم » (تك ١١ : ٧) ، وقوله : « من أرسل ومن يذهب لأجلنا » (أش ٦ : ٨) . قال المعترضون أن الله قصد فى ذلك تعظيم نفسه نظير عادة الملوك . وهو قول غير سديد ، بدليل ما بيّنه علماء اللغات القديمة من أن تلك العادة لم تكن معروفة بين ملوك الشرق قديما ، كما جاء فى العهد القديم ذاته ، حيث قال نبوخذنصّر : « فصدر منى أمر » ، وقال داريوس : « من قلبى صدر أمر » (دا ٤ : ٦ و ٦ : ١٦) .

(٢) ونرى فى أسفار الكتاب الأول تمييزا بين يهوه وملاك يهوه ، وأن لهذا الملاك ألقابا إلهية وعبادة إلهية ، ومن أسمائه أيضا الكلمة والحكمة وإبن الله ، وأقنوميته ولاهوته موضحان جليا ، لأنه منذ القديم ومنذ الأزل ، والإله القدير ورب داود والرب برنا الموعود به قبلا ، أنه سيولد من عذراء ويحمل خطايا كثيرين (تك ٣١ : ١١ و ١٢ و ١٣ و ٤٨ : ١٥ و ١٢ و مز ٤٥ : ٦ و ٧ و .١١ : ١ و أش ٩ : ٦ و ٤٤ : ٦ و ٧ : ٢٤ و ملا ٣ : ١) .

(٣) وجاء فى الأسفار المقدسة أن روح الله هو مصدر الحكمة والنظام وحياة الكون ، وأنه يلهم الأنبياء ويعطى القوة والحكمة للرؤساء والقضاة ولشعب الله إلخ . (تك ١ : ٢ و مز ١٥ : ١١ و أش ٤٨ : ١٦ و ١٦ : ١) .

(٤) ونرى فى ظهور الله لإبراهيم بهيئة ثلاثة رجال ، إعلان وجود التثليث (تك ١٨) . ونرى فى مز ١١٠ : ١ القول : « قال الرب لربى » ما يدل على صدق ما جاء بسفر التكوين : « نعمل إنسانا » . وقيل أيضا:« بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها » (مز ٣٣ : ٦) . وقيل عن الله : « وما اسمه وما اسم إبنه إن عرفت » (أم ٣٠ : ٤) . وتكلم الله بفم أشعياء قائلا : « إسمع لى يا يعقوب وإسرائيل الذى دعوته . أنا هو الأول وأنا الآخر ويدى أسست الأرض ويمينى نشرت السموات . أنا أدعوهن فيقفن معا . . تقدموا إلىّ واسمعوا هذا . لم أتكلم من البدء فى الخفاء . ومنذ وجوده أنا هناك والآن السيد الرب أرسلنى وروحه »(أش ٤٨ : ١٢ و ١٣ و ١٦) . فما معنى القول : « الأول وأنا الآخر خالق السموات والأرض . إن السيد الرب قد أرسله وروحه » لقضاء مهمة معينة منذ البدء ؟ ألا تظهر هنا الأقانيم الثلاثة بأجلى بيان ؟ ألا تتفق هذه الآيات تمام الإتفاق مع تعليم العهد الجديد إذ يقول فيه المسيح : « أنا هو الأول والآخر والحى » (رؤ ١ : ١٧) ويعلمنا أن الآب أرسله ويرسل روحه القدوس ليحل فى قلوب المسيحيين الحقيقيين و يرشدهم إلى معرفة الحق . و غير ذلك من الشواهد التى تدل على إعلانات هذا السر ، كانت أولا مبهمة ، ثم أخذت تنجلى رويدا رويدا ، حتى اتضح أكمل إيضاح فى الإنجيل وصار إيمان كل المؤمنين .

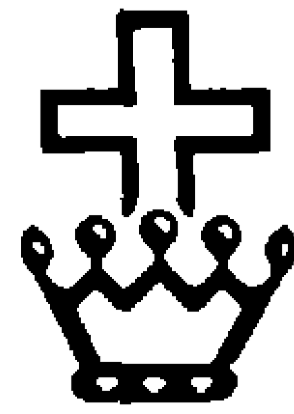
وإذا سأل سائل : لماذا لم يوح إلى الشعب اليهودى بسر التثليث (بصورة واضحة) ؟ قلنا له أن هذا الوحى كان يكون عبثا وضارا . أما

عبثا ، فلأنه لا معنى للوحى بالإبن قبل أن يأتى لخلاص العالم ، ولا فائدة من الوحى بالروح القدس قبل أن يرسل إلى الناس لتقديسهم التام . . وأما ضارا ، فلأن الشعب اليهودى كان محاطا بأمم وثنية وكان ميالا إلى تقليدها كما تشهد بذلك قصة العجل الذهبى . ومع أنه أؤتمن على عقيدة الوحدانية ، فإنه لم يحتفظ بها إلا بكل مشقة ، حتى أن الله كان يتدخل أحيانا بكيفية قاسية لوقايتها . ففى مثل هذه الأحوال ، كان الإيحاء إلى الشعب اليهودى بثلاثة أقانيم ، عبئا ثقيلا عليه لا يضطلع به .

ثم يُلاحَظ أن فى العهد العتيق كلمتين مستعملتين للتعبير عن الألوهية ؛ إحداهما « يهوه » والأخرى « ألوهيم » . فالأولى على مذهب أرباب اللغة العبرانية ، تطلق على ذات الله وعلى جوهره السامى ، وهى لا تستعمل عندهم إلا مفردة . و الثانية تعبر عن تصور حضور الله وقدرته ، وهى لا تستعمل إلا بصيغة الجمع ، ولكنها تقتضى أن يكون الفعل بعدها مفردا . وعليه ، فالترجمة الحرفية للآية الأولى من التوراة ، تقتضى أن تكون هكذا : " فى البدء الآلهة خلق السموات والأرض " . فإن العلماء ما فهموا إلا أن فى لفظة « ألوهيم » وطريقة استعمالها ما يشير إلى وجود عدة أقانيم فى الله .

ومهما يكن من الأمر ، فإن عقيدة الثالوث ، على افتراض أنها غير منوه بها فى التوراة ، فهى موجودة فى التقليدات اليهودية كالإعتقاد بخلود النفس وقيامة الأجساد والتجسد الإلهى .

إن يهوديا شهيرا متعمقا فى معرفة الكتب الحاخامية ، إهتدى بعد ذلك إلى المسيحية ، وهو العلامة موليتور دى مرانفور ، قد بحث عن هذا الأمر بحثا مدققا ، وأورده فى تأليفه المسمى " فلسفة التاريخ والتقليد " .



الفصل السابع

شهادة القرآن للنصارى بالتوحيد

+

إننا نجد القرآن تارة يشهد للنصارى بالتوحيد وتارة بالشرك ، فمما لا ريب فيه أن المراد بوصف النصارى بالتوحيد الإشارة إلى طائفة منهم وبالشرك إلى طائفة أخرى . فأما الموحدون الذين يشهد القرآن بتوحيدهم ، ونعرف أنهم مقرون بإله واحد فهم الأرثوذكس والكاثوليك (وهما الطائفتان اللتان استقامت عقيدتهما فى لاهوت المسيح فى عصر نبى الإسلام)، وأما المشركون فهم قوم يتشبهون بالنصرانية ؛ كالمرقيونية والديصانية والمانوتية والطريثونية أى المثلثة [1] وغيرهم ممن ينتسبون إلى الطوائف النصرانية ، وهى بريئة منهم وبعيدة عنهم . وأما المرقيونية فيعتقدون بثلاثة آلهة : إله عادل و إله رحيم و إله شرير . وأما الديصانية والمانوتية فتقولان بصانعين و إلهين أحدهما خالق الخير و النور و الآخر خالق الشر و الظلمة . و أما الطريثونية أى المثلثة فتقول بثلاثة آلهة وثلاثة أرباب وثلاثة معبودين وثلاثة جواهر . والمسيحيون يعتقدون فى هؤلاء جميعا بأنهم ملحدون ومخالفون الإنجيل .

وأما الشهادات الدالة على توحيدنا من القرآن ، فمن ذلك :

(١) ورد فى سورة البقرة حيث يقول (ع ٥٩) « إن الذين آمنوا والذين هادوا و النصارى و الصابئين من آمن بالله و باليوم الآخر و عمل عملا

---

(١) المرقيونية شيعة مرقيون المبتدع الذى عاش فى القرن الثانى للمسيح . والديصانية مذهب برديصان . والمانوية بدعة مانى الذى ظهر فى العجم فى القرن الثالث للميلاد . والطريثونية مبتدعة لبعض الهراطقة فى القرن الرابع مشتق إسمها من اللاتينية Trithesmus أى القائلون بثلاثة آلهة .

صالحا فلهم أجرهم عند ربهم و لا خوف عليهم و لا هم يحزنون » . فقد دلت هذه الآية على أن النصارى آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا صالحا، فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم. وقد اختلف المفسرون فى هذه الآية ؛ فقال بعضهم أنها نُسخت بقوله (آل عمران ع ٧٩) « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » . فنجيب : إن الله الذى وسع علمه الأشخاص والأشياء ووعد من آمن به وعمل صالحا حسن الجزاء ، منزه عن الخطأ المستلزم التصحيح بالتغيير والتبديل ، وغير مخلف وعده لا بالقليل ولا بالكثير . إن الله لا يخلف وعده بالأجر لمن آمن به وعمل صالحا ، ولا ينقض كلاما سبق فأيده ، لأنه ليس إنسانا فيندم أو إبن آدم فيرجع عما أعطى و وهب . أما معنى قوله « و من يتبع غير الإسلام دينا » فقصد به القرآن أيٍ من المسلمين ، فهو يوقع العقاب المذكور فى تلك الآية على من يرتد من المسلمين و يختار له دينا غير الإسلام .

قال إيليا مطران نصيبين : " وأما قول من يقول أن المراد بآية البقرة إنما هو أن اليهود والنصارى والصابئين يستحقون الأجر فى الآخرة إذا أسلموا لا إذا كانوا على أديانهم ، فيبطل أيضا . لأنه لو كان المراد بها ذلك ، لما كان لذكر اليهود والنصارى والصابئين فى الآية معنى ، فكان يكتفى بقوله : « الذين آمنوا » . وهذه بحسب ذلك الرأى ، تشير إلى كل من يدخل فى الإيمان من اليهود والنصارى والصابئين وغيرهم . ولا تستقيم البلاغة فى الآية إذا كان معناها هكذا : « الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين إذا آمنوا » فكأنه يقول : « الذين آمنوا والذين آمنوا » وهذا تكرار لا يفيد ، وليس للمسلمين أن ينسبوا مثل هذا إلى القرآن .

وأيضا ، فلو كان المبذول فى هذه الآية من الأجر لليهود والنصارى والصابئين مقرونا بشرط الدخول فى الإسلام لوجب أن يكون

المجوس والهنود، إذا أسلموا، خارجين عن الشرط ممنوعين من البذل ، ولزم أنه لو أسلم بعضهم وغيرهم من عبدة الأصنام ، لا يقبل إسلامه لتخصيص اليهود والنصارى والصابئين بذلك . فإذا كان هذا عندهم غير واجب ، بطل أن تكون هذه الآية منسوخة ، وبطل أن يكون المبذول فيها لليهود والنصارى والصابئين مقرونا بشرط الدخول فى الإسلام ، وثبت أن المراد أن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا من اليهود والنصارى والصابئين لهم أجرهم عند الله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وإذ ثبت ذلك ، ثبت أن النصارى موحدون فى حكم القرآن .

وقال الطبرى فى شرح هذه الاية : " إن الذين صدقوا الله ورسوله هم أهل الإسلام ، والذين هادوا هم اليهود ، وأن من الصابئين من آمن بالله وقد بيّنا أمرهم ، والنصارى ممن آمن بالله واليوم الآخر وصدّق بالبعث والنشور بعد الموت ، وعمل صالحا لميعاده ، فلا خوف عليهم فيما قدموا عليه من أهوال القيامة ، ولا هم يحزنون على ما خلفوه وراءهم من الدنيا وعيشها عند معاينتهم ما أكرمهم الله به من جزيل ثوابه " .

(٢) ومنها أيضا قوله فى (سورة البقرة ع ٢٢) « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » فلو كان النصارى مشركين ، لما جاز أن تُنكح بناتهم إلا بعد أن تُسلِمن .

(٣) و يثبت ذلك بما ورد فى (سورة آل عمران ع ١٠٩) أن « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون إلى الخيرات وأولئك من الصالحين » . فمعلوم أن الأمة القائمة المذكورة فى هذه الآية هى بعض ملل اليهود والنصارى . والقرآن يشهد على اليهود بشدة العداوة وقساوة القلب والمكر، ويشهد

للنصارى بقرب المودة والسرعة إلى الخيرات وعمل الصالحات ، وذلك مما يدل أنه بقوله : « أمة قائمة » قد أراد النصارى لا اليهود . فإذ ثبت ذلك ، ثبت أن النصارى موحدون لا مشركون .

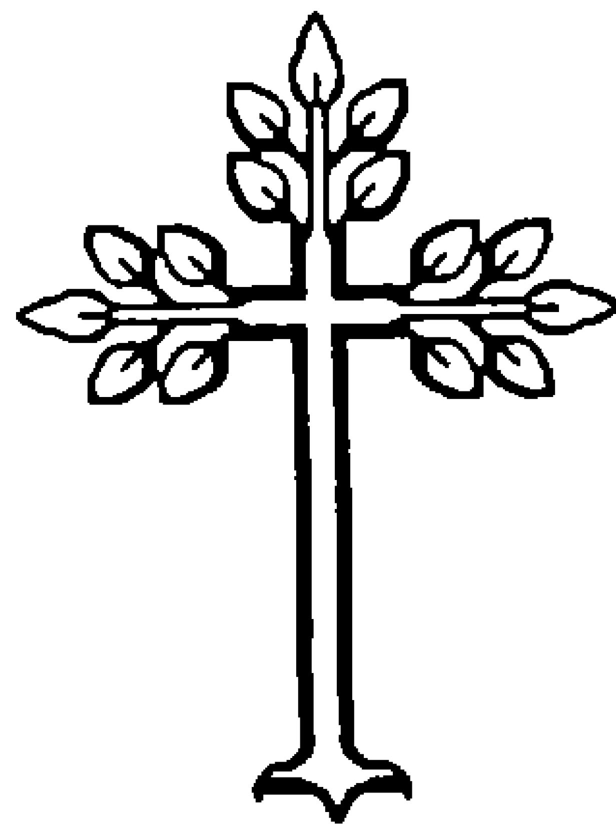
(٤) و كذلك جاء فى (سورة الحج ع ٤١) « ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت جوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها إسم الله كثيرا » . فلو كان النصارى غير موحدين ، لما شهد أنهم يذكرون إسم الله فى بِيَعهم كما يذكره المسلمون فى مساجدهم ، إذ لا يذكر إسم الله إلا الموحدون ، وكان لا يساوى بين المساجد والبِيَع .

(٥) و فى السورة السابقة (ع ١٧) : « إن الذين آمنوا و الذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة » . ومعلوم أنه لو كان النصارى مشركين ، لما ميز فى هذه الآية بينهم وبين الذين أشركوا .

(٦) وفى سورة التوبة (ع ٥) : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » . فهذه الآية توجب قتل المشركين حيث وجدوا سواء أعطوا الجزية أو لم يعطوها . ويوجب القرآن حقن دماء النصارى وأكل ذبائحهم ومخالطتهم وحراستهم إذا أعطوا الجزية كما يُحرس المسلمون ، وذلك مما يدل على أنهم موحدون لا مشركون .

(٧) و فى سورة المائدة (ع ٧٠) : « و لو أنهم أقاموا التوراة و الإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصَدة وكثيرا منهم ساء ما يعلمون » . قال مجاهد : " إن الأمة المقتصدة هى مؤمنة أهل الكتاب " . وقال قتادة : " أى من أهل الكتاب أمة مقتصدة على كتاب الله وأوامره ". وقال السندى :" هى المؤمنة " . وقال ابن يزيد : " المقتصدة هى أهل الطاعة لله من أهل الكتاب وهى لمن يقبل التوراة والإنجيل " . ولم يقبل التوراة والإنجيل أحد سوى النصارى ، فهم إذن موحدون .

(٨) و فى سورة المائدة (حـ ع ٥٨) : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا و أنهم لا يستكبرون » . فقد ميز النصارى من المشركين فى هذه الآية بعد أن أورد تأويلات المتقدمين واختلاف المفسرين فيها ما شرحه : " إن الصواب فى ذلك عندنا أن يقال أن الله تعالى أخبر عن النفر الذي أثنى عليهم النصارى بقرب مودتهم لأهل الإيمان بالله ورسوله وأن ذلك إنما كان منهم لأن منهم أهل دين واجتهاد فى العبادة وترهب فى الأديرة والصوامع ، وأن منهم علماء بكتبهم وأهل تلاوة لها ، فهم لا يبعدون من المؤمنين لتواضعهم للحق إذ عرفوه و لا يستكبرون قبوله إذ تثبتوه . وليس كاليهود الذين قد تدربوا بقتل الأنبياء والرسل ومعارضة الله فى أمره ونهيه وتحريف التنزيل الذى أنزل فى كتبه ". فقد دلت هذه الآية وتفسيرها على أن النصارى أقرب الناس مودة إلى المسلمين ، وأنهم مجتهدون فى الطاعة لله ، وبالنتيجة أنهم موحدون لا مشركون .



الفصل الثامن

إعتراضات على التثليث

+

(١) يعترضون على التثليث قائلين : لا يمكن أن يسلّم بأن ثلاثة أشخاص متميزون عن بعضهم تمييزا حقيقيا ، لا يكونون ثلاث طبائع أو ثلاثة آلهة . نجيب : أنه فضلا عما قلناه من أن العقل البشرى عاجز عن فهم الأمور الإلهية غير المحدودة ، نقول أيضا أنه لا تناقض فى هذا القول " إن الله واحد فى ثلاثة أقانيم أى ثلاثة أفراد حقيقية ومتميزة فى طبيعة أو ماهية واحدة إلهية " . فهل للماهية والأقنوم معنى واحد ؟ . إن الفلاسفة يميزون بين الماهية والأقنوم . فلو كان معنى هاتين اللفظتين واحدا ، لوقعت المناقضة حقيقةً ، أما و معناهما متباين ، فممكن وجود ثلاثة أقانيم فى جوهر واحد .

أما جواب العلماء اللاهوتيين على هذا الإعتراض ، فهو أن أقنوما واحدا ، أى الآب ، لا ينبثق من أحد، بل إنه مبدأ اللاهوت ، ومنه ينبثق الأقنومان الآخران ، على أنهما ينبثقان منه ويستمران فيه حسبما قال المسيح : « أنا فى الآب والآب فىّ » والفرق عظيم بين الأشخاص البشرية والأشخاص فى الألوهية . فإن ثلاثة أشخاص بشريين يقومون بثلاث طبائع أى ثلاثة جواهر فردية ، ولكل من هذه الأشخاص جوهر مختص به دون غيره . أما فى الله ، فالطبيعة أى اللاهوت مفردة لا تنقسم . ولذا تتميز الأقانيم تمييزا حقيقيا ، غير أنهم يستمرون ذوى طبيعة واحدة إلهية ، ويكونون إلها واحدا .

إن الواحد لا يمكن أن يكون واحدا وثلاثة إذا نُظر إليه من جهة

الجوهر فقط لا من جميع نواحيه . فقطعة العملة مثلا يمكن أن تكون جنيها صحيحا ، ومن السهل تحويلها إلى مائة قطعة أو أكثر ، ومعنى ذلك أننا لا نستطيع أن نقول أن واحدا يساوى ثلاثة من حيث الوحدة ، ولكن يكون من السهل أن نقول بذلك إذا نظرنا من ناحية التفرقة ، وأن نطلق على كل جزء من هذه الأجزاء الثلاثة إسما خاصا ولقبا مختلفا . فالإنسان مركب من نفس وذات وحياة ، وهو فى جوهره واحدا، فمن الخطأ أن تكون كل واحدة من هذه مستقلة ، بل أن جميعها تكوّن رجلا واحدا له نفس وذات وحياة . كما أنه من الخطأ أن يكون هناك إله وثلاثة آلهة وأقنوم وثلاثة أقانيم .

(٢) يقولون : كيف يقال أن الله إله و الإبن إله والروح إله ، ولا يكونون ثلاثة آلهة ؟ . قال أحد الأفاضل : " وعليه ، لما يقال الآب نظرا إلى الجوهر ، يُقصد الله بكل جوهره ، ولما يقال الإبن ، كذلك يُقصد الله بكل جوهره ، ولما يقال الروح القدس ، يُقصد الله بكل جوهره . ولكن لما يقال الآب نظرا إلى الأقنومية ، يُقصد أقنوم الآب ، وكذلك لما يقال الإبن أو الروح القدس ، يُقصد كل أقنوم على حدته ، أو بتعبير آخر ، بالنسبة إلى الجوهر ، يكون الآب هو الإله الوحيد الحى الحقيقى ، والإبن هو الإله الوحيد الحى الحقيقى ، وكذلك الروح القدس . أما بالنسبة إلى الأقنومية ، فكل أقنوم ليس هو الأقنومين الآخرين . فقولنا أن الآب إله تام والإبن إله تام والروح القدس إله تام وليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد ، يجرى مجرى من معه ثلاث قطع ذهبية فنقول عن كل قطعة من الثلاث قطع إنها ذهب تام ، وليست الثلاث قطع ثلاث أذهاب ، ثلاث قطع والذهب واحد ، لأن التثنية والتكثير لا يقعان على الجوهر بل على العيان .

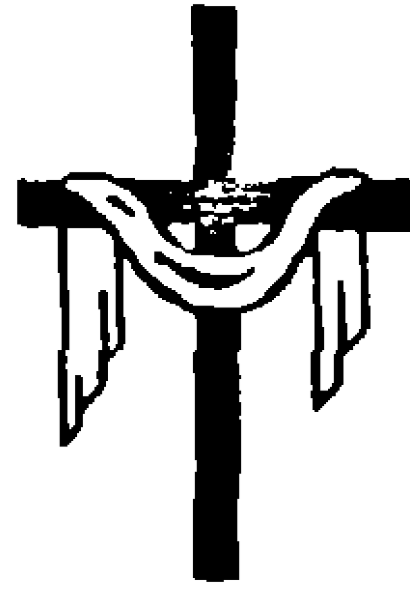
(٣) يقولون : كيف أن الله كلى البساطة ومثلث الأقانيم ، وكلاهما ينفى الآخر ؟ . فنجيب ؛ إنا أثبتنا صحة ذلك ، ولكنا نرد عليه فيما يلى :

إن الله هو الله . فالأزلية وعدم التغير مثلا ليسا صفتين مكتسبتين ، بل أنه هو الأزلية وأنه هو عدم التغيير ، وأن صفاته هى الله ، دون أن يكون هناك اختلاف أو تغيير . فليست الأقانيم أجزاء اللاهوت ، بل هى ذات اللاهوت ، وعين الطبيعة الإلهية الأبوة والبنوة والإنبثاق . فلا محل فيه للتركيب المعتاد للبساطة .

(٤) يقولون فى هذا كسابقه من أن واحدا وواحدا وواحدا تساوى ثلاثة . فنجيب : ولكن وحدة الله فى كل مرة هى نفس الوحدة السابقة ، فإذا قلنا (١×١×١) فهى تساو« (١) ، ذلك لأن كل واحد من هذه الثلاثة هى نفس الأخرى ، وهى فى مجموعها واحد غير منفصل ولا متجزئ .

(٥) قالوا إن المسيحيين الأولين لم يكونوا يعتقدون بسر الثالوث الأقدس ، ولو أنهم اعتقدوا به وعلموه فى كنائسهم ، لكان أحدث تعليمهم هذا جدالا طويلا مع الوثنيين ، و لكان هؤلاء اتهموهم باتباع مذهب الشرك ، والحال أننا لا نرى أثرا لكل ذلك . فنجيب : إن المسيحيين الأولين لم يكونوا يبينون بإيضاح هذا السر للمرتدين الجدد ، بل كانوا يعلمونهم فقط الإيمان دون زيادة الإيضاح بشأن هذه القضية . وحسنا كانوا يفعلون ، لأن هذه الأمور الإلهية تفوق طور العقول ، فيضحك منها أعداء الدين ، وينفر منها من كان حديث العهد فى الإيمان غير متعمق فى أصول الدين . وهكذا قال أوريجانوس فى رده على ما اتهم به كلسوس المسيحيين بأن لهم أسرارا لا يطلعون عليها أحدا . قال : " إننا نحذو حذو فلاسفتكم الذين يكتفون بتعليم بعض أتباعهم المبادئ العالية على أن لا يبوحوا بها إلى البسطاء الذين يلقنونهم التعاليم البسيطة . بينما نحن نقدم للمسيحى المبتدئ التعاليم الأولية ، وكلما نما فى المعرفة ، صار أهلا لفهم التعاليم السامية التى نسلمها إليه بالضرورة " . ومع ذلك ، ففى مؤلفات القديس يوستينوس ما كتبه محاماة عن هذه العقيدة ضد الوثنيين ،

وإليك نصه : " إن عبدة الأوثان كانوا يوبخون المسيحيين على أنهم يسجدون للمسيح وينزلونه منزلة إبن الله " . وقد ورد فى كتاب أوريجانوس ضد كلسوس الوثنى أن هذا الفيلسوف كان يعترض على المسيحيين بأنه ، من اعتقادهم بسر الثالوث ، ينتج تعدد آلهة . فأجابه أوريجانوس بأن الآب والإبن والروح القدس ، وإن كانوا ثلاثة أقانيم ، فهم ذات واحدة .



الفصل التاسع

فى حقيقة بنوية المسيح لأبيه

+

أولا : بنوية المسيح للآب فى الإنجيل

إن بنوية المسيح ، الأقنوم الثانى للآب الأقنوم الأول ، من المسائل المتعلقة بالألوهية . وهى كغيرها فيما يختص بالله ، لا يمكن أن نستمدها من العقل أو أى مصدر آخر ، قبل أن نستمد معرفتها من الله نفسه ، لأنه ليس يستطيع أحد أن يعلن الله إلا الله نفسه .

فبنوية المسيح لأبيه لم يعلنها ، ولم يكن يستطيع أن يعلنها ، إلا الله ذاته . فالوحى فى العهد القديم أشار إلى هذه الحقيقة بالتلميح ، ولكن المسيح هو الذى جاء بها صريحا .

وجاء يسوع معلنا ذاته أنه الله ، وأظهر العلاقة الكائنة بينه وبين الأقنوم الأول من اللاهوت منذ الأزل بأنها علاقة الآب بالإبن . ويوحنا الرسول يشير إلى ذلك بقوله : « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) . وهذا التعبير الذى عبّر به يوحنا عن الآب وإبنه ، طابق الإصطلاحات التى كانت مفهومة لدى علماء اليهود عن مسيًا ، ولدى علماء اليونان عن « الكلمة » . . فالعهد القديم يؤخذ منه أن الله سيعلن عن نفسه بواسطة « كلمته » أو « حكمته » . ولفظ "Logos" الذى معناه « الكلمة » ، يدل فى الفكر اليونانى على العقل الإلهى الظاهر فى الكون والذى يشرح علاقة الله بخلقه . وقصد يوحنا الرسول بتسمية المسيح بالكلمة ، إيضاح بنويته لأبيه لكل من اليهود واليونان . فاليهود يفهمون منها أن المسيح هو إعلان كلمة الله وحكمته ، واليونانيون يفهمون أنه صورة الله الحقيقية .

قال أحدهم : " فبنوة المسيح الأزلية ليست عقيدة بوجود أكثر من إله واحد . ولكنها تعنى أن فى الجوهر الإلهى تمييزا بين الأقانيم بدون انفصال بينهم . وبعبارة أخرى نقول : إن إعلان الله ذاته فى المسيح ، قد علمنا أن الله ليس وحدة مفردة لا تتجزأ ، بل أن فى داخل الوحدة الإلهية ، يجب أن نميز علائق خاصة بين أقانيم ثلاثة متميزة فى وحدة تامة ؛ الآب والإبن والروح القدس " .

إن الله يريد من الإنسان الذى خلقه على صورته ومثاله ، أن يتحد به . ولكن أكثر الناس قربا من الله لم يستطيعوا أن يظهروا متصلين به كما كان يظهر المسيح . وجميع الأنبياء الذين سبقوا المسيح ، كانوا يتكلمون بأن الله قال لهم أو أن الرب نطق بأفواههم . أما المسيح ، فكان الكلمات التى تتردد على شفتيه « الآب . الآب » . ومع أنه كان يقضى وقتا يجول صانعا الخير للناس ، إلا أنه كان ينفرد للتحدث مع أبيه بمسرة فائقة . بل أنه حتى وجميع الناس تحيط به كان عندما يراهم غير فاهمين إياه كما يجب ، يتحول إلى أبيه ويناجيه كأن لا أحد معه .

فما هو السر فى ما نقرأه عن المسيح أنه انفرد فى موضع خلاء ليصلى ؟ و ما أكثر ورود ذلك عنه . ليس ليؤدى واجبا عليه أن يؤديه ، وإنما كان يفعل ما يلائم طبيعته التى هى كما قال مرة :« والآب واحد » . ولئن كنا نراه يؤدى الواجبات الناموسية ويباشر العيش مع الناس ، إلا أن روحه كانت فى السموات مع أبيه ، وبنور ذلك الموضع السامى نظر إلى العالم الأسفل ، وبه دبّر شؤونه ودعوته بين الناس .

فمن الإنجيل يفهم أن تثليث الأقانيم والعلاقة بينهم ، هما سر من أسرار الله ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يفهمها إلا بمساعدة الوحى . قال مخلصنا : « ليس أحد يعرف الإبن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الإبن ومن أراد الآب أن يعلن له » (مت ١١:٢٧) . وقال أيضا وهو يتكلم عن لاهوت الكلمة الذى هو جزء مهم من السر:« طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات » (مت ١٦:١٧) .

أما التقليد فهو قاطع فى هذه النقطة، فقد عنّف القديس أثناسيوس " هؤلاء الحمقى والمجترئين الذين يريدون بفضولهم أن يسبروا غور الثالوث الأقدس بدلا من الإكتفاء بالتصديق به " .

وأكد القديس أغريغوريوس النسيبى " بأن كلام البشر عاجز كل العجز عن بلوغ عمق هذا السر الفائق للعقل ". وقال القديس هيلاريوس : " إنه فوق كل تعبير ينطق به اللسان و كل تصور يتصوره الجنان " .

وفى الوسع أن نأتى بشهادات جمة من هذا النوع ، ولكنا نكتفى بما قال القديس كيرلس الإسكندرى ، وهو : " يجب أن نصدق أن الله هو آب وأنه ولد ولدا . ولكن ، كيف أمكن هذا ؟ . ذلك ما يجب أن نقلع عن طلب تفهمه . ولست أظن أن شخصا يجرأ على الهزء من أولئك الذين يسلمون عن حكمة بحقائق تسمو على العقل الضيق . وسر الولادة الإلهية هو من هذه الحقائق التى تفوق كل عقل .

ثانيا : بنوية المسيح للآب فى تاريخ الكنيسة

سميت الأقانيم الثلاثة بالآب والإبن والروح القدس . وكان أول من صرّح بهذه الألقاب المسيح نفسه حيث قال : « وعمدّوهم باسم الآب والإبن والروح القدس » (مت ٢٨ : ٢). ولم يُفصح لنا المخلّص ولا الرسل عن سبب إطلاق هذه الألقاب على الأقانيم الإلهية من باب التلميح . ولبثت الكنيسة لا تلتفت إلى البحث فى معناها ، حتى قام آريوس الهرطوقى وعلّم تعليما مخالفا فى السيد المسيح ، فحددت الكنيسة ، دفعا لبدعته ، عقيدتها فى سبب تسمية الأقنوم الثانى بالإبن .

قال آريوس : " إن الإبن لم يكن منذ الأزل ، بل أصدره الآب من العدم وخلقه مثلنا . وأن المسيح ، بحسب اختياره المعتوق ، كان ذا طبيعة متغيرة . فكان يمكنه عمل المآثم والرذائل ، لكنه اعتنق الصلاح والفضائل ، فأشركه الله من أجل أعماله الصالحة بطبيعته الإلهية ، مجملا إياه بهذه الألقاب : كلمة ، إبن ، حكمة " .

فالكنيسة حينئذ قاومت عقيدة آريوس هذه بكل قوتها وشجبتها ، ووضعت قانون الإيمان وحددت فيه عكس آريوس بشأن ولادة الإبن من الآب ، هذا الإيمان : « ونؤمن . . برب واحد يسوع المسيح إبن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو [١] للآب فى الجوهر » .

ثم حرم المجمع النيقاوى الذى وضع هذا القانون كل من يقول أن إبن الله كان وقتا لم يكن فيه ، وأنه لم يكن قبل أن يولد ، أو أنه خُلق من العدم ، أو يقول أنه من جوهر آخر أو ذات أخرى ، أو أنه مخلوق أو متغير ، أو استحال إبنا لله . فقوله : « إله من إله » يقصد به أن طبيعة الإبن هى ذات طبيعة الآب وأن ولادته منه ، بمقدار ما استطاع المجمع أن يعبر ، هى كولادة النور من النور . ومعنى قول المجمع ، أن لا فرق بينهما فى كل شئ سوى أن الآب والد والإبن مولود . أما كيفية هذه الولادة ، فلم يعط عنها بيانا كافيا . فالفرق بين عقيدة آريوس وعقيدة الكنيسة ؛ أن آريوس قال بعدم أزلية الإبن وأنه ليس من جوهر اللاهوت ، والكنيسة علّمت أن الإبن أزلى لم يتقدمه الآب لحظة واحدة وأنه مولود من ذات جوهر الآب .

ثالثا : بنوية المسيح فى تعبير الكتاب المقدس

و نجد أن الكتاب المقدس لم يعبر عن الأقنوم الثانى إلا بكونه إبنا لله ، ولم يتكلم عن ماهية هذه البنوية . غير أنه توجد بضع آيات فى الكتاب المقدس تدل على أن الأقنوم الثانى دُعى إبنا للأقنوم الأول نظرا لولادته الأزلية منه من قبل كل الدهور . وهذه هى الآيات المشار إليها :

(١) « أنت إبنى . أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) . قال أحد الآباء :

---

(١) مكتبة المحبة : نتلو قانون الإيمان اليوم هكذا : « . . . . . إله حق من إله حق مولود غير مخلوق واحد مع الآب فى الجوهر . . . . . » .

" إن معنى ' اليوم ' هنا ' أى فى الأزل ' وذلك لأن الأزل ليس له ماضٍ ولا مستقبل بل هو الحاضر فلذلك يُعبَّر عنه باليوم " . وقال غيره بأن " الرسول بطرس فسر الآية بأنها تعنى ' قيامة المسيح ' (أع ٣ : ٣٢) . لا سيما والمرتل قال « إنى أخبره بقضاء الرب » ع ٦ . ولاهوت المسيح وأقنوميته ليسا من أفعال القضاء الإلهى " .
قلنا : وكلا الرأيين معتبر ، لأن بعض الآيات تدل على معنيين كالقول « من مصر دعوت إبنى » فقد أطلقت على بنى إسرائيل والمسيح . والرسول بطرس فسر مز ٢:٧ على قيامة المسيح ، وفسره بولس فى عب ١ : ٥ على ولادته الأزلية . وبهذا الرأى علّم القديس أوغسطينوس أن الوحى قصد بـ « اليوم ولدتك » أى الأزلية .

(٢) «الرب قنانى أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم. منذ الأزل مُسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض» (أم ٨ : ٢٢ و ٢٣) . وقد فسر القديس أثناسيوس الرسولى « قنانى » بولدنى كما تؤدى المعنى الكلمة الأصلية .

(٣) « ومخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢). ولفظة « أزل » تشير إلى ما لا أول له من الزمن . و اعترضوا على لفظة « منذ » فقالوا : بما أنه لم يقل " فى الأزل " بل « منذ أيام الأزل » فهو محدث لأن « منذ » معناها " من الآن فصاعدا " . ولكن نرد عليهم بالقول : فى مز ٩٠ : ٢ عن الله : « منذ الأزل إلى الأبد أنت الله » فهل الله محدث لأنه قيل عنه « منذ الأزل » ؟ . فالأزل غير محدود ببداية ونهاية ، ولا أول له ولا آخر . والعقول البشرية قاصرة عن أن تفهم " الأزلية " كما هى .

(٤) « الذى هو صورة الله غير المنظور » (كو ١ : ١٥). « وهو بهاء مجده ورسم جوهره » (عب ١ : ٣) .

فواضح من هذه الآيات أن الإبن مولود منذ الأزل ، وإن كان الكتاب الإلهى لم يتعرض لبيان كيفية هذه الولادة كشأنه أمام باقى الأسرار الإلهية .

رابعا : بنوية المسيح فى تعبير المجمع النيقاوى

والمجمع النيقاوى عرّف أن المسيح سمى بالإبن بالنسبة للآب ، لأنه مولود من جوهر الآب قبل كل الدهور . ولم يتعرض لبيان كيفية هذه الولادة إلا بالقول « نور من نور » . وقد تهكم كثيرون من الجهلة على الديانة المسيحية لأنها تعلّم أن فى اللاهوت والدا ومولودا ، وغاب عن فهمهم الضعيف أن القول بولادة الإبن الأزلية يسمو بما لا يقاس عما يمكن أن نتصوره فى الولادة والبنوة البشريتين ، لأنه إن صح أن يتنازل الله ليعبّر لنا عن ذاته العزيزة بما نستطيع أن نفهمه ، فليس معنى ذلك أن تلك الألفاظ التى عبّر بها تكفى لبيان اللاهوت .

خامسا :

إن كلمة « إبن » بالنسبة للمسيح ليست كالبنوية البشرية . إن كل الألفاظ التى اصطُلح على أن تلقب بها ذات الله العزيزة لا تدل على حقيقتها ، ولا ينبغى أن نفهمها على ظاهرها كما قلنا سابقا مرارا . و أن اللغة البشرية ، مهما سمت ، لا يمكن أن تعبر تماما عن حقيقة الله . فالوحى الإلهى تنازل وكلمنا بمقدار ما نستطيع أن نفهم ، فلا نتخذ لغتنا القاصرة تفسيرا لما هى عليه الذات الإلهية ، بل لنعلم أن تلك الألفاظ التى أطلقت على العزة الإلهية ، إنما أعطيت لكى نفهم نحن . وفى الحقيقة ، يسمو الله بما لا يقاس عما تعبر اللغة البشرية عنه وعما يمكن أن نفهمه نحن .

فإذا سمعنا أن فى الله ثلاثة أقانيم إصطُلح على تسميتهم بآب وإبن وروح قدس ، فلا ينبغى أن ينصرف ذهننا بالمرة إلى مدلول هذه الألفاظ بحسب الإصطلاح البشرى ، إذ ليس فى الناس ولا فى أى شئ من

المخلوقات ، ما يصح أن يُشبّه به الله كما قال الكتاب : « بمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون به » (أش .٤٠ : ١٨) . فتسمية أحد الأقانيم بالآب لا يقصد بها الأسبقية عن الإبن ، أو أن الآب أكبر أو أقدم منه ، لأن هذه الإعتبارات تصح فى المخلوقات على نوع ما ، ولكن حاشا أن ننسبها لله تعالى ، لأن الله فى الحقيقة لا يلد ولا يولد بالكيفية التى ندركها . وكذلك لفظة « إبن » لا يمكن أن تؤخذ على حرفيتها. وكم من كثيرين ، لجهلهم ، يهزأون بالمسيحية ظانين أنها تعلّم أن الله وَلَد كما نفهم نحن الولادة ، وكان حقا لهم أن يهزأوا بأنفسهم لأنهم لم يعرفوا حقيقة تعليم المسيحية .

إذا قيل : كيف تسمون الأقنوم الأول أبا والثانى إبنا ، ولا يتوهم السامع أنكم تنسبون لله الجسمية والتناسل ؟ . فنجيب : أن التوراة بيد اليهود والقرآن بيد المسلمين يقران أن لله عينين يبصر بهما ، ويدين يبسطهما ، ووجه يوليه إلى كل الجهات إلخ . فإذا أُخذ هذا الكلام على ظاهره ، إستنتج السامع أنهم يجسمون البارى . فإن قالوا أن هذا ما ورد فى الكتب والمراد به غير ظاهر فى اللفظ ، قلنا أيضا هكذا تضمّن كتابنا العزيز أن الله ثلاثة أقانيم دُعوا أبا وإبنا وروح قدس ، وعلى ذلك ليسوا ثلاثة آلهة ، وليس فى تسمية أحدهم بالأبوية أنه أب بالمعنى البشرى ، ولا أحدهم بالبنوة أنه إبن بالمعنى البشرى . وكما جاز أن يُنسب له تعالى أنه ذو عين ويد ووجه دون أن تنسب له الجسمية ، هكذا يجوز أن يُدعى أبا وإبنا من غير أن نفهم الأبوة والبنوة البشريتين .

وقد تضاربت آراء علماء اللاهوت المسيحى ، فى كل المذاهب المسيحية ، فى بيان كيفية ولادة الإبن الأزلية . وكان ينبغى أن لا يتخطى العقل البشرى إلى التفكر فى ما يعجز عن التعبير عنه ، إعتبارا بما سار عليه المجمع النيقاوى نفسه حيث اكتفى بالقول " بولادة الإبن الأزلية " دون إيضاح كيفيتها ، تاركا للإيمان التسليم والخضوع فى ما لا يتناوله العقل .

قال أحد علماء المسيحية : " وأما قولنا أبا وإبنا ، فالأبوة والبنوة قد تكونان على وجهين . إما أبوة كثيفة وبنوة كثيفة بمضاجعة وتناسل وتقدم الأب قبل الإبن وتأخر الإبن عن الأب مثل زيد عن أبيه ، وإما ولادة لطيفة بغير مضاجعة ولا تناسل ولا تقدم ولا تأخر كولادة العقل للنطق ، وكولادة قرص الشمس للضوء ، والروائح الطيبة من الذى تتولد منه . وإلى هذا المعنى ننحو فى قولنا أبا وإبنا لا إلى المضاجعة والتناسل .

سادسا : بنوية المسيح فى رأى الكنيسة القبطية

وكنيستنا القبطية تقدس قبل كل شئ القانون النيقاوى القائل : « ونؤمن برب واحد يسوع المسيح إبن الله الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور . نور من نور إله حق من إله حق مولود غير مخلوق مساو [1] للآب فى الجوهر » .

وعقيدة الكنيسة القبطية تتجَلى فى الخطاب المحفوظ عن البطريرك القبطى الـ ١٩ إسكندر الذى أوضح فيه رأيه فى ولادة الإبن الأزلية ، حيث قال :

" إننا نؤمن ، كما تؤمن الكنيسة الرسولية ، بالآب الوحيد غير المولود الواجب الوجود ، وهو عديم التغيير والزوال ، هو هو بغاية الكمال لا يشوبه زيادة ولا نقصان ، مُعطى الشريعة والأنبياء والأناجيل ، رب الآباء والرسل وكل القديسين. وبرب واحد يسوع المسيح إبن الله الوحيد . ليس مولودا من العدم بل من الآب الحى . وليس حسب الجسد الهيولى بتفريق وفيضان الأجزاء كما زعم سابيلوس وفالنتيان ، بل بنوع لا يدرك ولا يعبر عنه حسب المعتقد الذى ذكرناه سابقا (أى ليس كاعتقاد آريوس الذى عبّر فيه عن ولادة الإبن بكيفية أبعدته عن الأزلية) فمن يخبر بجيله لأن وجوده غير مُدرك عن كل الكائنات المائتـة كما أن الآب غير مُدرك .

---

(١) مكتبة المحبة : راجع حاشية (١) صفحة ١٤٨ .

لأن العقول المولودة لا تقدر أن تفهم هذه الولادة الإلهية من الآب ، ولا أحد يعرف من هو الآب إلا الإبن ، و لا أحد يعرف من هو الإبن إلا الآب . فإنه غير متغير كما أن الآب غير متغير ، لا ينقص عن الآب شيئا سوى أنه ليس غير مولود . فهو الإبن الكامل وصورة الآب التامة . لهذا يجب أن نحفظ للآب غير المولود العظمة اللائقة به ، والإبن يجب أن نقدم أيضا الكرامة اللائقة بانتدابنا له الولادة الأزلية من الآب " .

فما أسمى هذه العقيدة المستقيمة ، وما أفضل هذا التعبير عن ولادة الإبن . أما قول البطريرك عن الإبن أنه " لا ينقص عن الآب شيئا سوى أنه ليس غير مولود " فلم يقصد به أن يعتبر منزلة الإبن دون منزلة الآب ، بل يقصد به أنهما متساويان فى كل شئ ، ولا يوجد فرق بينهما سوى أن الآب والد والإبن مولود ، ولا تعتبر أبوة الآب للإبن مميزة إياه عنه بشئ فى الأزلية والقدرة وكل شئ . أما كيفية هذه الولادة ، فقد وقف أمامها البطريرك إسكندر موقف المؤمن الحكيم الذى لا يترك إيمانه يصدق بهذه الأسرار العميقة دون أن يترك عقله يبدى فيها رأيا . فلنقل بولادة الإبن الأزلية ، ولا نقل كيف وُلد ، فإن ذلك ما تقصر دون فهمه أرباب النهى ، ومما يصير العالم النحرير زنديقا ، فللعقل مجال يمتد إداركه فيه ، وللإيمان مقام يجلس فيه على عرش الحكم . فليس للعقل هنا حكم لأنه أضعف من أن يتصور صانعه وباريه . وما أجمل قول بعضهم : " أنت تجهل ذاتك ، فكيف تعرف ربك ؟ فمن عرف ذاته فقد عرف ربه " .

وقـال أحد كبار الرهبان المتأخرين فى كتابه " الإيضاحات " ص ٧ : " أما كيف ولد الإبن من الآب وما خرج منه . وكيف انبثق الروح من الآب وما انفصل عنه . هذا ، وما يشبهها ، بالإيمان يُنظر إليها وبالإيمان يُحس بها ، وبدون إيمان لا يمكن النظر إليها ولا الإحساس بها ولا يتيسر قبولها " .

سابعا :

ما اصطُلح عليه فى التعبير عن ولادة الإبن الأزلية من الآب بأنها

كولادة الكلمة من العقل ، فقول آباء الكنيسة القبطية السابق حسن ومقبول ويرتاح له القلب والعقل كلاهما. إلا أنه فيما بعد، مال المسيحيون إلى تقريب عقيدة التثليث ، وما يتفرع منها من العقائد ، إلى تمثيلها بأمثلة من الطبيعة أو من الناس . ولهذا قالوا فى ولادة الإبن الأزلية أنها كولادة الكلمة من العقل . وهذا الكلام مقبول على وجه واحد ، ولكن لا يُقبل على كل الوجوه . أى كما أن ولادة الكلمة من العقل غير حسية ، هكذا ولادة الإبن من الآب . أما غير ذلك فمُنكر ، لأنه لا يصح أن يمثل الله بالإنسان ، لأننا نجد أن صدور الكلمة فينا ليس واحدا بل كثيرا ، إذ يصدر من الكلمة الواحدة كلمة أخرى إلى ما لا يحد . أما الله ، فكلمته واحدة ، ثم أن الكلمة البشرية مجرد لفظة . أما كلمة الله فأقنوم حى واجب الوجود ، ومصدر عام لكل نطق وحكمة ، وبه قائمة الأشياء ، وبدونه لم يكن شئ مما كان " .

ثم أن كلمة الناس ليس لها الحياة فى ذاتها . أما كلمة الله فلها الحياة فى ذاتها . قال القديس يوحنا ذهبى الفم : " ولا تتوهم إذا سمعت كلمة الله ، أنها كلمة على بسيط ذاتها ، لأن الكلام الذى نطق به الأنبياء والملائكة هو من كلام الله ، لكن ولا كلمة من تلك الكلمات إله . إلا أن كلمة الله الحقيقى (يو ١ : ١) هو جوهر إلهى حاصل فى أقنوم بارز من أبيه بعينه خلوا من انقسام عارض " .

ولفظة « الكلمة » لا يراد بها صفة كالحكمة ، بل المراد بها أقنوم . وقد اعتاد اليهود تسمية المسيح المنتظر بـ « الكلمة » ولا سيما المتشتتون بين الأمم الذين عرفوا الفلسفة اليونانية ، والذين كتب لهم يوحنا إنجيله ، يفهمون أن الكلمة هو الأقنوم الثانى ، وتسمية المسيح بكلمة الله ، تنفى كل نسبة جسدية بينهما كنسبة الأب والإبن البشريين . وكون المسيح كلمة الله ، يوجب كونه إلها ، لأنه لا يعرف أفكار الله ليعلنها إلا الله . (١ كو ٢ : ١١ و مت ١١ : ٢٧ و لو ١٠ : ٢٠) .

قال أحد المفسرين : " قال يوحنا الإنجيلى « والكلمة كان عند الله » وفى هذا القول أمران : أولا أن الإبن كان أقنوما مميزا عن الآب . ثانيا أنه مع ذلك بينهما اتحاد كامل واتفاق تام فى كل رأى وقضاء وعمل . وقال أيضا « وكان الكلمة الله » ومعناه أنه مساوٍ الآب فى الجوهر ، أى أن له صفات الآب نفسها وقوته ، واستحقاقه الإكرام والطاعة والعبادة التى يستحقها الآب . ولفظة الله هنا ، تختلف عنها فى الجملة التى قبلها ، ومعناها هنا جوهر اللاهوت . وهذه الآية مما يثبت صحة تعليم التثليث لتمييزها أقنومين وتبيينها أنهما متساويان . وفى هذه العبارات الثلاث بيان أمور؛ الأول أزلية الكلمة ، والثانى أقنوميته واتحاده بالثانى ، والثالث لاهوته . . أى كونه والآب واحد فى الجوهر ، وفيها جواب لثلاث مسائل : الأولى متى كان الكلمة ؟ جوابها أنه كان منذ الأزل لأنه عند بدء الكون كان . الثانية أين كان ؟ جوابها عند الآب . الثالثة من هو الكلمة ؟ جوابها الله . وهى تنفى ثلاث ضلالات : الأولى ضلالة آريوس وهى قوله أن المسيح مولود دون الخالق . الثانية ضلالة سوسينيوس وهى قوله أن المسيح ليس سوى رجلا كاملا فى صفاته . الثالثة ضلالة سابليوس الذى نفى التثليث وقال بأن اللاهوت أقنوم واحد ظهر مرة أبا وتارة إبنا وطورا روح قدس " .

وقال بطريرك أورشليم ، مؤلف كتاب " الهداية " للروم الأرثوذكس : " وكما أن كلمتنا نحن بارزة من العقل ، ليست كليا مع العقل شيئا واحدا ولا هى أيضا بالكلية شئ آخر ، بل إما لورودها من العقل فهى شئ آخر غير العقل ، وإما لإظهارها العقل ذاته فليست بالكلية شيئا آخر غير العقل . بل بحسب الطبيعة ، الكلمة والعقل هما شئ واحد . وبحسب الموضوع ، فالكلمة شئ آخر غير العقل . كذلك كلمة الله بحسب قيامه بذاته فيفرق عن الذى منه قيام ذاته . وأما بحسب إظهاره واحتوائه على كل ما يرى فى الله الآب ، فهو والآب واحد بحسب الطبيعة ، لأنه كما يرى فى الآب الكمال فى كل شئ ، كذلك يرى فى إبنه الكمال فى كل شئ . وأيضا يقال الإبن كلمة لكونه للآب بمنزلة حد لأن المضاف يحده مقابله

(أعنى كلمة آب تجلب معنى إبن وبالعكس) وعلى هذا المعنى يقال الإبن حد لأنه يميز الآب " .

وقال المعلم ديونيسيوس الصليبى : " إن الإبن سمى كلمة لأنه مولود من الآب ، كما أن كلمتنا العقلية يلدها عقلنا الذى هو روحى محض . وأيضا لأن الإبن ، باعتباره إبنا وحيدا لله ، غير قابل للآلام والولادة الزمنية . ثم كما أن بوجود العقل توجد فينا الكلمة ، لأن العقل إذا لم يدرك ويعقل لا يكون عقلا ، كذلك منذ وجود الآب وُجد الإبن أى الكلمة بحيث لا يمكنك أن تدل على زمن أو تتصوره من دون أن يكون الإبن الكلمة " .

ثامنا : خطأ القول عن المسيح والروح القدس أنهما معلولا الآب

وليس أسخف فى نظرنا من المَسيحيين الذين يقولون أن الآب علة والإبن والروح القدس معلولا الآب .

و إنى أعجب جدا بأبى شاكر بن الراهب شماس كنيسة المعلقة بكتابه " الشفا ، حينما يقول : " أما من وصفه تعالى بالعلة والمعلول ، فهو وصف غير ملائم للموصوف ، وقابل للشك وغير مطابق لصفات الخالق " . وهذا كلام حق . فمهما قلنا أن الإبن مولود من الآب ، فلا يصح أن نقول عن الآب أنه علة ، وأن الإبن و الروح معلولا الآب ، فذلك تعبير لا يليق بإله كما قال هذا الكاتب . و إذا قلنا عن الله أنه علة وجود كل المخلوقات ، فلا يصح أن نقول أنه علة وجود إبنه و روحه ، لأن الإبن و الروح مساويان للآب فى كل شئ سوى أن الآب والد وباثق لكليهما . أما هذه البنوة و هذا الإنبثاق ، فغير مُدركين لأفهام الناس . فلا يصح أن نستعير لهما الألفاظ البشرية لنمثلهما بها إلا ما كان يؤول لمجده تعالى .

وقد اعترض بعضهم على عالم مسيحى ، قال : " إذا كان الأقنوم الأول أبا وباثقا للإبن والروح ، ألا يكون علة وجود الأقنومين أو أقله يكون أزليا عنهما ؟ " . فأجاب : " إنه محال أن يوجد فى الذات الإلهية أو فيما بين أقانيمها الثلاثة علة ومعلول ، لأن الجوهر فى الثالوث كامل عديم البداية ، وصدور الواحد من الآخر لا يستلزم فى ذلك قبلية ولا بعدية كما يحدث فى الصدورات المخلوقة لأن الصادر هو الأقنوم لا الجوهر الذى هو واحد فى الثالوث ، ولا يعد معلولا ما ليس علة لجوهره .

" نعم ، إنه حسب ضعف العقل البشرى ، لا يمكن صدور ما خلوا من أن يتصور مصدره متقدما عليه فى الزمن ولو وهميا ، ولكن هذا عديم الإمكان فى تلك الذات الكلية الكمال فى كل نوع . إن قرص الشمس لم يوجد ولا بنقطة واحدة من الزمن قبل شعاعها وحرارتها ، ولا النار قبل ضيائها وإحراقها ، ولا النفس الناطقة قبل قوتى العقل والإرادة فيها ، مع أن هذه الثلاثة الجواهر هى مخلوقة متناهية ، والفرق فيما بينها وبين الجوهر الإلهى هو عديم التناهى . فأى صعوبة توجد فى تسليمنا ضرورةً بعدم وجود قبلية وبعدية فى الصدورات الإلهية ، أى بعدم قبلية الآب عن الإبن والروح القدس وبعدم بعديتهما عنه ، فى الوقت الذى نسلم فيه ضرورةً بعدم تمييز الأقانيم الإلهية الثلاثة عن الجوهر الواحد ، ولأن تمييز أحدهم عن الآخر ، تمييز حقيقى بالصفات الإلهية الإضافية " .

تاسعا : فى تمثيل ولادة المسيح الأزلية بصدور الشعاع من الشمس

ثم مثلوا ولادة الإبن الأزلية أيضا كولادة الشعاع من الشمس . وفى هذا يقول ذهبى الفم أيضا : " فإن قال قائل فكيف يتجه أن يكون إبنا ولا يكون أحدث من أبيه ؟ أجبت ؛ إنك الآن تتحدث فى طبائع الناس ، وليس لك أن تقيس طبيعة الله على طبيعة البشر . ولكن لأجل فائدتك ، نقول له : إن شعاع الشمس ، هل هو من طبيعة الشمس بعينها أم من جهة أخرى ؟ فالضرورة كلها تلزم من لم يكن مسلوبا من حواسه أن يعترف أنه

من طبيعتها يطفر لامعا ، ولكن مع أن الشعاع موجود من الشمس بعينها، لسنا نقول أنه كان فى وقت من الأوقات شمس خلوا من شعاعها ، فلئن كان قد ظهر فى تلك الأجسام الملحوظة المحسوسة موجود من أحدهما . وليس هو أخيرا بعد الذى هو موجود منه . فما معنى أفكارك إن كان يوجد هذا الموجود بعينه فى الطبيعة الفاقدة أن توجد ملحوظة أو موصوفة ؟ " .



الفصل العاشر

إعتراضات كتابية على سر التثليث

+

(١) يقولون كيف تفسرون قول أشعياء ١٤ : ٢٤ « أنا الرب صانع كل شئ ناشر السموات وحدى. من معى » فنجيب أن قوله « أنا الرب » لا يعزى إلى أقنوم الآب بل إلى المثلث الأقانيم لأنهم رب واحد . كما قيل فى مكان آخر : « أنا هو الله وليس غيرى » ولفظة « أنا » ليست عبارة عن أقنوم واحد ، بل عن كافة الأقانيم فإن ثلاثتهم واحد . وقد قال : « وليس غيرى » لكى ينفى الآلهة الكاذبة .

(٢) قال الرسول بولس : « لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح إلخ » (١ كو ٨ : ٦). فنجيب أن الرسول ينبه المؤمنين إلى وحدة الإيمان بإله واحد فى ثلاثة أقانيم ليناقضوا بذلك من كانوا يعبدون آلهة كثيرين فى أقانيم متعددة . وبولس يدعو المسيح ربا به كان كل شئ ولا ينفى ربوبية الآب ، وكذلك إذا دعى الآب ربا لا ينفى ربوبية الإبن . أما قوله « إله واحد » فمن الواجب أن يحمل على وحدة الطبيعة لا على وحدة الأقنوم .

(٣) وقال السيد المسيح مخاطبا الآب « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧:٣) فنجيب أن المسيح بقوله « الإله الحقيقى وحدك » لا يقصد أن ينفى الأقنومين بل الآلهة الكاذبة . ولهذا بيّن أن الحياة الأبدية قائمة بمعرفة الإله الحقيقى و تجسد إبنه يسوع المسيح ، و لهذا لا يطلق إسم الآب

علـى الأقنوم الذى كان يخاطبه ، بل سـماه « الإله الحقيقى » فقال « يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك » باعتبار أن الآب هو والد الإبن وباثق الروح « ويسوع المسيح الذى أرسلته » أى أن الإيمان بالله ، كما يعلنه أي دين كان ، لا يُكسب الخلاص ، بل يجب أن يؤمن بالإله الذى أعلنه إبنه « يسوع المسيح الذى أرسلته » .

ثم أن قوله « ويسوع المسيح الذى أرسلته » معطوفة على الجملة التى سبقتها ، فهو يقول هكذا (يعرفونك أنت الإله الحقيقى وحدك ويعرفون يسوع المسيح الذى أرسلته) .

(٤) قالوا إن الرسول دعا المسيح « صورة الله » (كو ١٥:١) و « رسم جوهره » (عب ٢:١) والصورة والرسم غير الحقيقة . فنجيب : هل المسيح صورة خيالية أم صورة شخصية للآب ؟ وحيث أن المسيح أقنوم حقيقى ، فهو صورة تامة لأقنوم الآب ، بل هو صورة الله أى مثله حقيقة فى كل شئ .

(٥) قال الرسول بولس عن المسيح أنه « بكر كل خليقة » (كو ١ : ١٥ و ١٨) . فنجيب أن كلمة ' بكر ' لا تؤدى دائما الغرض الذى يُفهم منها . فقد يشار بها إلى من يرضى الله عنهم كقوله : « إسرائيل إبنى البكر » (خر ٢٤ : ٢٢) مع أنه لم يكن أكبر من عيسو . و قد تأتى بمعنى السمو و الإعتبار كما قيل عن المسيح باسـم داود : « أنا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض » (مز ٨٩ : ٢٧) .

(٦) قال يوحنا الرسـول عن المسيح : « بداءة خليقة الله » . فنجيب أن هذا القول معناه أنه رئيس الخليقة كلها أو علتها . واللفظة اليونانية المترجمة هنا « بداءة » مترجمة فى (أف ١ : ٢١) رياسة ، وفى (٣: ١٠) رؤساء ، وفى (كو ١ : ١٦) رياسات ، وفى (٢ : ١٠) رياسة ، وفى (رو ٨ : ٣٨) رؤساء .

(٧) قال فى أشعياء ٥٢ و ٥٣ ما يستفاد منه أن الوحى يطلق لقب (عبد) عن المسيح فى ما تكلم به الله عنه . ولكن هذه اللفظة لم تطلق على المسيح باعتبار لاهوته بل باعتبار ناسوته ، وأشير بها إلى أن المسيح فى تأنسه كان خادما للخلاص وعاملا للفداء . وهو نفسه سمى نفسه عبدا ليس لأبيه فقط بل لغيره فقال : « أنا بينكم كالذى يخدم » .

(٨) قالوا أن المسيح أعلن أنه يجهل يوم القيامة (مر ١٣:٣٢) . فنجيب أن قول المسيح « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن إلا الآب » لا يؤخذ منه أنه لا يعرف وقت القيامة مطلقا ، بل لا يعرفه المعرفة التى يسوغ معها إعلانها لتلاميذه لعدم فائدة ذلك كما قال أحد المفسرين : " كان المسيح يعلم ذلك من حيث هو إله ومن حيث هو إنسان ، إلا أنه لم يخبر البشر . وعلى هذا الوجه صح أن يقول أنه لا يعلمها ، كما يصح من صاحب السر إذا كان لا يحل له إفشاؤه أن يقول لا علم لى به أى لا أعلمه علما يباح به " . كذا أيضا فسر القديس أثناسيوس الرسولى ردا على آريوس .

(٩) قالوا أن المسيح برهن ، حين طلب من الله إقامة لعازر ، أنه ليس قادرا على إقامته من نفسه (يو ١١ : ٤١) . وفات المعترض أن المسيح كان مزمعا أن يقيم لعازر أمام قوم يدعون أنه يصنع المعجزات بقوة شيطانية ، فلكى يريهم الإتصال الكائن بينه وبين أبيه ، وأن قوته إلهية سماوية ، خاطب أباه ليقنع الجمع الواقف بهذه الحقيقة ، كقوله :« ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى » (ع ٤٢) .

(١٠) إعترضوا بقول الرسول بولس : « قدم بصراخ شديد و دموع و طلبات

وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت و سمع له من أجل تقواه » (عب ٥ : ٧) . فنجيب أن الإنسان المركب من روح و جسد ، يصح أن يُطلق على كل جزء من جزئيه هذين ما للجزء الآخر . فيقال عن المرء أنه ناطق ، وما النطق إلا خاصية الروح . ويقال عنه أنه حيوان ، وتلك خاصية الجسد . وكذا المسيح الذى يحوى طبيعتين ، إلهية وإنسانية ، فيصح أن يقال عنه ، مع أنه الله الظاهر فى الجسد ، ولد من العذراء ونما فى الحكمة والقامة ، وصلب وقام وصعد إلى السموات . ويصح أن يقال عنه بصفته الناسوتية أنه صنع المعجزات والعجائب . ولهذا فانفعالات الناسوت التى بدت من المسيح فى البستان ، يجوز أن تنسب إليه بصفته إلها متأنسا لا بصفته ناسوتا فقط . وذلك لا يُنزل من كرامته ولا يقلل من مجده .

(١١) قالوا أن المسيح قال : « أبى أعظم منى » (يو ١٤:٢٨) وفاتهم أنه قال فى مكان آخر « أنا والآب واحد » . فتوفيقا لهذين القولين ، نحقق أن قوله « أبى أعظم منى » أى فى حال تجسدى ، لأن الآب لم يتجسد ولم يعرض له ما عرض للمسيح ، فهو من هذه الناحية أعظم من المسيح . و المسيح لم يقل (إلهى أعظم منى) بل (أبى) فبيّن أنه إبن الله ، والإبن مساو فى المقام لأبيه . فالعظمة فى قول المسيح « أبى أعظم منى » ليست فى كل شئ ولا على كل اعتبار ، بل على الإعتبار المشار إليه فقط ، أى لأنه تجسد وجاز فى ما تبع تجسده دون أبيه .

(١٢) قالوا أن المسيح قال : « أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا » (يو ٥ : ٣٠) . فنجيب أن اليهود كانوا يريدون أن يفهموا أن المسيح شئ غير الله لذلك نقموا عليه الدعوة التى فهموها منه ، أى أنه يدعو نفسه إلها (يو ٥ : ١٨ و ١٠ : ٣٣) . ويسوع كان يحرص على أن يثبت وحدته مع أبيه ، لذلك قال : « لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا » أى أنى لست منفصلا عن أبى فى عملى ،

فكل ما أعمله هو عمله ، وكل ما أريده هو أراده ، دلالة على اتحاد عملهما وإرادتهما ، كما قال فى مكان آخر :« إن الآب فىّ وأنا فيه » « كل ما للآب فهو لى » (يو ١٠ : ٣٨ و ١٦ : ١٥) .

وكذا قوله : « ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (يو ٦ : ٨) . فلكى لا يفهم اليهود أنهم يسمعون صوتا بشريا مجردا ، قال لهم : « ليس لأعمل مشيئتى (التى تفهمونها أنتم أنى فاعلها كبشرى) بل مشيئة الذى أرسلنى (أى أبى الذى أنا وهو لنا مشيئة واحدة) » .

(١٣) إعترضوا بقول المسيح : « لماذا تدعونى صالحا . ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله » (مت ١٩ : ١٧) . وهذا القول وجهه المسيح لسائله الذى كان لا يعتقد أنه إله فقال له : (لماذا تدعونى صالحا وأنت لا تعتقد بألوهيتى ولقب الصالح لا يطلق إلا على الله . فيلزم بما أنك تعتقد أنى صالح أن تعتقد أيضا أنى الله . لأنه ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله) .

(١٤) قالوا أن المسيح قال على الصليب : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » . وقال بعد القيامة « إلهى وإلهكم » . ولكن المراد من قوله : « إلهى إلهى » وقت صلبه أن يشير أنه حينئذ لا يعذب باعتباره إبن الله الأزلى ، بل باعتبار أنه نائب عن آدم الخاطئ ، وأنه حينئذ لم يكن معاقبا من العدل الإلهى على ما صنعه هو ، بل على ما صنعه من تطوع بالنيابة عنه . وحينئذ كان ممثلا لآدم (الذى لم يفعل خطيئة صار خطيئة لأجلنا) . فلكى يبين مركزه الإلهى ومركزه الناسوتى ، قال : « إلهى إلهى لماذا تركتنى » . فقوله « إلهى إلهى » بيّن مقامه الناسوتى وإن كان حينئذ فى مقام آدم المذنب . وقوله « لماذا تركتنى » بيّن مقامه الإلهى ، أى أنه خالٍ من كل إثم ، فالبرئ يموت من أجل الخطاة . لأن الترك كان يصيب آدم على ما صنعه ، ولا يليق بالمسيح أن يكون متروكا .

أما قوله : « إلهى وإلهكم » فواضح منه التمييز بين المعنى الذى يقصده من نسبة الله له ونسبته لنا ، لأنه لو ساوى بيننا وبينه بالنسبة لله ، لقال (إلهنا) ، ولكنه قال : « إلهى وإلهكم » أى أن الله إلهه باعتبار ، وإلهنا باعتبار آخر ، فهو يقصد « بإلهى » أى الإله الذى أعلنته للعالم وأرشدته إليه « الله لم يره أحد قط . الإبن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبّر » (يو ١ : ١٨) . فالله الذى أعلنه موسى هو بعينه الذى أعلنه المسيح . ولكن موسى أعلنه بصورة ، والمسيح أعلنه بصورة أخرى . إعلان موسى لم يكن مقصودا به هداية العالم كله ، ولكن المسيح أعلن بكيفية تضم تحت لوائها كل البشر . فقوله : « إلهى » أى الإله الذى تكلمت أنا عنه وقدمته لكم بكيفية لم يقدمها غيرى .

وكذا قول الرسول بولس : « الله ربنا يسوع » أى الإله الذى عرّفنا عنه يسوع المسيح ، والذى لم يستطع أحد أن يعلن عنه كما أعلن هو ، لأنه : « ليس أحد يعرف الآب إلا الإبن » .

قال فرانك كراين الفيلسوف العظيم : " فإننى أعتقد بأنه ما من معلم آخر فى العالم استطاع أن يصور لنا الله عز جلاله بصورة أفضل وأكمل من صورة يسوع . فلو أتيح لى أن أتخيل صورةً لله ، لما كان فى وسعى أن أرى صورة تستحق اعتبارى وتستدعى عبادتى واحترامى مثل صورة الإله التى رسمها لنا يسوع المسيح " .



الجزء الثالث

في إثبات لاهوت المسيح

✣ † ✣

الباب الأول

في دعوة المسيح نفسه إلها

<+>

الفصل الأول

في انفراد المسيح بهذه الدعوة

+

إن كثيرين قاوموا المسيح والمسيحية ، ولكن لم يقل أحد للآن أن المسيح كان مشعوذا ولا خادعا ، ولم يستطع أحد أن يدعى أنه كان شريرا خبيثا . بل كثيرون من الوثنيين أيضا اتخذوه بمنزلة نبى عظيم وشخص ذى قدرة وفضيلة بالغة ، ومنهم الإسكندر ملك رومية الوثنى الذى اعتبره اعتبارا فائقا ووضع صورته بين صور آلهته ، وكان يقدم له القرابين والضحايا ، وبيلاطس الوالى الرومانى الذى قال : « إنى لست أجد فيه علة واحدة » (يو ١٩ : ٤) . ولا يخفى أنه لم يقم خصم للدين المسيحى أشد لددا وعدوانا من يوحنا ستيوارت مل ، ومع ذلك وضع نبى" الناصرة "

فى نظره فى رتبة الرجال الأولين ذوى القرائح السامية الذين يحق لجنسنا البشرى الإفتخار بهم. ليس المؤمنون بالوحى فقط بل المنكرون صحته أيضا. قال أوريجانوس : " ومع أن كذبات وتهمات كثيرة إختلقت على يسوع المحترم ، ولكن لم يستطع أحد أن يقذفه بعدم النزاهة " . فحيث قد ثبت بشهادة كثيرين ممن لم يكونوا مسيحيين أن المسيح كان رجلا بارا ، فينبغى إذن أن نعتبر شهادته عن نفسه لأنها مؤيدة بشهادة الغير كما قال : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا »(يوحنا ٥ : ٣١) أى أننى لست أشهد لنفسى وحدى ، بل أعمالى و كل من شاهدها و تأثر بها . فيسوع سعى بجميع الطرق ليجعل الجميع يعتقدون أنه إله . حتى أن اليهود قالوا له : « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف . فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها » (يو ١٠ : ٣٣) . فكيف يتفق وكمال المسيح أن يكون مخلوقا ويدعو نفسه خالقا .

نعم ، إن كثيرين من الناس حاولوا أن يجعلوا أنفسهم آلهة ، واستعملوا لذلك وسائط واخترعوا حيلا ، وأحد هؤلاء حنون القرطجنى الذى كان يبذل جهده ليعلم الطيور الناطقة التلفظ بهاتين الكلمتين : (حنون إله) . وأباطرة الرومان بنوا لأنفسهم هياكل وأمروا أن تقدم لهم فيها ضحايا . وسالومندس الذى كان يجلس على مركبة فاخرة ويطوف بها راشقا الأرض بصواعق نارية . وغير هؤلاء كثيرون ، ولكن جميعهم لم يجرأوا ، على ما بذلوا من الجهود ، أن يدعوا إلى عبادتهم سوى شعوبهم التى أقاموا بها . ولكن يسوع المسيح وحده هو الذى يذكر عنه أنه أراد أن يُؤمَن به كإله عام لا شريك له فى ألوهيته كقوله إلى تلاميذه : « وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح » (مت ٢٣ : ١٠) . ولهذا لم يجعل تلاميذه يؤمنون بشريعة غير شريعته ، ومنع كل نظام لم يسنه وصرّح بقوله : « من لم يكن معى فهو علىّ »(مت ١٢ : ٣٠) . ولم يطلب أن يعتبر فى دائرة معينة أو عند أمة من الأمم ، بل فى كل العالم بقوله لتلاميذه : « إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر ١٦ : ١٥) .

إن كل علماء الآداب ودعاة الدين يتجردون من ذاتيتهم أمام مبادئ الحق الأبدى . فكان موسى وأشعياء ويوحنا المعمدان ينقلون إلينا كلمة الرب . وكان سقراط وأفلاطون وأرسطو يعلمون الناس عما وصل إليه جهدهم من البحث . وقد تفرد يسوع بين جميع المعلمين بأن جعل شخصه محور كل المبادئ السامية العليا؛ قال للباحث عن الحياة الأبدية : «إتبعنى» وقال لمن يريد أن يرى الآب : « ألم تعرفنى ؟ » . فلم يسبقه ولم يلحقه معلم . يقول : « إنى لست أعلّم الحق فقط » بل « أنا هو الحق » . وقد قال عالم ألمانى : " لقد عرف المسيح أن واجبه المقدس هو أن يوجه أنظار العالم إلى شخصه لأنه لم يأت ليقنن نظاما للدين أو الآداب ، بل ليدخل نفسه فى عقول وقلوب الناس ، ولم يسأل الناس : « ماذا تظنون فى هذا التعليم أو ذلك المبدأ ؟ ». بل سألهم قائلا :« ماذا تظنون فى المسيح ؟ ». ومعنى هذا ، كما سبق وقلنا ، أن يسوع وجّه أنظارنا إلى البحث عن موضوعات المسيحية مبدئيا فى شخصه ، ليس فى آرائه ولا تعليمه ولا حتى فى مثاله ، بل فى شخصه . ولقد قال أحد كبار الثقاة الألمان ، وهو بحاثة وناقد بلا ميل للمعتقد الصحيح ، فبعد أن قال : " إن سر ديانة المسيح يرجع إلى شخصه " أردف قوله بهذه الكلمات : " وهذه الحقيقة الجوهرية وحدها تساعدنا على فهم كنه الديانة التى نشأت منه . فلكى نفهم المسيحية ، يجب قبل كل شئ أن نتأمل فى المسيح ، ما هو المحل الذى تحله فيه عقولنا وقلوبنا وضمائرنا " .

وقال يوحنا ستيوارت مل : " يبقى ممكنا فى اعتبار كل مرتاب عاقل ، إدراك أن المسيح كان بالحقيقة الشخص الذى ظن عن نفسه ما ظن بأنه كان إنسانا مؤتمنا من الله على رسالة خاصة واضحة وحيدة لقيادة الجنس البشرى إلى الحق والفضيلة " . و قال آخر : " و نحن لا نتخذ عقيدة الوحى ، ولا أية عقيدة أخرى مهما كانت ، أساسا لإيماننا . بل نبنى إيماننا على مسيح التاريخ ، وهو شخص لا يُنكَر وجوده وعمله وسمو صفاته وسطوته المؤثرة فى تاريخ العالم " . ونستشهد هنا بنطق المسيح القائل قولا لو نطق به إنسان آخر على الأرض لكان مما يُسخر منه ويُضحك

عليه « أنا هو الحق » . ولا جرم أنه كان يمكن لكل من (كونفوشيوس) و (زرادست) و (أفلاطون) أن يقول بدون أن يُتهم بالتخيل أو التعصب " أنا أعلم الحق " . ولكن لا يستطيع القول « أنا هو الحق » إلا شخص واحد بدون أن تُعزى له الحماقة والإدعاء الكاذب . فيسوع جمع كل حقائق العالم الروحي فى شخصه ، وأقام الحجة بأعماله على أنه مخلّص النفوس الحقيقى .

إن موسى ، مع ما وصل إليه من التقدير عند بنى إسرائيل ، لم يخطر له أن يدعو نفسه إلها ، ولم يخطر لليهود أن يعتبروه كذلك . أما المسيح ، ففى وسط بغضهم له ، أعلن أنه إله ، فمن هو غيره يستطيع أن يخاطب العالم فى أشخاص سامعيه بالقول : « أنا هو نور العالم » و « أنا هو الطريق والحق والحياة » وأن يدعو المتعبين وثقيلى الأحمال ليجدوا عنده راحة وسلاما ، ويعلن أنه هو والله أبوه واحد ، ويسمى ذاته بأسماء الله وصفاته ، ويجاهر بأن له القدرة على غفران الخطايا ، ويؤيد قوله بالمعجزات الباهرة . فهذه جميعا لا يقوى على أن ينسبها لنفسه أو يتفوه بها إنسان مهما سما وعظم ، خصوصا إذا كان فى مظهره ضعيفا حقيرا ، ولم ينطق بها على سبيل الفخر ، وقد كان أزهد الناس فى الفخر والتباهى .

نعم ، لقد ظهر بين الناس مخبولون ادعوا أنهم آلهة فى وسط مظاهر العجب و طالبين من وراء ذلك العظمة والكبرياء ، وقد بطل ادعاؤهم حينما فشلوا ، إذ لم يأخذ أحد بما قالوه عن أنفسهم . أما يسوع ، فقد استطاع بضعفه أن يقنع العالم بأنه الله . ولقد سلّم له بهذا الحق ليس الجهلاء أو البسطاء فقط ، بل والعلماء والفلاسفة وذوو الآراء الناضجة وأصحاب العقل المستقيم أيضا .

ولنتأمل فى مبلغ الجرأة التى رافقت دعوة يسوع كما تقدم فأورشليم التى كانت مقرا لثلاث قوات خطيرة كلها تعبد المادة و المجد العالى :

(١) عظماء الرومان خدام القيصر .
(٢) رؤساء الكهنة والكهنة و الفريسيون و الصدوقيون و الكتبة و اللاويون الذين كانوا يتعصبون لكل ما يربحون منه خيرا دنياويا .
(٣) جباة الأموال وأمناء الخزائن المزدحمة بالكنوز .

جاء يسوع لكي يحارب كل هذه القوات لكي يضع حدا للسيادة العالمية، فيجعل جميع الناس أخوة ، لكي يكشف عن رياء المدعين التقوى زورا ، ويعلن للعالم أن الدين هو نقاوة القلب . لكي يحطم قوة شهوة ذلك المعبود (المال) الذى يسوق الكثيرين إلى الجور و الإغتصاب . علّم بالحرية بالرغم من سيادة رومية . وعلّم بالمحبة فحطم دعائم عقائد الهيكل وتعليم كهّانه . وعلّم بالفقر الإختيارى فهدم نظريات سائر الأغنياء .

فى وسط زوابع تعصب الشعوب ، أعلن أنه لا يتعصب لأفراد ولا لعائلة ولا لوطن ، بل للجميع . والإشفاق على الجنس البشرى كان الفعل الأقوى فى نفسه حتى قال : « من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (مت ١٢ : ٥٠) .

فمن ذا الإنسان الذى يفعل مثله فيرى نفسه مكلفا بخلاص الناس أجمع ويضع على عاتقه ثقله كله . ومع أنه كان يرى الطبيعة البشرية رازحة تحت حمل الخطيئة ، ورأى أنها تحتاج إلى إصلاح يتطلب جهادا شاقا وكان قد أخذ على نفسه القيام بذلك ، فكان ينظر إلى خلاصها بعد هذا الجهاد نظرة النصرة والغلبة ، مقدرا الفوز قبل الجهاد .

فما ادعاه المسيح نفسه ، لو لم يكن مؤيدا بقوة سامية ، لرُفض قوله وأُعرِض عن سماع تعليمه ، واعتبره العالم مختلا ، لأنه ادعى أمام الجميع أنه كامل بلا خطيئة ، وأنه أعظم من إبراهيم الذى كان اليهود يفتخرون بنسبتهم إليه ، بل أنه موجود قبل أن يوجد إبراهيم ، وهو أعظم من موسى المشترع العظيم ، وأعظم من سليمان الممجد، وأن له سلطانا لم يكن

لنبى قبله ، وأن الحياة الأبدية متوقفة على الإيمان به ، وأنه هو وحده الذى يغفر الخطايا ، وأن السماء والأرض تزولان ولكن كلامه لا يزول .

فهذا ما قاله المسيح عن نفسه وأيده بالمعجزات الباهرة ، فضلا عن أقواله السامية وآدابه الكاملة ، حتى أن كل من رآه اعترف بأنه يسمو على كافة البشر . وكانت له سلطة تامة على قلوب الناس ، حتى كان يتكلم بسلطان لم يكن لمعلم غيره . وكأن الأسرار التى كان يبشر بها ، على ما بها من باعث الدهشة للناس ، مألوفة عنده ولا غرابة فيها . فمن يستطيع بعد ذلك بأن يساويه حتى بأعظم معلمى البشر ؟

لنسمعه قائلا عن كنيسته بلهجة الواثق المطمئن أنها لم تنهزم أمام الضيق . بل ننظر إليه والجموع ترجع من ورائه ، غير خائف من نجاح تعليمه .

فضلا عن ذلك ، فإن الملكوت الذى أراد إقامته ، مع أن نجاحه يتوقف على تبليغ الناس رسالته بدون تحريف بما عمل وعلّم . ولكنه لم يكتب شيئا عن حياته وأعماله ، كأنه لم يكن مباليا بكتابة تاريخ حياته ، عالما أن ذلك سيكون رغما عن كل شئ ، أوليس هو الذى هتف وهو يرى اليهود يتآمرون عليه : « ثقوا أنا قد غلبت العالم » .



الفصل الثاني

حياة المسيح برهان على صدق ما ادعاه لنفسه

+

فكيف يمكن لفرد طاهر طهارة لا حد لها ، كامل كمالا لا غاية له ، أن يدعى لنفسه ما ليس له ؟. إن المسيح لم يكن ليدعى لنفسه الألوهية مجاهرا بها أمام الناس إلا فى الأحوال الآتية :

أولا : إما أن يكون مخادعا

ولا نجد عاقلا ينسب للمسيح الخداع ، إذ لا يمكن لدجال مضلل أن يلهم الإنسانية معانى الطهارة والبر والقداسة والتقوى التى ألهمها إياها المسيح ، بل إن أكثر الملحدين إغراقا فى الإلحاد أطروا صفاته ومدحوه ، وصرحوا بأنه أشرف وأطهر وأقدس وأسمى بشر .

إن الخداع لا بد وأن ينكشف . فهل انكشف خداع للمسيح ؟ وهل تواطأ معه فى الخداع الذين شفوا من أمراضهم بقوته لو لم يكن قد شفاهم حقا ؟ وهل وافقه الرسل وغيرهم من تابعيه على خديعته وهم الذين ماتوا شهداء فى سبيل ما رأوا وسمعوا منه ؟ .

إن المخادع ، مهما بلغ من المقدرة ، لا يستطيع أن يخدع إلا عددا قليلا من الناس . فهل كان المسيح مخادعا ، وقد اجتذب إليه ألوفا وملايينا من البشر من كل أمة وشعب ، ولم يكن له سوى سلاح المحبة وسيف التعليم ؟

وهل يُعتبر مخادعا من نقل بتعاليمه فاسدى السيرة إلى حياة الطهارة والكمال ؟ . وهل يُعقل أن رجلا مخادعا يؤمن الناس بخداعه فتجدهم قد صاروا أنقياء تخلصوا من كل أعمالهم الردية ؟ .

ثانيا : وإما أن يكون متحمسا

وهذه الدعوى أيضا نصيبها من الصدق نصيب الأولى . لأنه كيف ترى متحمسا يعيش مع تلاميذ كانوا صيادى أسماك ؟ . والمشهور عن المتحمسين أنهم من أهل الصلف والكبرياء ! بل كيف يأمر بالصبر على المصائب والمكاره وعلى احتمال الأذى ؟ . إن تاريخ السيد المسيح لَيُظهره لنا حملا وديعا ، يسير على شواطئ الإنسانية بما فيها من ذئاب خاطفة ناهشة ، صابرا متحملا ، يدعو إلى معرفة الله وإلى الشكر ، وإلى الرضوخ لحكم الإنسان معلنا أن هناك حياة أفضل وأجل . لقد عامل الجميع برفق ، وليست حياته إلا الصبر والتأنى مجسمين . ولقد عاش بين معاصريه هادئا وادعا ذا رصانة وخبرةٍ وحكمة دلت على أنه ليس إنسانا فقط ، بل هو إله حق .

ثالثا : وإما أن يكون أتباعه ، بقلة حكمة وغيرة جاهلة ، زينوا له أن يدعى لنفسه ما ادعاه لها

وهذا غير معقول أيضا . لأن ما أوضحه عن نفسه ، لم يكن ليتصوره مخلوق مطلقا ، ولا تتخيله مخيلة بشر . وكل الذين ادعوا الألوهية لأنفسهم ، لم يصلوا إلى أن يصفوا أنفسهم بما وصف المسيح به نفسه . ودعواه الألوهية بالكيفية التى ادعاها بها ، ليست مما يصل أحد من البشر إلى إدراكه حتى يرسم له السير فيها .

رابعا : وإما أن يكون نطق المسيح بما نطق متفاخرا

ولكن تواضعه وعدم رغبته فى الرفعة وهروبه من المجد ، يبطل هذه الدعوى، لأن حياته كانت روحية صرفة ليس فيها أثر للعجرفة أو المادية .

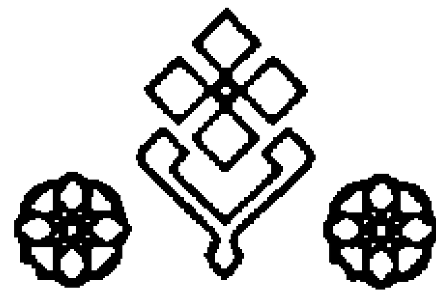
خامسا : أو لعله منهاج منظم لإدراك مطمع ما

والجواب السريع هو أن ذلك لم يكن من صفات المسيح ، فلم يكن زعيما لحزب أو داعيا إلى تأسيس نظام عالمى . ولم يظهر أنه كان يهمه كثرة الأنصار أو قلتهم ، بل كا أزهد الناس فى كل المظاهر العالمية . وقد قضى حياته كلها فى خدمة العالم ، ولا أثر فيها لمحبة الذات . وروح إنكار الذات فيه كان أكثر ظهورا فى حياته من أى شئ آخر . وكانت خاتمة حياته أكبر مفسر لها . فذلك الذى يقضى حياته يشفى المرضى ، ويعزى الحزانى ، ويواسى البائسين ، لا يمكنه أن يكون طماعا . فضلا عن أنه كان ممكنا له أن يخلص حياته ، ولكنه بذلها بسرور ، ليعلن أنه يضحيها لخير العالم راضيا .

سادسا : أو ربما كان المسيح مخدوعا فى نفسه ، فتصور لها ما ليس فيها

ولكن ، هل كان المسيح مخدوعا حينما نطق بتلك الحقائق الروحية التى لا يتصورها أحد من أحكم الناس وأفضلهم ؟ . وهل كان مخدوعا وهو يقدم للعالم مبادئ لم يستطع أحد أن يضيف إليها شيئا جديدا ؟ . هل كان مخدوعا حين كان يوضح الأسرار الإلهية ويكشف الحجاب عن المستقبل ؟ . وهل كان فى نشأته الوديعة وأصله البشرى الفقير ما يدعوه إلى أن ينخدع فى نفسه ؟ .

فكلام المسيح أيضا صادق لوجدانه ، ومظاهر حياته العجيبة أفضل محقق فصَدُقَ قوله عن نفسه ، وإلا لما وقف العالم أمام أقواله وأعماله متحيرا متعجبا .



الفصل الثالث

أن المسيح دعا العالم إلى اعتباره إلها وأجيبت دعوته

+

و من الوقت الذى أعلن فيه أنه إله ، و هو يُنظر إليه كإله . قال أحدهم : " من تلك اللحظة إلى الآن والعالم ينظره ، لأنه يملأ أفق التاريخ ولن يمكن إخفاؤه . ولكن الناس ، إما يتفرسون فيه ويبتعدون عنه ، أو ينظرون إليه ثم يتبعونه إلى النهاية " . قال استيوارت كندى الشاعر والكاتب الإنجليزى : " إنه الآن كما كان ، نفس المسيح الذى جُلد ، وثوب الأرجوان الملطخ يغطى ظهره الدامى من الجلد ، وتاج الشوك على مفرق جبينه ، وقصبة هزء لا صولجان فى يده ، وبصاق العسكرى السكران يسيل على خديه . إنه نفس المسيح ، ولكنى أنا شخصيا أخاف منه ، كما أن رجال جيلنا العصريين ، وهم أشد بطشا من الوحوش الكاسرة ، يخافون منه من قرارة قلوبهم ، لأن المسيح مزعج وقاهر . إنه يستأصل منا الإعتماد على الذات ، ويقتل حدة الكبرياء . إنه يجعل الناس يجثون على أقدامهم أمامه . ولا يعمل إنسان عاقل هذا للإنسان ، بل لله " .

لقد دعا المسيح نفسه إلها ، ولم ير تلاميذه الذين عاشروه ما يمنع أن تكون دعوته صحيحة فآمنوا بها . ويوحنا كتب إنجيله مدافعا عنها . وتوما كان مؤمنا بلاهوته مقررا أنه ثابت إذ رآه قائما ، ولذلك لما رآه صرخ قائلا : « ربى وإلهى » .

أما الذين يتذرعون بقول المسيح عن نفسه أنه « إبن الإنسان » فلم يذكروا أنه قال أيضا أنه « إبن الله » . فلكى لا يفهم أحد أنه مجرد قوة نزلت من السماء بالنسبة لسمو أعماله، حقق بقوله عن نفسه (إبن الإنسان)

أنه معنا أيضا فى إنسانيتنا . فكما هو إبن الله ، هو (إبن الإنسان) أى (إله متأنس) .

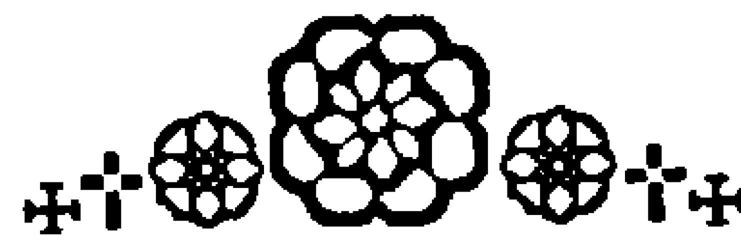
و يتذرع آخرون بقول بطرس : « رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات » (أع ٢ : ٢٢) . ويقولون أن بطرس لم يعرفه إلا كإنسان ، ولكن بطرس كان يخاطب سامعيه بقدر ما يفهمون عن المسيح ، فعو يصوره لهم كما رأوه إنسانا ، ومن ثم ينتقلهم إلى الإيمان بأن هذا الإنسان ليس هو إلا الله ظهر فى الجسد « إنه هو الذى سكب الآن ما تبصرونه وتسمعونه (أى مواهب الروح القدس) » (أع ٢ : ١٧ و ٣٣).

ويقول بعضهم : " لماذا لم يقل المسيح صريحا « أنا الله » ؟ بل قال « أنا إبن الله » . فذلك لأنه لو قال « أنا الله » يجمع إلى أقنومه أقنومى الآب و الروح ، و هما معه أقنومان ممتازان فى اللاهوت ، بل قال « أنا إبن الله » لتعرف نسبته الأزلية إلى الأقنوم الأول ، و قال « أنا والآب واحد » لنعرف مساواته له .

وقد لاقت دعوة المسيح هذه كل نجاح وخضوع . قال أحدهم : " إن حياة المسيح قد أصبحت بمثابة ضمير لنا ، فأحاطت بكياننا الأدبى ، وأخذت تقاضينا وتحكم علينا . وكلما فتحنا قلوبنا لنُدخل فيها حياة المسيح ، ظهرت ثمارها الأدبية فينا . وهكذا عِوَضَ أن نجعل أنفسنا حكاما على حياة المسيح ، صارت حياة المسيح حاكما علينا . إنك حينما تدرس أرسطوطاليس يتثقف عقلك ، ولكن حينما تدرس يسوع تضطرب روحيا ، وذلك لأن يسوع ليس مجرد شخص تاريخى ، بل هو أعظم من ذلك " .

إنك حينما تدرس يسوع من الوجهة العلمية ، قد تستطيع أن تبقى فى حياد بالنسبة له ، ولكن حينما تدرس حياته الأدبية ، تراك مضطرا لاتخاذ موقف معين أمامه ، ولا تستطيع أن تقاوم تأثير تيار تلك الحياة فى نفسك .

كثيرون أرادوا أن يقرأوا المسيح كشخص تاريخى ، ولكن لما انتهوا من قراءة تاريخ حياته ، وجدوا أنه ، فضلا عن كونه شخصا تاريخيا ، فهو حقيقةً ضمير وإلهام أدبى . ثم هو حقيقة اختبار روحى داخلى . وأصبح إسم يسوع متحدا بنفس الإنسان وصفاته الحقة . قال أحدهم : " نعم ، يسوع هو الحياة الحقيقية لكل إنسان يجد معنى لهذه الكلمات التى طالما اعتبرها من قبيل المبالغة والمغالاة ، ولكنه الآن يتحققها فى حياته ، وهى: « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » " . وقال آخر : " إذا نظرنا إلى المسيح بصورتيه ، المسيح الروحى والمسيح التاريخى ، وحاولنا أن نفصلهما عن بعضهما ، فإننا لا نستطيع ذلك " . وقال الأستاذ دينى : " إن الديانة المسيحية لا تتوقف على من كان المسيح ، بل على من هو المسيح " . أو بعبارة أوضح ، أن المسيح هو شخص تاريخى ، وهو حقيقة إختبارية أيضا كما قال أكليمندس الإسكندرى : " إن معلمنا يسوع رسم الطريقة الحقيقية للحياة بحياته ، ثم ربى الإنسان فيها أى فى المسيح نفسه " .



الفصل الرابع

المسيح برهن على صدق دعوته بقوة تأثيره الشخصى

+

إن المسيح أظهر عظمة أدبية فى تأثيره فى نفوس الناس برهنت بقوة شديدة على لاهوته . لأن الذين ينبغون فى العالم بعد تعب طويل وجهاد متواصل ، يرى فيهم العالم أمثلة يصعب اتباعها ، لأنه ليس لكل إنسان القدرة على ملازمة التعب والجهاد اللذين تكبدوهما ليصل إلى ما وصلوا إليه . أما يسوع ، فقد كان فى الإنسانية مشتركا مع عامة الناس فى كل شئ ، ولم يتميز بأى ميزة تجعله بعيدا عن أغلب طبقات البشر . ولكنه فى هذه الحال ، أعلن أنه جاء لكى يخلص العالم وينقذه . ولم تكن الظروف المحيطة به ملائمة لتحقيق قوله ، حتى أن تلاميذه كثيرا ما كانوا عثرة فى سبيل تحقيق هذه الغاية ، وكل الذين نادى بينهم بهذه الفكرة قاوموه . أما هو ، فلم تُحدث هذه العقبات أى رجوع فى نفسه لتحقيق قوله ، بل بالحرى ، لم يبغض الذين كانوا حجر عثرة فى سبيله ، وتلقى شدتهم بمنتهى الصبر والوداعة ، ولبث ينادى برأيه فى وسط الزوابع الهائجة عليه . وحُكم عليه بالموت وهو يردد قوله أيضا ، ومات وهو يحقق رأيه فى طلب الغفران لصالبيه . ولا ننسى أنه كان عظيما بالمعنى الذى يفهمه أهل العالم . فهذا الذى سار فى ذلك السبيل المدهش ، لم يكن فيلسوفا ولا بيانيا ، بل كان بسيطا كل البساطة . وفى الحق لو كان ممن تهذبوا بعلوم العالم ، لأضعف هذا من شأن عمله العظيم ، لأن أعظم أهل العالم وقفوا من بعيد أمام ما كان يسوع يعلنه .

ولهذا كانت حياته كما قال بعضهم ، إعلانا وليست سعيا . لأن الذين يَرْقون الكمالات من أهل العالم ، إنما يصلون بعد جهاد عنيف ،

وكثيرا ما تحبط أعمالهم ، و إن أحرزوا نجاحا فيكون ذلك بعد سعى طويل . أما يسوع ، فليس من دليل على أنه جاهد أو سعى أو فشل أو انخذل ، أو أنه كان يقاوم الشر . ولكنه فعل ذلك ، ليس كمن هو طاهر لا يعرف الخطأ ، وإنما أرسل ليجدد العالم ويباركه ، وكانت حياته من البدء نصرا مبينا .

إن يسوع من مبدأ أمره ظهر كاملا . إن كل الذين بلغوا الكمال الإنسانى لم يصلوا إليه إلا رويدا ، وكثرة التجارب تزيدهم حكمة ودراية . أما هو ، فقد ظهر للعالم فى سن الشباب كاملا كل الكمال ، وحياته كلها كانت على نسق واحد .

بقى معنا : إذا كان المسيح بهذه الصورة السامية ، أى أنه مع كونه ذا صفات إنسانية ، تجلت فيه صفات اللاهوت ، فكان يغفر الخطايا ويغيّر الخطاة عن طبيعتهم ، فمن هو إذن ؟ . إن كثيرين من الفلاسفة الذين أعجبوا بالمسيح ولكنهم جاحدون ، يقولون مع كيم بأنه : " أعجوبة خارقة للطبيعة " ، ومع شانينج : " أعظم من كائن بشرى " . ولكن ليس بين الله والإنسان وسط ، فالمسيح إذن : " الله ظهر فى الجسد " . وحينما نقرأ قوله : « هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) لا نستطيع أن نفصل بين الله ومسيحه ، فأنت لا ترى الله مع المسيح ، بل تراه فيه تماما ، لأنه لم يكن يعمل فينا تلك الأعمال الفائقة بصفته كإنسان ، ، بل صرح أنه ليس سوى الله . وقد أحسن هرمن بقوله : " إذا اعترفنا بألوهية المسيح ، فنحن لا نعطيه إلا إسمه الحقيقى " . وقال كرنجى سمسون : " لأنه ، أى إسم آخر غير إسم الله يليق أن نعطيه لكائن يعمل فينا ولأجلنا ما لا يقدر عليه إلا الله " . وقال أيضا : " وهكذا تكون حقيقة المسيح أساس الإيمان بالله الحى . و مما يجدر مراعاته هنا أن أساس هذا الإيمان ليس تعليم المسيح ولا مبادئه ، بل حقيقة المسيح نفسه . وهذا التفريق من الأهمية بما كان ، لأن الإيمان لا يُبنى على آراء حتى أشرف المعلمين ، بل على حقيقة

يُقصد منها كلمة الله السامى . والمسألة ليست يسوع قد تكلم أو كلماته مكتوبة فى الإنجيل ، بل الله قد تكلم وكلمته فى التاريخ والأخبار (وهو يسوع) .

وقيمة هذا القول تظهر فى أن كثيرين من الأمم كانت عندهم نفس الحقائق المسيحية ؛ كالإعتقاد بالله والخلود (وإن تكن عقائدهم مشوشة مضطربة) ولكنها لم تنتفع بها . فلما جاء المسيح ، ألبس هذه الحقائق روحه ، فصارت لها به قوة .

بل إن كثيرين يعترضون على المسيحية بأن لمبادئها أصلا فى الأديان التى سبقتها . ويمكن الرد على هذا القول بأن النبتة تتغذى من تربة الأرض ، ولكنها تحول عناصر الغذاء إلى طبيعتها وخواصها . وعلى هذا المثال ، فالعقائد الصادقة التى ورثها السابقون للمسيحية عن آبائهم وعن نور الوجدان ، ولم ينتفعوا بها لسعادتهم الداخلية ، قد صيرتها المسيحية ذات قوة لإسعاد النفس ، وهذا دليل ألوهيتها دون كل الأديان .

فما كان عند الناس مجرد آراء وعقائد ، جعله المسيح أساسا لصخرة الإيمان . وشتان ما بين الإيمان فى اليهودية أو الوثنية وبينه فى المسيحية. وهذا كله دليل على أن المسيحية هى المسيح ، وأن أى عقيدة مهما كانت جليلة سامية ، فلا قيمة لها بغير المسيح ، فالعقائد تسمو إذا كان هو مركزها وتسقط بدونه ، أو كما قيل فى أساطير اليونان عن (أنتيوس) الذى لم يكن يُغلب إذا مس أرض وطنه ، هكذا لا تُغلب العقيدة التى يكون المسيح أساسها أو موضوعها . قال كرنجى سمسون : " لما بحثنا فى معنى المسيح بالنسبة للأخلاق والحياة الأبدية ، وجدنا أن ذلك أكثر من مجرد تركه لنا تعاليما عالية ومثلا ساميا ، إذ وجدنا أنه أعطانا من روحه. ومعنى ذلك ، هو نفسه قد دخل فينا بطريقة عجيبة ، وصار جزءا من أفكارنا وأميالنا وإرادتنا ، أى من أنفسنا « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » . إن هذا أمر يختص بالديانة المسيحية فقط وليس له نظير فى

غيرها من الأديان ، وهى نقطة واضحة لا تحتاج إلى تبيان فى علاقة المسيح بخلاص الناس ، مبدأها الإتحاد ، وهو اتحاد داخلى بين المسيح والبشرية . وهذا هو عين الفكر الذى أشار إليه المسيح فى قوله : « أنا الكرمة وأنتم الأغصان » ، واستعمل بولس الرسول ذات الإستعارة بتسمية المسيح بالرأس والمؤمنين بالأعضاء . وهذه الوحدة الروحية مع المسيح الذى لم يظهر أمامنا كشخص مذكور فى التاريخ ، بل ظهر فى داخلنا متحدا معنا ، هى المبدأ الأساسى فى خلاص المسيح لبنى البشر ، فلا يمكن شرح المسيحية على حدة بدون ذكر هذه الوحدة " .

إن حياة المسيح و التأثير الذى نشأ عنها ، يمنعان أن يكون المسيح مجرد عظيم من عظماء البشر ، وإنه من الجسارة أن نضعه وأكبر عظماء العالم فى كفتى ميزان . قل ما تشاء عن اسكندر و قيصر ونابليون ، و لكن المسيح - حتى من الوجهة العالمية - أعظم منهم بكثير . قال أحد الأفاضل : " من يتجاسر أن يقول يسوع هو الأكبر ؟ إنه منزّه عن ذلك لأنه ليس أكبر ولا أصغر ، بل هو الوحيد ، وهو يسوع فقط ليس إلا " .

إن المسيح أظهر أنه ليس فقط كامل فى حياته ، بل إنه يستطيع أن يكمل الناقصين . فعنده من فيضان الراحة ما يستطيع به أن يريح كل التعابى ، وعنده من التعزية ما يستطيع أن يعزى به كل الحزانى ، وعنده من المغفرة ما يستطيع أن يغفر به كافة الخطايا .

قابل مرة ألفردْ تيسون الشاعر الطائر الصيت أحد زملائه القدماء فى المدرسة بعد غياب أحدهما عن الآخر سنين طويلة ، الذى ابتدره بعد تبادل التحية بالسؤال قائلا : " ما هو مقام المسيح عندك يا شاعرنا العظيم ؟ " ، وكان وقتئذ فى روضة غناء . فمد الشاعر يده إلى الشجرة واقتطف منها زهرة ، ثم نظر منها إلى الشمس ومن الشمس إليه ، وقال : " بمقدار حاجة هذه الزهرة إلى الشمس ، هكذا حاجة نفسى إلى المسيح " .

وحين وهنت يد دانيال بستر المشهور ، أملى على كاتب سيرته إيمانه بالمسيحية ، وختمه بهذه العبارة قائلا : " لقد حقق لى قلبى وحدثنى غير مرة مؤكدا أن إنجيل يسوع المسيح هو حقيقة راهنة إلهية " .

وبالجملة ، لو سألنا أشعر شعراء العالم عنه ، لأجابونا أنه هو الوحى الذى كانوا يستمدون منه بديع منظوماتهم . ولو سألنا فلاسفة هذا الوجود ، لأقروا جميعهم له بالتفرد وبالعظمة التى لا يدانيه فيها أحد . ولو سألنا مشاهير أهل الخير عنه ، لأجابونا أنه لم يحفزهم إلى عملهم الصالح إلا قدوته الكاملة . ولو سألنا المتضايقين والمنكوبين والحزانى وكل بائس عرف طريق المسيح ، لصرّحوا على رؤوس الملأ أن حياة المسيح كانت أفضل مُعين لهم على احتمال آلام الحياة .

بل هذا ڤولتير كبير الملحدين يقول : " ليس بين كل الحكماء الأقدمين يمكنه أن يؤثر فى آداب الذين يقطنون فى حَيِّه ، أما السيد المسيح فإنه أثر فى العالم كله " .

وقال شارلس طب : " لو جاء شكسبير إلى هذه الغرفة ، لوقفنا كلنا إجلالا وإكراما . وأما لوجاء إليها ذلك الإنسان (أى يسوع المسيح) ، لجثونا كلنا تحت قدميه لنُقبّل هدب ثوبه " .

قال لاكوردير : " إنسان واحد جعل جميع الأجيال تحبه محبة لا تخمد جذوتها ، وهو الأوحد الذى أحبه عددا لا يحصى من الناس حبا رقيقا قويا باطنا ، وله وحده اليوم ملايين من المحبين يطيب لهم الموت فى محبته " .

قال أحد الوعاظ : " إن المسيح كان بغير حد . إن جلاله قد كسر حدود التاريخ فلا تحوطه أذرع الزمن ، فهو قديم الأيام ، الذى لا يزال إلى اليوم مستحدثا مجددا ومجددا قدمية الزمن بالبشرية فتتقدم ، ولكنها لن

تستطيع أن تسابق كمالات المسيح . قد تسمو الإختراعات بالبشرية فتطير إلى العلا ، لكنها لن تستطيع أن تضرب الرقم الكمالى الذى سجله المسيح ، كلا ، ولن تستطيع أن تبلغه " .

" إن الرداء الذى حاكته حكمة أفلاطون وفلسفة أرسطوطاليس وخيال شكسبير وإبداع باكون وعبقرية بيرون ، قد ضاق على أن يكون لباسا للبشرية الحديثة ، ولكن بردة الأخلاق التى نسجتها يد المسيح لا تزال إلى اليوم على البشرية ثوبا فضفاضا " .

نعم ، كيف لا يكون ذلك حقا ، وذاك الذى ضاقت به صدور اليهود فى عصره ، صار له الآن موضع فى كل مكان :

(١) له موضع فى كل قلب . إن أمه لم تجد له موضعا ليلة ولادته لتضعه فيه ، فوضعته فى مذود البهائم . ولكنه الآن له موضع فى قلوب ملايين من البشر يعبدونه بمحبة . إنه ليس له موضع فى قلوب صغار الناس فقط ، بل وفى قلوب عظمائهم ، فمقامه مرتفع فى نفوس العظماء كما فى نفوس الأدنياء ، عند العلماء كما عند الجهال و عند الأغنياء كما عند الفقراء .

(٢) له موضع فى كل عمل . فكم بإسمه تتم كل المشروعات الخيرية المختلفة ، وكم بإسمه يشفى ألوف من المرضى ، ويتعزى حزانى لا يحصى عددهم ، وبإسمه بؤساء يفوقون الحصر يصيرون سعداء .

(٣) له موضع فى كل فن . أفضل الشعر ما قيل فيه ، وأفضل الصور ما أتقن فيها رسمه . بل كان إسمه باعثا قويا لنشر أسماء كثيرين من شعراء العالم ومصوريه .



الفصل الخامس

ثبات ألوهية المسيح أكبر دليل على صحتها

+

إن يســوع أعلن أنه إله . و المسيحيون يعبدونه إلها منذ عشرين قرنا . أليس هو إله ؟ . و هَبْ أن الناس لا يستطيعون أن يؤمنـوا أنه إله ، أفلا يزال الدين المسيحى إلهيا ، وكل تعاليمه ومفروضاته واجبة على الإنسان ؟ .

قال الآب ديدون : " من الناس من يموت الغير لأجلهم ، أما يسوع فله السجود من جميع شعوب الأرض وجميع الأزمان ، وإسمه معروف فى الأرض كلها . . أعاظم رجال الأدهار السالفة ، لولا بقاء آثارهم من قصور أو مسلات أو قبور أو مكتوبات على البردى و الرق و الآجر ، لابتلعتهم هوة النسيان الأبدى . أما يسوع ، فحى إلى الأبد فى ضمير المؤمنين ، وكنيسته الأثر الخالد ، تملأ بإسمه المساحة والزمان " . وقال آخر : " مرت عشرون جيلا على دعوة المسيح ، وهى لا تزال فياضة بقوة المغناطيسية العلوية التى تجتذب من غير رفع ، والتى تقهر بغير عسف . وفى أشد ساعات التاريخ ظلاما إلتجأت إليه البشرية ، فوجدت فيه خير حى ونصير ومخلص ، فهو الطاهر بين الأقوياء ، القوى بين الأطهار . بيده المثقوبة رفع ممالك وأقام خيامها الساقطة . وحول مجرى تيار الحوادث ، فصار هو مركز التاريخ ويد الزمن " .

فمن كان يظن أن إسم يسوع يبقى عقب الثورة التى أقامها ضده الكفرة العصريون ؟ . ولكن إسمه الكريم ظل حيا ، بينما اندثرت أسماء أعدائه . وقد تحول نظر كثيرين من العلماء إليه فى هذا الزمن وأخذوا

يبحثون عنه ، وأخذت روح يسوع تملأ فراغ قلوبهم ، وملأ الإعجاب نفوسهم من حياته وصفاته . ولذلك ظهرت تراجم عديدة له ، تكلمت عن حياته من كل الوجوه ، حتى يصح لنا أن نقول أن يسوع الناصرى ، الذى كان مقيما فى أرض فلسطين ، لم يُعرف فى عصر ما أكثر مما هو معروف الآن فى هذا العصر .

نعم ، لقد ظن المعطلون ومن انخدعوا بهم ، أنه لن تقوم لإسم يسوع قائمة بعد ما كتبوا ضده وأذاعوا كتبهم . ولكن ، أين تلك القوة التى تستطيع أن توقف سريان إسم يسوع فى الكون ؟ . إن قوة العلماء العصريين تَبطُل كما بطلت قوة نيرون أشد أعداء المسيح بطشا ، لأن يسوع ليس إسما محدودا يرتفع ويسقط . إنه هو الأزلية بعينها التى لا أول لها ولا آخر . إن خلوده لا يمكن أن يُحد بحدود . وكما مرت به ممالك عدة وتلاشت ، هكذا ستفنى فى إسمه كل القوات المنظورة ويبقى هو .

إنه منذ ظهر على الأرض مرت ألفا سنة ، ولكنها كلحظة فى عين الرب . فلن يشيخ نظام ملكوت المسيح ، فإنه ملكوت جديد فتى ، لأنه نظام لم يتأسس على آراء بشرية . إن المبدع البشرى يضع رأيه ناقصا مثله ، فلا يدوم ثابتا . أما يسوع ، فهو المبدع الأعلى ، و فى هذا عظمته الخالدة ، والسر الوحيد الذى كان ولا يزال يجذب كل ذى قلب كبير عاجلا أو آجلا إلى إنجيله .

بل هذا ڤولتير الذى شغف به كثيرون ، قد أخذت كتاباته تبلى ولم يمر عليه زمن طويل ، وقد كتب عنه اسكندر دوماس الإبن يقول فى روايته " غادة الكاميليا " ما يأتى : " إنما أسوق الحديث إلى معاصرىَّ الذين زالت من بينهم والحمد لله نظريات ڤولتير ، وليعلموا ، كما أعلم ، أن الإنسانية منذ خمس عشرة سنة فى نهضة من نهضاتها العظمى . لقد حُصِّل علم الخير والشر ، و بُنيت قواعد الإنسانية من جديد ، وعاد إلى قلوبنا إعظام الأشياء المقدسة " .

قال بابيني : " لقد كان الناس يتحدثون بالقيصر في أيامه أكثر منهم بيسوع . وعلّم أفلاطون علوما أكثر من يسوع . ولا يزال أبناء هذا القرن يذكرون العاهل الروماني والفيلسوف اليوناني . ولكن ، مَن من الناس في هذا العصر يهمه أن يكون متعصبا لقيصر أو ضد قيصر ؟ بل أين الأفلاطونيون في هذا الزمان وأين خصوم الأفلاطونيين ؟ . وعلى العكس من هذا ، نرى أن يسوع لا يزال حيا في العالم إلى اليوم ، ولا يزال فريق في العالم يحبه وفريق يبغضه . فريق تختلج قلوبهم بمحبته ، فتدفعهم المحبة إلى بذل حياتهم في سبيل نشر مبادئه وتعاليمه ، وفريق تتأجج نيران العداء له في قلوبهم ، فيبذلون كل ما تصل إليه أيديهم لهدم مبادئه ونقض تعاليمه . على أن هذه المقاومة التي يصادفها يسوع من أعدائه المتألّبين على قتله ثانية ، لأكبر دليل على أنه لم يمت ، بل هو حي إلى الأبد ، لأن الأموات لا يرعبون أحدا . وأما الذين يقضون حياتهم لمحاربة يسوع ، وعدم الإعتراف بمبادئه وتعاليمه ، فهم إنما يقضون عمرهم في نشره للعالم وتخليد ذكره بينهم من حيث لا يقصدون " .

إن المذهب المسيحي قد أصبح أعظم مذاهب العالم عددا ورقيا وتأثيرا وانتشارا .

(١) فعددا : لأن الإحصاءات الآخيرة التي نشرها الألمان ، تُبين أن أكثر من ثلث سكان العالم أي نحو خمسمائة مليون نفس [1] هم من أهل هذا المذهب ، وهذا عدد يفوق العدد في أي مذهب آخر سواه .

(٢) ورقيا : كما هو ظاهر في التوقيعات العلمية والصناعية ، وفي تعميم المعارف أيضا، وفي وفرة الإختراعات المفيدة، واستنباط منابع الثروة ، و الإنتظام في تدبير الشئون على أنواعها .

---

(١) **مكتبة المحبة** : كان هذا العدد في أثناء حياة الكاتب ، نيح الله روحه ، أي منذ حوالي ستون عاما . أما تعداد العالم اليوم فيقرب من السبعمائة مليون نسمة .

(٣) وتأثيرا : بالنظر إلى اقتباس أكثر المذاهب الأخرى و أصلحها ، مبادئ المذهب المسيحى الرئيسية وكثير من اصطلاحاته المفيدة ؛ من هذه : نَبْذ التعصب المذهبى ، ونشر الروح الأخوى بين صفوف البشر .

(٤) وانتشارا : لأنه لم يبق فى المعمورة بلاد تذكر إلا وتأصل فيها شعب مسيحى ، وأنشئت فيها كنائس مسيحية نامية . لا مذهب آخر له وجود عمومى فى العالم نظير المذهب المسيحى .

إن من يقف على أخبار ثورة العلماء الفاسدين (لأنه لم يقف ضد يسوع عالِم مستقيم) فى العصور الأخيرة ، يخيل له أنهم سيتمكنون من صلبه مرة ثانية ليواروه الثرى بكيفية لا يقوم منها ثانية . لأنهم أخذوا يكتبون ضده ، ويهيجون الرأى العام عليه ، وقد وقف خلفهم جملة من طلاب العلم يصفقون لهم ، فظنوا أنهم بالغون مأربهم ، ولكنهم كانوا أضعف من اليهود فى عصر المسيح - فإن أولئك تمكنوا من أن يواروه الثرى ليقوم - أما هؤلاء ، فلم يستطيعوا أن يخفوا مجده لحظة بكتاباتهم العديدة .

إن العالم قد امتلأ بمجد المسيح وقوته ، وليس من بشر يستطيع أن يملأ الفراغ الذى يتركه يسوع فى القلوب الإنسانية ، يسوع الذى يودون أن يقتلوه . قال بابينى : " إن القبر الذى يعدونه لدفنه ثانية قبر عميق . وهم يزيدونه عمقا فى كل يوم ، ولكنهم لم يقدروا ولن يقدروا على لحده فيه ، أو حجبه عن أنظار محبيه " .

نعم ، لقد جهدوا كثيرا حتى اخترعوا الكثير من أديان ومذاهب يقيمونها لتملك موضع يسوع ، وما كان أكثر مذاهبهم وأديانهم . ولكن ، لم تلبث ثورة هيامهم بها حتى خمدت . ولم يجدوا فى تعاليمهم المقطعة التى كانت تستهوى بعض ذوى الغايات والمنافع المادية والأدبية - لم يجدوا فيها ما يملأ الفراغ الذى تركه خروج يسوع من قلوبهم .

وقد كتب بابينى عن كافر كان مبدأه " أن يسوع نحر الحياة فى فؤادها " . ولكنه لم يستطع أن يقدم للعالم مثلا يُبيِّن له كيف ينتفع العالم بالحياة بأحسن مما علّم يسوع . بل أنه عندما رأى ذاته واقفا على أبواب الأبدية ، كتب كتابه الأخير و عنوانه " المصلوب " .



الفصل السادس

لماذا لم يؤمن جميع الناس بيسوع إلها ؟

+

هؤلاء الذين لا يريدون أن يؤمنوا ، يرجع عدم إيمانهم إلى أسباب أخرى لا دخل للمسيح فيها ، فإن إنسانا لا يؤمن لفراغ قلبه من التواضع أو لتعلقه ببعض لذات. ولا يمكن أن يعاين الله إلا أنقياء القلب . قال بعض العلماء :" يمنع الإنسان من مرأى أمور الله تسلط الحواس على العقل، فإن الشهوات بمثابة ضباب كثيف يصد الحقيقة عن الوصول إلى أعماق الضمير ، ويحجب شمس الحقيقة عن عين النفس . مَزّق هذا الستار يبدو لك الدين فى مجال الوضوح . إن من يبغضون الدين ويخافون منه هم الذين يرون فيه لجاما لشهواتهم ، وآمرا باستبعاد حواسهم ، وناهيا إياهم عن الخضوع لها . وأكثر هؤلاء لا يؤمنون تخلصا من مفروضات الدين الثقيلة على الحواس . غير أن العقول الكبيرة يغلب فيها أن تمتلك القلوب الشريفة ، وكثير من عظماء الرجال فى جميع الأجيال كانوا رجال تدين وإيمان .

فيحق لكل مسيحى أن يفخر قائلا ما قاله كشى الرياضى الشهير : " أنا مسيحى ، أى إنى أؤمن بألوهية يسوع المسيح كما آمن تيكو براهة وكوبرنيك ونيتون وفرمان وليبنيتز وبسكال وأولر ، وجميع أكابر علماء الهيئة والهندسة والطبيعيات ممن تشرفت بهم الأجيال الحالية . أنا مسيحى كأكثرهم ، وليس إيقانى ثمرة أوهام مولدى ، بل ثمرة بحث مدقق وأعمال روية . أنا مسيحى صادق كما كان كورنيل وراين وبوسيه وبيوردالو ، وعديد ممن شرفوا العلم والفلسفة والبيان . أنا أعتقد بما اعتقده كثير من أهل الطبقة الأولى من العلماء كأمبير و هاوى و لانك و بالتييه ، وأمثالهم من أكابر العلماء " .

قال الدكتور چون مونرو كبسون : " إن الإعتقاد بالمسيح مخلّصا إلهيا يلائم الحقائق والآراء الواقعة تحت أبصارنا فى التاريخ والإختبار . أما عقيدة الأضداد المناقضة ما فوق الطبيعة ، فلا تلائم شيئا مما ذكر . ولا سبيل للمحافظة عليها إلا بنقض كل شئ واستئناف البناء من جديد ، فلا يوافقها مسيح الأناجيل ، ولذلك لا بد عندهم من معارضتها بإعادة بناء حياة المسيح . فيُطلب منا أن نأخذ مسيح سترس الوهمى أو مسيح رينان أو مسيح كيم بدلا من مسيح التاريخ . وكذلك التوراة لا تلائم تلك العقيدة بسائر أجزائها ، فلا غنى عن استئناف كتابتها من موسى إلى يوحنا . أما المذهب المسيحى فتراه ، كما ذكرنا ، يتفق مع الطبيعة الإنسانية بسائر أصولها وفروعها ، ويأتلف مع أفكار الله التى قال بها أفاضل الرجال فى كل العصور ، وينطبق على ما هو راسخ فى اعتقادنا بشأن أسس الحلال والحرام غير المتغيرة ، ويلائم الأناجيل المقررة التى بين أيدينا ، بدون أن نلجأ إلى تصنيف إنسانى كالذى اعتاد كتابته أولئك الملحدون من مخيلتهم ، ويناسب التوراة أيضا كما وصلت إلينا من الزمان القديم ، ويتفق مع حقائق تاريخ الدين المسيحى فى العالم ، ويطابق اختبار أفراد المسيحيين ، ويلائم آمال وأشواق أفضل الرجال والنساء المختلجة بصدورهم فى خير الأوقات وأقدسها " .

وبالجملة ، فليجهد الكفرة أنفسهم لعلهم يحطمون النظام المسيحى ، فإن المسيح بنى ديانته على أنقاض الديانة الوثنية وعلى أساس الديانة اليهودية اللتين كانتا ديانتى العالم فى عصره ، ولم يقم دين آخر بعده استطاع أن يحل محل دينه . فليبذلوا جهدهم لملاشاته إن استطاعوا ، فستضيع جهودهم كما ضاعت جهود الكافرين مدى العشرين قرنا التى مرت . إن كل مقاومة للدين المسيحى مهما كانت شديدة يمكن قمعها دائما ، ولكن عدم الإيمان والإستسلام للأفكار الناقصة كالقول :" بأن العقل لا يدرك الدين لذا يرفضه ". فهذا هو الخطر اللابس ثيابا ناعمة، وكل الذين ينكرون الدين فى هذا العصر إنما طوحوا بهذا الوهم الذى تسرب إليهم ، وهكذا جردوا أنفسهم من الإيمان الدينى واعتنقوا مذهب " لا أدرى " فليبقوا لا يدرون شيئا ، بينما أبسط مسيحى يقول " أنا أدرى كل شئ " .

الباب الثانى

ألوهية المسيح فى تجسده

(+)

إن الظروف التى أحاطت بحادثة تجسد المسيح وولادته لمما يقنع العقل المستقيم بأنه : " الله ظهر فى الجسد " .

يولد المرء فى العالم منتظرا مستقبل أيامه دون أن يكون له ماضٍ ، لأنه قبل أن يولد لم يكن شيئا . تستطيع أن تتحدث عن أى إنسان منذ تاريخ ميلاده إلى يوم موته ، أما قبل ميلاده ، فلا تستطيع أن تذكر عنه شيئا ، لأنه بدأ يحيا ويكون ذا شأن من يوم ولادته فقط .

الغنى لم يكن قبل ولادته غنيا . العظيم لم يكن قبل ولادته عظيما . وأولاد العظماء والملوك ، لا نستطيع أن نقول أنهم كانوا عظماء قبل ولادتهم لأن العظمة كانت مستعدة أن تدين لهم، ولكن هذا لا يكون، لأن كثيرين ولدوا فى أحضان العظمة ولكنهم ماتوا فى منتهى البؤس . كثيرون ولدوا فى الشقاء ولكنهم ماتوا فى أوج المجد .

إن أى مخلوق لم يُعرف إلا بعدما ولد ، ولم يتحدث الناس عن أحد قبل ما يتمتع بنعمة الحياة . لم يُعرف الإسكندر ولم يُذكر قيصر ولم يُنوّه عن أفلاطون إلا بعدما ولدوا . ومن هنا نأخذ أن نتحدث عن ألوهية يسوع فى كيفية تجسده ، فهو وحده المفرد العلم بين البشر الذى ملأ فراغ الوجود قبل أن يولد بأربعة آلاف سنة . مدة طويلة شغلها المسيح بحياته قبل أن يحيا. نحن لا نتكلم الآن عن وجوده اللاهوتى لأنه إله منذ الأزل ، بل عن الوجود الناسوتى ، فالمسيح كإنسان كان قبل أن يولد ، وكينونته

ليست شخصية ، أى لم يكن موجودا بشخصه ، بل بسيرته وأعماله . فولادته وحياته وصلبه وموته وقيامته عُرفت قبل أن تحدث .

وإذا وُجد أحد ذُكر قبل ولادته ، مثل إسحق وشمشون ويوحنا المعمدان ، فإن ذكرهم كان لأشخاص مخصوصين وفى أماكن معينة ، ولم يشغلوا جزءا يسيرا من الفراغ الذى شغله المسيح فى قلوب وأذهان الجميع وفى كل جزء من الأسفار المقدسة عند كافة الأمم .

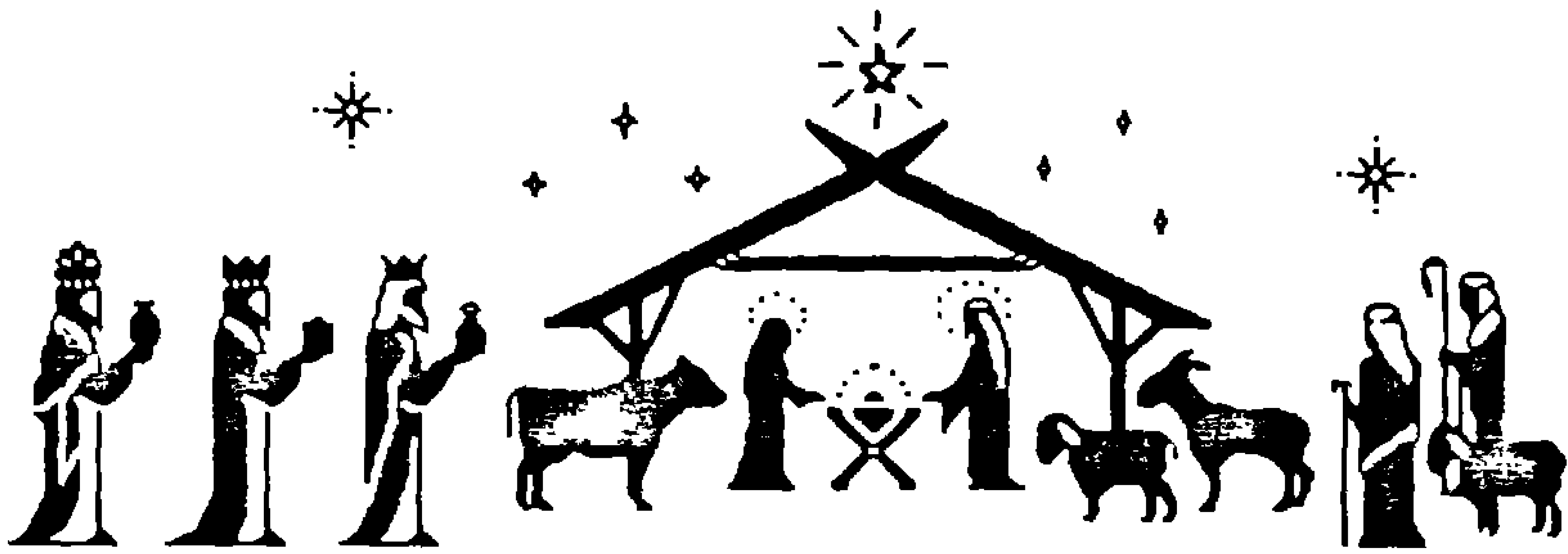
تكلم عنه كثيرون ، وانتظره كثيرون ، وعلق آمالهم عليه كثيرون ، وكما تنتظر الشمي صباحا لتنير عالمنا هذا ، إنتظره كثيرون ليبدد ظلمة نفوسهم . آمنوا به قبل أن يجئ ، وأحبوه قبل أن يظهر ، وانتظروا خلاصه قبل أن يبدأ به ، فهل كان هذا إنسانا ؟ . إن الإنسان لا يستطيع أن يكون عظيما إلا فى حياته ، وأما هذا فقد كان عظيما منذ وجود العالم. وقد بنى العالم سعادته قبل أن يولد بأجيال كثيرة . إن الموعد بمجئ المسيح قد ألقى إلى آدم عقب سقوطه حالا ، فعاش آدم ومات على هذا الرجاء ، وسلّم الوعد إلى أبنائه فظلوا يتوارثونه خلفا عن سلف حتى شغل المسيح أفكارهم وملأ فراغ قلوبهم . والذين ماتوا منهم مسرورين هم الذين كانوا قد آمنوا بمجيئه ، وبهذا الإيمان نالوا السعادة .

نوح رآه بخلاصه من الفلك ، ورآه فلك الحياة الأبدية لكل المؤمنين به . وإبراهيم رأى يومه بعين الإيمان وفرح . ويعقوب ذكره منبئا عن وقت مجيئه . وهكذا ، قبل أن تأتى الشريعة المكتوبة ، حفظ الذين كانت لهم الشريعة الطبيعية فقط ، ذلك التقليد المأثور عن أبيهم آدم : إن مخلّصنا سيأتى ويعيد للعالم « الفردوس المفقود » .

ولما جاءت الشريعة المكتوبة دارت كلها حول محور واحد هو المسيح، و تحدثت عنه بروح النبوة مبينة أن أمر مجيئه حقيقة لا ريب فيها . ويحسن بنا أن نأتى هنا على فحوى النبوات التى تحدثت عن المسيح ،

ورافقته فى تجسده إلى صعوده ، ليُعلم أن هذا المولود فى بيت لحم هو بعينه « مشتهى كلام الأمم » .

قال القديس أوغسطينوس : " إن العهد القديم رمز الجديد ، وكل الدين الموسوى والآباء وحياتهم وعهودهم وذبائحهم رموز ما نراه . وليس الشعب اليهودى بأسره إلا نبيا عظيما ليسوع المسيح وكنيسته " . وقال بسكال : " إن العهدين متعلقان بيسوع المسيح ، فهو منتظر القديم ومثال الجديد و مكرز كليهما " . و قال الرب للفريسيين الذين أبوا أن يؤمنوا به : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى . فلو كنتم تؤمنون بموسى لكنتم تؤمنون بى لأنه كتب عنى » (لو ٥ : ٣٩ و ٤٦) .



الفصل الأول

فى نبوات العهد القديم عن المسيح

+

أولا : فى النبوات التى تشير إلى مجئ المسيح وشخصه وآلامه وقيامته وصعوده :

(١) فى مجئ المسيح :

النبوات :

« هو (أى زرع المرأة) يسحق رأسك و أنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) . فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معا » (أش ٤٠ : ٥) . « ويأتى مشتهى كل الأمم » (حج ٢ : ٧) .

إتمام النبوة :

« لما جاء ملء الزمان أرسل الله إبنه مولودا من امرأة » (غلا ٤ : ٤) . بعد ... ٤ سنة من النطق بالنبوة الأولى ، أظهر إبن الله لينقض أعمال إبليس « فطُرِح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس ... إلخ » (رؤ ١٢ : ٩) . « أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب » (لو ٢ : ١٠) .

(٢) فى وقت مجيئه ، وفى السلام الذى يرافق مولده :

أ) النبوة :

« لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون » (تك ٤٩ : ١٠) .

(م ٧/ - شمس البر)

الإتمام :

قال أوريجانوس : " فأى إنسان حتى من غير المؤمنين لا يصدق هذه النبوة التى هى أقدم من موسى بكثير كما يظهر أنه هو الذى لم يكتبها ؟ فأى أحد يقرأ هذه ولا يأخذ منه العجب حين يرى واحدا من رؤساء الأسباط وهو يهوذا ، تنصب عليه بركة ليست فى الحسبان ، ألا وهى بركة الحكم والتسلط على إخوته ، الأمر الذى برهنه التاريخ بعد ذلك ، حتى أن سائر الأسباط سموا " يهوذا " واشتقوا إسمهم من إسم " يهوذا " وحده، فأصبح إسمه علما على الأمة بأجمعها .

نعم ، إن القضيب قد زال من يهوذا عند مجئ المسيح ، لأن اليهود (و لو حكم عليهم من رؤساء و أرباب و ديوان من خاصتهم) كانوا خاضعين لسلطة الملوك الرومانية ، ويشهد بذلك أنهم أطاعوا أمر أوغسطس وأدوا الجزية لقيصر ، ولم يكن لهم سلطان على الحياة والموت ، (أنظر لو ٢ : ١ و ٣ - ٥ ، مت ٢٢ : .٢ و ٢١ ، يو ١٨ : ٣١) .

إعترضوا على نبوة يعقوب هذه فقالوا : " إن إسم شيلون إسم مكان منصوب على المفعول به ، وترجموا العبارة هكذا : حتى يأتى (يهوذا) شيلون وهى قرية فى أفرايم نصب فيها الإسرائيليون خيمة الإجتماع بعد انتصارهم على الكنعانيين " (يش ١٨ : ١) أى أن سبط يهوذا سيكون له التقدم فى مدة نهاية بنى إسرائيل ، ثم ينتهى تقدمه حين وصوله إلى قرية شيلون " . ولكن هذا التفسير الخاطئ لا ينطبق على الواقع لأن وجود قرية فى شيلون فى عصر يعقوب غير محتمل ، وسبط يهوذا لم يكن له تقدم مطلقا على الشعب فى البرية ، بل كان موسى قائدهم وخَلَفَه يشوع ؛ الأول من سبط لاوى والثانى من سبط أفرايم . و التفسير الأصح أن شيلون لفظة مشتقة من

الفعل العبرانى " شالاه " أى ارتاح واطمأن وآمن ، وهو إما إسم نكرة معناه راحة أو طمأنينة أو أمان ، أو إسم علم معناه صانع السلام أو الأمان . وكل اليهود اتفقوا على أن هذه النبوة تشير إلى المسيح ، فجاء فى ترغوم أوتليسلوس : " إلى أن يأتى المسيح الذى له الملك وله يكون خضوع شعوب " . وفى ترغوم أورشليم : " إلى الوقت الذى فيه يأتى المسيح الملك . ما أجمل المسيح الذى يطلع على بيت يهوذا " . وجاءت أيضا فى تلمود بابل آية ذات شأن فى هذا المعنى وهى : " ما هو إسم المسيح ؟ إسـمه شـيلون لأنه مكتوب [أى فى التوراة] حتى يأتى شيلون " .

ب) **النبوة :**

أنه ستظهر قبل مجيئه أربعة ممالك متعاقبة كما فسّر دانيال فى حلم نبوخذنصّر ، وكما بينه فى رؤياه : أربع ممالك عقبتها مملكة خامسة ظهرت بعد اضمحلال تلك (دا ٢ و ٨) .

ثم أنه يأتى بسبعين أسبوعا من السنين ، أى ٤٩٠ سنة ، بعد ترميم الهيكل حسبما نُصّ على ذلك فى (دا ٩:٢٤و٢٥).

الإتمام :

وتم تفسير دانيال لحلم نبوخذنصّر ، فقد تعاقبت أربع ممالك عظيمة هى مملكة الكلدان والفرس واليونان فمملكة سورية اليونانية ، وعقب انسحاق هذه الممالك ، ظهرت مملكة المسيح الروحية التى قال عنها دانيال : « مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت إلى الأبد » (دا ٢ : ٤٤) . فمملكة المسيح قامت بعد هذه الممالك الأربع بطريقة جديدة ونظام جديد وشريعة جديدة هى دائمة للآن و ستدوم إلى الأبد ، و لا تخلفها مملكة ما من نوعها (أش ٦٠ : ١٢ ، ١ كو ١٥ : ٢٤) .

ثم أن السبعين أسبوعا أو الـ ٤٩٠ يوما المذكورين فى (دا ٩ : ٢٤) لا شك فى أن المقصود بها أيام نبوية ، أى أن كل يوم عبارة عن سنة كما فى (حز ٤ : ٥ و ٦) . وابتداء هذه المدة معيّن فى ع ٢٥ حيث قيل : « من خروج الأمر بتجديد أورشليم وبنائها » . وقد ذُكر فى الكتاب المقدس أمران : الأول صدر من كورش (عز ١:١) والثانى من داريوس (عز ١:٦) ولكنهما كانا لأجل بناء الهيكل . فلا ريب أن الأمر المذكور فى نبوءة دانيال ، بحسب رأى أفضل المحققين ، هو الذى ورد فى (عز ٧ : ٢٥) لأنه كان بنوع خاص من أجل إقامة وتثبيت الناموس والحكم فى اليهودية . وكما ذكر المؤرخون المشهورون ، صدر هذا الأمر نحو سنة ٤٥٧ ق. م. وبإضافة مدة ٣٣ سنة التى عاشها المسيح على الأرض إلى هذه المدة تصير ٤٩٠ بالتمام وهى مقدار المدة المعينة فى دانيال : من خروج أمر بتجديد أورشليم إلى الوقت الذى تصنع كفارة الإثم ويؤتى بالبر الأبدى . وقد تم ذلك فعلا ، فالمسيح لم يُجحد من شعبه فقط ، بل وقُتل منه أيضا ، وبطُلت الذبيحة والتقدمة كما فصّل دانيال بالتمام .

ومما يؤيد صدق هذا الحساب، شيوع انتظار مجئ المسيح بين اليهود وكل أمم المشرق قرب وقت مجئ مخلصنا إلى هذا العالم ، كما نتعلم من تآليف فريجليوس وتاسيتوس وسوتيونيوس وغيرهم من الأمور الغريبة ، ومما لا يمكن تعليله إلا بأن أسابيع دانيال كانت حينئذ وقد اقتربت (بموجب الحساب إلا شهر) من نهايتها . قال يوسيفوس : " إن دانيال ، أحد الأنبياء الأعاظم ، لم يتنبأ فقط عن الحوادث المستقبلة كما تنبأ غيره من الأنبياء ، بل أيضا عن وقت تمامها " . وقيل فى التلمود : " إن دانيال أخبرنا عن نهاية المسيح " . وقال الحاخام يركى : " إن المراد بذلك وقت ظهوره " . وقيل أيضا فى التلمود : " إن الوقت الذى عينه دانيال لظهور المسيح لا يمكن أن يتجاوز بعد الخمسين سنة " . أى بعد الوقت الذى تكلم فيه .

حـ) النبوة :

في أن مجيئه سيقترن بسلام ، وعنده ينتظر من الأكثرين في مدة إقامة الهيكل الثاني (حج ٢ : ٦ و ٩) .

الإتمام :

في وقت مجئ المسيح إلى العالم، إنقطعت حروب الرومانيين وأغلق هيكل يانوس ، وهو هيكل في رومية لإلهة بهذا الإسم بناه الملك نوما فمفيلوس ، كانوا يغلقونه في وقت السلم ويفتحونه وقت الحرب ، وشهد بذلك سوتيانيوس وأرسيوس ، كما ذكر نيليوس وأوسابيوس وفيرجيليوس وغيرهم . وكان سلام بين رؤساء كل قسم من المملكة الرومانية ، وكانت كل قبائل اليهود والأمم تنتظر مجئ شخص عجيب كما نتعلم من (مت ٢:١-١٠ و مر ١٥:٤٣ و لو ٢:٢٠، ٣٨ و يو ١:١٩-٤٥) وذلك لأجل انتظار اليهود . ويُثبت إتمام هذه النبوءة المؤرخان الرومانيان سوثيونيوس وتاسيتوس نظرا إلى انتظار الأمم .

(٣) أن المسيح يكون إلها متأنسا :

النبوة :

« قال لي أنت إبني وأنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٧) « قال الرب لربي » (مز ١١٠ : ١١) « ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (مي ٥ : ٢) « يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى إسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (أش ٩ : ٦) .

الإتمام :

« و يدعون إسـمه عمانوئيـل الذي تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٣) « والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله . . . والكلمة صار جسدا وحل بيننا » (يو ١ : ١ و ١٤) .

وذهب بعض الكفرة إلى أن نبوة أشعياء : « يولد لنا ولد .. إلخ » تشير إلى حزقيا . و لكن هل ينطبق على حزقيا القول : « ورياسته وللسلام لا نهاية له على كرسى داود وعلى مملكته ... إلى الأبد » واليهود فهموا أنها تشير إلى المسيح ، ففى ترغوم يوناثان : " إن النبى يتكلم عن بيت داود لأنه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وهو يأخذ الشريعة على نفسه يطيعها ولذلك سمى منذ القديم عجيب المشورة . الله القدير الذى يدوم إلى الأبد . المسيح الذى يكثر سلامه علينا فى أيامه ". ولو كانت تشير إلى حزقيا ، لعُدَّت من باب المدح والإطراء الذى لم يكن من دأب الأنبياء استعماله .

(٤) فى من يتناسل المسيح منه :

النبوة :

من المرأة الأولى (تك ٣ : ٥٢) ومن إبراهيم (تك ١٢ : ٣ و ١٨ : ١٨) ومن إسحق (تك ٢٦ : ٤) ومن يعقوب (تك ٢٨ : ١٤) ومن يهوذا (تك ٤٩ : ١) ومن يسى (أش ١١:١) ومن داود (مز ١٢٣ : ١١ و ٨٩ : ٤٣ ، ٢٧) و (أش ٩:٧) و (أر ٢٣ : ٥ و ٣٣ : ١٥) .

الإتمام :

« وأيضا يقول أشعياء سيكون أصل يسى والقائم ليسود على الأمم عليه سيكون رجاء العالم » (رو ١٥ : ١٢) . وما من أحد يرتاب أن أصل يسى يراد به بيت داود كما علّم علماء اليهود أنفسهم ككلداتينوس وهراسيوس كما روى أورينموس ، وأن يسى كان من أصل إبراهيم وإسحق ويعقوب (مت ١) .

(٥) فى أنه يولد من عذراء :

النبوة :

« ها العذراء تحبل وتلد إبنا » (أش ٧ : ١٤) .

الإتمام :

«فقام يوسف وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر» (مت ١ : ٢٤ و ٢٥) .

(٦) فى المكان الذى كان مزمعا أن يولد فيه :

النبوة :

«أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطا على إسرائيل»(مى٥:٢) .

الإتمام :

قال أوريجانوس : " فليتفضل من يدلنا على أى واحد من أولئك الكذبة الخادعين الذين ادعوا بأنهم مسحاء أرسلوا من السماء لهداية بنى إسرائيل . أجل ، ليتفضل ويدلنا على أى واحد منهم وُلد فى بيت لحم أو حتى نشأ ودرج فيها . ومن لم تقنعه نبوة ميخا ولا رواية البشيرين فى أناجيلهم عن ولادة المسيح فى بيت لحم ، فليذهب لزيارة المكان بنفسه ليكون شاهد عيان ، وهناك يرى المغارة والمذود الذى قُمط السيد ووُضع فيه . هناك يرى الجميع ، حتى أعداء المسيح الساكنين حول ذلك المكان يشيرون إلى تلك المغارة ويقولون : " هنا ولد من يدعى المسيح الذى يعبده كثيرون " .

و يوافق ذلك شهادة الترغومات ، فجاء فى ترغوم يوناثان : " و أنت يا بيت لحم أفراتة صغيرة أنت عن أن تُحسبى بين ألوف يهوذا ، ولكن منك يخرج أمامى المسيح ليملك على إسرائيل الذى دعى بإسمه منذ القديم منذ أيام الأزل ". وقال الحاخام يركى : " لكن منك يخرج لى المسيح الملك " .

(٧) فى أنه سيدخل إلى هيكله ويذهب إلى مصر :

النبوة :

« قال ملاخى : « ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه

و ملاك العهد الذى تسرون به هوذا يأتى قال رب الجنود » (ملا ٣ : ١) .

الإتمام :

إن المسيح ، و هو طفل ، أدخله أبواه إلى الهيكل (لو ٢ : ٢١ - ٢٧) ونظراه فى الهيكل جالسا ما بين العلماء (ع ٢٧) ومن بعد ذلك كان كل يوم يعلم فى الهيكل (لو ١٩ : ٤٧) ويستدل من هوشع أن مسيا يُحمل به إلى مصر ثم يعود منها بقوله: « من مصر دعوت إبنى » (هو ١١ : ١) . فلا يخفى أن هذه الألفاظ تلاحظ الشعب الإسرائيلى عن قرب ، إنما خروج العبرانيين من مصر لم يكن إلا رمزا عن إياب المسيح من ذلك القطر كما ارتأى كثيرون من الآباء كإيرونيموس وكيرلس الإسكندرى وهوغركريتوس وغيرهم .

(٨) فى أن نبيا بروح وقوة إيليا يسبقه ويعد طريقه :

النبوة :

« هأنذا أرسل ملاكى فيهئ الطريق أمامى » (ملا ٣ : ١ ، ٤ : ٥) و (أش ٤ : ٣) و (يو ١ : ١٧) .

الإتمام :

« وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣:١.٢) « وإن أردتم أن تُقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى » (مت ١١:١٥).

(٩) فى أنه سيكون نبيا :

النبوة :

«يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسط إخوتك مثلى له تسمعون» (تث ١٨ : ١٥) .

الإتمام :

« قد قام فينا نبى عظيم » (يو ٦ : ١٤) .

(١٠) فى أنه يبشر بالإنجيل فى الجليل :

النبوة :

«فى جليل الأمم الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما» (أش ٩ : ١ و ٢) .

الإتمام :

« ولما سمع يسوع أن يوحنا أُسلم إنصرف إلى الجليل ومن ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٢ و ١٧) .

(١١) فى أنه يثبّت تعاليمه بمعجزات عظيمة :

النبوة :

« حينئذ تنفتح عيون العمى و آذان الصم تنفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ويترنم لسان الأخرس » (أش ٣٥ : ٥ و ٦ ، ٤٢ : ٧ ، ٢٢ : ٣ ، ٢٩ : ١٨) .

الإتمام :

« إذهبا وأخبرا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر فىّ » (مت ١١ : ٤ و ٥) .

(١٢) فى أن المسيح كان مزمعا أن يدخل أورشليم علانية ويُظهر غيرته ببيت الرب :

النبوة :

« إبتهجى جدا يا ابنة صهيون . إهتفى يا بنت أورشليم .

هوذا ملكك يأتى إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » (زك ٩ : ٩) . « غيرة بيتك أكلتنى » (مز ٦٩ : ١٢) .

الإتمام :

فى (مت ٢١ : ٧ - ١٠) عن دخوله أورشليم علانية . وتمت النبوة عن غيرته كما جاء فى (لو ١٠ : ٤٥) [وبالضرورة تشير تلك النبوة إلى المسيح ، لأن غيرة داود على بيت الله لم تكن إلا رمزا لغيرة المسيح] .

وهذه النبوة لا يحتمل توجيهها إلى زربابل ولا إلى ملك أو رئيس آخر نبغ بين اليهود من عهد زكريا إلى المسيح أو مسيا الملك المسوح . وقد أصر اليهود على هذا التفسير دون غيره . ومن أقوالهم فى هذا الشأن قول الحاخام يركى :" لا يمكن تفسير هذه النبوة من غير مسيا " . غير أنهم أنكروا تخصيصها بيسوع الناصرى ، ولكى يتخلصوا من وضوح صدقها عليه ، الأمر الذى تعذر عليهم إنكاره ، زعموا أن يسوع اجتهد عمدا أن يتصرف بمقتضى نص هذه النبوة ليحتج بأنه هو مسيا الموعود بصدقها عليه . قال الدكتور أولد اليهودى : " إن يسوع قد عرف هذه النبوة واجتهد فى أن يجعل أعماله مطابقة لها .

(١٣) فى أنه يكون فقيرا ومهانا :

النبوة :

« ومنصور وديع » (زك ٩ : ٩) « ومحتقر مخذول من الناس رجل أوجاع ومختبر الحزن وكَمُسَتَّرٍ عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به » (أش ٥٣ : ٣) .

الإتمام :

« وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » (لو ٩:٥٨)

« فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره » (٢ كو ٨ : ٩) .

(١٤) فى أن الرؤساء والملوك يجتمعون ضد المسيح ويشجبونه :

النبوة :

«قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه» (مز ٢ : ٢) .

الإتمام :

« إجتمع رؤساء الكهنة ومشايخ الشعب وتشاوروا ليمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه » (مت ٢٦ : ٣) « وبيلاطس أرسله إلى هيرودس . . . وهيرودس إستهزأ به وألبسه لباسا لامعا وردّه إلى بيلاطس ، فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما فى ذلك اليوم لأنهما كانا من قبل فى عداوة بينهما » (لو ٢٣:٧و١١و١٢) .

(١٥) فى أن أحد تلاميذه يبيعه بثلاثين من الفضة ثمن العبد الحقير ويُشترى بها حقل الفخارى ويموت شر ميتة ويتخذ وظيفته آخر :

النبوة :

«أيضا رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىّ عقبه» (مز ٤١ : ٩) « لأنه ليس عدو يعيّرنى فأحتمل . ليس مبغضى تعظّم علىّ فأختبئ منه . بل أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى . الذى معه كانت تحلو لنا العشرة . إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور » (مز ٥٥ : ١٢ - ١٤) « فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فاعطونى أجرتى وإلا فامتنعوا فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضة . فقال لى الرب ألقها إلى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به. فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب » (زك ١١ : ١٢ و ١٣) « ولتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر » (مز ١٠٩ : ٨) .

الإتمام :

راجع (لو ٢٢ : ٣ و ٤) عن يهوذا الذى أسلم المسيح و (مت ٢٦ : ١٤ و ١٥) وباعه بثلاثين من الفضة و (مت ٢٧ : ٣ و ٨) ثم ندم ورد الفضة فاشتُرِىَ بها حقل الفخارى، وفى (أع ١:١٥-إلخ) عن موته وإعطاء وظيفته لآخر .

(١٦) أنه سيتركه خواصه وتلاميذه كلهم ويهربون :

النبوة :

« صرت أجنبيا عند إخوتى وغريبا عند بنى أمى » (مز ٦٩ : ٨) « إنتظرت رقة فلم تكن ومعزين فلم أجد » (ع ٢٠) « فنظرت و لم يكن معين . و تحيرت إذ لم يكن عاضد » (أش ٦٣ : ٥) « أضرب الراعى فتتشتت الغنم » (زك ١٣ : ٧) .

الإتمام :

وقد تمت هذه النبوات ، فرذله شعبه اليهودى ، وتلاميذه تركوه فى إبان شدته (مت ٢٦ : ٥٧) .

(١٧) فى أنه يُشتكى عليه من شهود زور وأنه سيصمت عند محاكمته وأنه سيصلى من أجل قاتليه ويطلب أباه كإله له :

النبوة :

« شهود زور يقومون وعما لم أعلم يسألوننى » (مز ٣٥:١١) « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه » (أش ٥٣ : ٧) « بدل محبتى يخاصموننى أما أنا فصلاة » (مز ١٠٩ : ٤) « إلهى إلهى لماذا تركتنى » (مز ٢٢ : ١) .

الإتمام :

راجع متى ٢٦ ولوقا ٢٣ تجد إتمام ذلك كله .

(١٨) فى أنه سيموت مصلوبا ويحتمل أنواع آلام كثيرة من أجل خطايا العالم :

النبوة :

« لأنه قد أحاطت بى كلاب [أى الأمم الذين كان اليهود يدعونهم كلابا] . جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدىَّ و رجلىَّ . أحصى كل عظامى . و هم ينظرون و يتفرسون فىَّ » (مز ٢٢ : ١٦ و ١٧) « بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين . وجهى لم أستر عن العار والبصق » (أش ٥٠ : ٦) « وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . . . من الضُغْطَة ومن الدينونة أُخذ وفى جيله من كان يظن أنه قُطِعَ من أرض الأحياء أنه ضُرِب من أجل ذنب شعبى » (أش ٥٣ : ٥ و ٨) « لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يَقسِم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصِىَ مع أثمة وهو حمل خطيئة كثيرين وشَفِعَ فى المذنبين » (ع ١٢) .

الإتمام :

« الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضا وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل . الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط ٢ : ٢٣ و ٢٤) .

(١٩) فى أن يهزأ ويسخر به كثيرا :

النبوة :

« أحاطت بى ثيران كثيرة . أقوياء باشان اكتنفتنى . فغروا علىَّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر . كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاه و ينغضون الرأس قائلين : إتكل على الرب فلينجه . لينقذه لأنه سُرَّ به » (مز ٢٢ : ١٢ و ١٣ و ٧ و ٨) .

الإتمام :

« وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم . وكذلك رؤساء الكهنة أيضا وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا : خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلّصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به » (مت ٢٧ : ٣٩و٤١و٤٢) .

(٢٠) فى أنه يُسقى خلا ومرا على الصليب وأن ثيابه تُقسم وتُلقى قرعة على قميصه :

النبوة :

« و يجعلون فى طعامى علقما و فى عطشى يسقوننى خلا » (مز ٦٩ : ٢١) « يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون » (مز ٢٢ : ١٨) .

الإتمام :

راجع (لو ١٩ : ٢٩) عن سقى الخل له ، و (لو ١٩ : ٢٣ و ٢٤) عن اقتسام ثيابه والإقتراع عليها .

(٢١) فى أنه لا يكسر منه عظم بل يطعن جنبه بحربة :

النبوة :

« يحفظ جميع عظامه . واحد منها لا ينكسر » (مز ٢٤ : ٢٠) « فينظرون إلى الذى طعنوه » (زك ١٢ : ١٠) .

الإتمام :

« فأتى العسكر و كسروا ساقى الأول و الآخر المصلوب معه وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . لكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة و للوقت خرج دم و ماء » (يو ١٩ : ٣٢ - ٣٤) .

(٢٢) فى أنه يموت مع الخطاة ولكنه يدفن بالكرامة :

النبوة :

« وجُعل مع الأشرار قبره مع غنى عند موته » (أش ٥٣:٩).

الإتمام :

« حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار ووضع يوسف الرامى جسده فى قبره » (مت ٢٧:٣٨ و ٥٧-٦٠).

تعليق :

إن اليهود لما طال انتظارهم للمسيح ولم يأت ، ورأوا أنهم أمام نبوات صحيحة تتنبئ بمجئ المسيح وموته كفارة عن خطايا العالم ، وكان أقواها ما جاء عن آلامه بأشعياء ٥٢ و ٥٣ ، إدعوا يائسين أن نبوة أشعياء تشير إلى الأمة الإسرائيلية كأنها ممثلة فى شخص واحد هو عبد الرب كما فى (أش ٥٢ : ١٣) . نعم ، إن أشعياء عبّر فى بعض الأماكن عن إسرائيل بعبد الرب كقوله : « وأما أنت يا إسرائيل عبدى إلخ » (أش ٤١ : ٨) . ولكن النبوات عن المسيح تشير صريحا إليه مُمَيَّزا عن شعب إسرائيل فى قوله : « والآن قال الرب جابلى من البطن [ناسوتيا] عبدا له لإرجاع يعقوب إليه إلخ » (أش ٤٩ : ٥ - ٧) . فهذا يميز بين إسرائيل والمسيح بل يشير فى بقية الفصل إلى خلاص الأمم واليهود بواسطته وإلى تذلله وآلامه وكراهة الأمة الإسرائيلية له ، ثم انتصاره العجيب وانصياع ملوك الأمم ورؤساء الأرض له .

إن تأويل اليهود المعاصرين للنبوات عن المسيح بأنها على أمتهم لا يفيد فى تفسير آلام المسيح الإختيارية [لا إضطرارية التى احتملها اليهود] وعن حمل خطايا العالم كما جاء فى (أش ٥٣) ثم أن تاريخ المسيح يفسر نفس النبوة تفسيرا دقيقا ، بينما تاريخ إسرائيل يعارضها كل المعارضة .

قال أوريجانوس العلامة : " ونسائلكم الآن : هل ينطبق تفسيرهم هذا على القول « رجل أوجاع مختبر الحزن » أو على القول « وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا » ولمن قيل حقيقة « وبحبره شفينا » ؟ إذ يتضح من ذلك أنهم هم كانوا خطاة مع سواهم من سائر الأمم طبعا ، وقد شفوا من خطايهم « بحبر المسيح » التى قد رآها جميعها أشعياء مسوقا بالروح القدس .

ومما يكذب تفسير اليهود ذاك القول أنه « ضرب من أجل شعبى » لأنه إذا كان الشعب اليهودى هو المضروب بأجمعه ، فمن ذا الذى قيل فيه أنه « ضرب من أجل ذنبهم » أليس هو شخصا آخر غير ذلك الشعب ؟ ومن هو ذلك الشخص الآخر إلا يسوع المسيح الذى بجلدته يشق جميع الذين يؤمنون بإسمه حين « جرد الرياسات والسلاطين [التى كانت متسلطة علينا] أشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه [أى فى صليبه] » (كو ٢ : ١٥) .

ثم نأتى إلى ما يعترض على نبوة المزمور عن المسيح والتى من يقرأها يتصور أن النبى كان واقفا أمام الجلجثة يشهد صلب المسيح ويصفه كما حصل .

أ) قالوا :" لا دليل على أن الكاتب قصد الإشارة إلى المسيح " .
ولكن ، كيف نفسر الإتفاق الكامل بين كلمات النبوة وبين ما تم بالمسيح ؟ . بل إن المزمور يشير إلى المسيح بدليل قوله : إن الأمم سيؤمنون به كما تنبأ بقية أنبياء اليهود . ثم أن المزمور لا ينطبق على داود الكاتب ، فإلى من يشير إذن ؟ لا سيما والصلب الذى يقرر أنه الكيفية التى مات بها لم يكن معروفا عند اليهود فى عصر داود ، ولكنه يوافق عصر المسيح لما كانت اليهودية ولاية رومانية ، والصلب من ضمن أنواع العقاب فيها .
ثم أن المزمور يبين أن المصلوب لم يشعر بخطيئة ارتكبها ، وهذا لم يتفق لغير المسيح .

ب) يقولون أن الإشارة إلى النذور فى (ع ٢٥) لم تتم فى المسيح . ولكن النذور ليست فى هذا المزمور حرفية ، كما أن الوليمة المذكورة أيضا ليست حرفية . وأقرب حل لذلك هو أنه ما كان شائعا بين اليهود عند حلول المصائب أن ينذر المصاب بتقديم ذبيحة للرب بعد نجاته من ملمته ، ثم يقدمها بعد ذلك وليمة للفقراء .

حـ) أما القول بأن كتبة الأناجيل حاولوا تطبيق هذه النبوة فى المسيح دون أن يكون ذلك ، فقد ثبت بطلانه بإثبات كون الأناجيل صحيحة لا غبار عليها .

(٢٣) فى أنه يقوم من الموت ويصعد إلى السماء :

النبوة :

« لذلك فرح قلبى وابتهجت روحى . جسدى أيضا يسكن مطمئنا . لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا » (مز ١٦ : ٩ ، ١٠) « إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسله تطول أيامه » (أش ٥٣ : ١٠) « صعدت إلى العلاء . سبيت سبيا . قبلت عطايا بين الناس و أيضا المتمردين للسكن » (مز ٦٨ : ١٨) .

الإتمام :

« فأجاب الملاك وقال للمرأتين . . ليس هو ههنا لأنه قام كما قال » (مت ٢٨ : ٥ و ٦) .

(٢٤) فى أنه يرسل الروح المعزى :

النبوة :

« ويكون بعد ذلك أنى أسكب روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم » أنظر (يؤ ٢ : ٢٨) .

الإتمام :

أنظر كل هذه المواضع (أع ٢ : ١ إلى ٤ و ٤ : ٣١ و ٨ : ١٧ و ١٠ : ٤٤) و (يو ١١ : ١٥) .

ثانيا : فى النبوات التى تشير إلى وظائف المسيح :

(١) فى أنه يكون مشترعا أكثر من موسى :

النبوة :

« أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به بإسمى أنا أطالبه » (تث ١٨ : ١٨ و ١٩) « لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب » ((أش ٢ : ٣) .

الإتمام :

« فإن هذا قد حسب أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت » (عب ٣ : ٣) .

و اعترض الكفرة على نبوة موسى « يقيم لك الرب إلهك نبيا إلخ » بأنها تشير إلى طغمة الأنبياء عامة ، أى أن الله يقيم لهم أنبياء عند الإقتضاء . و هو قول باطل لأن لفظة [نبى] جاءت بصيغة المفرد . ثم أن النبى سيكون كموسى مشترعا ، و لم يقم نبى مثله بعده مطلقا كما جاء فى (تث ٣٤ : ١٠) فهذه النبوة لم تتم إلا فى المسيح ، وقد فهمها اليهود بنفس هذا المعنى فقالوا عن المسيح : « هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم » (يو ٦ : ١٤) و جاء فى التلمود : " إن المسيح لا بد أن يكون أعظم أنبياء المستقبل لأنه يكون الأقرب بالروح إلى سيدنا موسى " .

(٢) فى أنه يكون معلما يهذب الناس وينيرهم :

النبوة :

« الرب مسحنى لأبشر المساكين » (أش ٦١ : ١) « كل بنيك تلاميذ الرب » (أش ٥٤ : ١٣) « أفتح بمَثَلٍ فمى » (مز ٧٨ : ٢) « الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور » (أش ٩:٢) .

الإتمام :

« كرز ببشارة ملكوت الله » (مت ١ : ١٤) « و جال معلما » (مر ٦ : ٦) و (يو ٤ : ١٥ و ٤٤) « وعلم المساكين ببشارة الإنجيل » (مت ١١ : ١٥) « و تكلم بأمثال كثيرة » (مت ١٣ : ٤٣) « وجاء نورا للعالم » (يو ١٢ : ٤٦) .

(٣) أنه سيكون ممسوحا من الله :

النبوة :

« روح السيد الرب علىّ لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين » (أش ٦١ : ١) و المسيح قدوس القدوسين أى المسيح القائد (دا ٩ : ٢٤) رتب سراجا لمسيحى (مز ١٣٢ : ١٧) قام ملوك الأرض و تآمر الرؤساء معا على الرب و على مسيحه (مز ٢ : ٢) .

الإتمام :

« ونحن قد آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله » (لو ٦ : ٦٩) « أما يسوع فكان ساكتا . فأجاب رئيس الكهنة وقال له أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله . قال له يسوع أنت قلت » (مت ٢٦ : ٦٣ و ٦٤) .

(٤) أنه يكون كاهنا :

النبوة :

« أقسم الرب لن يندم . أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق » (مز ١١٠ : ٤) « فهو يبنى هيكل الرب وهو يحمل الجلال و يجلس و يتسلط على كرسيه و يكون كاهنا على كرسيه » (زك ٦ : ١٣) .

الإتمام :

«فإذ لنا رئيس كهنة عظيم . . يسوع ابن الله»(عب ٤:١٤).

(٥) أن المسيح يقدم نفسه لكى يلاشى الخطية ويصالح الناس مع الله ويبطل أعمال الشيطان :

النبوة :

« كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا . . أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن . إذ جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح . من تعب نفسه يرى ويشبع . وعبدى البار بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها » (أش ٥٣ : ٦ و ١٠ و ١١) « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الإثم وليؤتى بالبر الأبدى » (دا ٩ : ٢٤) « وهو [أى نسل المرأة و هو المسيح] يسحق رأسك [أى رأس الشيطان] » (تك ٣ : ١٥) .

الإتمام :

«الذى مات لأجل خطايانا وقام لأجل تبريرنا ويسحق الشيطان» (رو ١٦ : ٢٠) « واسلكوا فى المحبة كما أحبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه لأجلنا » (أف ٥ : ٢٢) .

(٦) أنه يكون مخلصا :

النبوة :

« ويأتى الفادى إلى صهيون وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب » (أش ٥٩ : ٢٠) « قولوا لإبنة صهيون هوذا مخلصك آت » (أش ٦٢ : ١١) .

الإتمام :

« و نشهد أن الآب قد أرسل الإبن مخلصا للعالم » (١ يو ٤ : ١٤) .

(٧) أنه سيكون وسيطا :

النبوة :

« قال الرب لربى اجلس عن يمينى » (مز ١:١١٠) « وأضئ بوجهك على مقدسك الخرب من أجل السيد .. إصغ واصنع لا تؤخر من أجل نفسك يا إلهى » (دا ٩ : ١٧ و ١٩) « ويكون مقدسا » (أش ٨ : ١٤) .

الإتمام :

« قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتى إلى الرب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) .

(٨) أنه يكون شفيعا :

النبوة :

« وشفيع فى المذنبين » (أش ٥٣ : ١٢) .

الإتمام :

« فمن ثم يقدر أن يخلص أيضا إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥) .

(٩) أنه يكون راعيا :

النبوة :

« كراع يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » (أش . ٤٠ : ١١) « وأقيم عليها راعيا واحدا فيرعاها عبدى داود » (مز ٣٤ : ٢٣) .

الإتمام :

« أما أنا فإنى الراعى الصالح وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى ولى خراف آخر [أى الأمم] ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضا فتسمع صوتى و تكون رعية واحدة و راع واحد » (يو ١٠ : ١٤ و ١٦) .

ثالثا : أنه سيكون ملكا وأعظم من سائر الملوك ورأس الكنيسة ومدبرها يرتفع خصوصا كملك بعد آلامه وقيامته :

(١) أنه يكون ملكا :

النبوة :

« أما أنا فقد مَسَحْتُ مَلكى على صهيون جبل قدسى » (مز ٢ : ٦) « أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه . من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » (مز ١٣٢:١١) « ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك و ينجح ويجرى حقا و عدلا فى الأرض فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنا وهذا هو إسمه الذى يدعونه به . الرب برنا » (أر ٢٣ : ٥ و ٦) « إبتهجى جدا يا إبنة صهيون إهتفى يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتى إليك » (زك ٩ : ٩) .

الإتمام :

« ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد » (لو ١ : ٣٢ و ٣٣) .

(٢) أنه سيكون من أعظم الملوك ورأس الكنيسة ومدبرها :

النبوة :

« أنا أيضا أجعله بكرا أعلى من ملوك الأرض .. وكرسيه كالشمس أمامى » (مز ٨٩ : ٢٧ و ٣٦) « و إذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء .. فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب و الأمم و الألسنة . سلطانه سلطان أبدى » (دا ٧ : ١٣ و ١٤) .

الإتمام :

« ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين البكر من الأموات ورئيس ملوك الأرض » (رؤ ١ : ٥) .

(٣) أنه يرتفع كملك خصوصا بعد آلامه وقيامته :

النبوة :

« أما أنا فقد مَسَحْتُ مَلِكى على صهيون جبل قدسى . إنى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى. أنت إبنى . أنا اليوم ولدتك » (مز ٢ : ٦ و ٧) « وتنقصه قليلا عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله » (مز ٨ : ٥) « إذ جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلا تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح .. أقسم له بين الأعزاء و مع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه » (أش ٥٣ : ١٠ و ١٢).

الإتمام :

« باحثين [أى الأنبياء] أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها » (١ بط ١ : ١١) .

رابعا : نتيجة عامة من كل ما تقدم : " **إن النبوات تدعو المسيح الذى تنبئ عنه إلها** " وذلك واضح من (مز ٢ : ٧) حيث يسميه

إبن الله ، وسماه أشعياء أى « الله معنا » (أش ٧ : ١٤) وأرميا يسميه « يهوه وبرنا » (أر ٢٣ : ٥ و ٦) ودانيال يدعوه « قديم الأيام » و أنه يعطى سلطانا و مجدا و ملكوتا لتتعبد له كل الشعوب و الأمم والألسنة . « سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » وميخا يقول : « ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (ص ٥ : ١ - ٥) وملاخى يقول عن يوحنا أنه رسول ليهئ طريق الرب ، أى المسيح . (ملا ٣ : ١ - ٤) .

قال أحد اللاهوتيين : " فينتج مما تقدم أن العهد القديم يصرح بإتيان شخص إلهى لابسا طبيعتنا البشرية ليخلص العالم . وأن ذلك الشخص يكون نسل المرأة ونسل إبراهيم ومن سبط يهوذا ومن بيت داود مولودا من عذراء ورجل أوجاع . وأنه جعل نفسه تقدمة لأجل الخطية . وأنه هو ملاك يهوه ويهوه وألوهيم والله والإله القدير الذى يعمل كل أعمال الله ويقبل عبادة الناس والملائكة نظير الله .

فيظهر مما تقدم ، وجود شخصين ممتازين لكل منهما صفات اللاهوت وخصائص شخصية تميز الواحد من الآخر ، مثل أن كل منهما يشاء ويعلم ويتكلم ، وأن أحدهما أرسل الآخر . ولنا دليل قاطع على أن ملاك العهد فى العهد القديم هو الذى أتى بعد يوحنا المعمدان أى أن ملاك العهد [وهو على الأرجح ملاك الرب المذكور فى العهد القديم] هو المسيح المذكور فى العهد الجديد. قال أشعياء :« صوت صارخ فى البرية . أعدوا طريق الرب قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا . . فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معا لأن فم الرب تكلم » . وقال ملاخى : « هأنذا أرسل ملاكى فيهئ الطريق أمامى ويأتى بغتة إلى هيكله السيد الذى تطلبونه وملاك العهد الذى تسرون به » . وإذا نظرنا إلى العهد الجديد ، رأينا أن الذى يعد الطريق هو يوحنا المعمدان ، وأن السيد الذى يأتى إلى هيكله هو المسيح . أنظر (أش ٤٠:٣) و (ملا ٣ : ١) و (مت ١١ : ١٠) و (مز ١ :٢) و (يو ٦ : ٧٦ و ٧ : ٧) .

الفصل الثاني

إعتراضات عامة على النبوات التى تشير إلى المسيح

+

(١) إعترضوا على تطبيق متى لبعض النبوات عن المسيح بأنها من قبيل التعسف ، كتأويله القول : « من مصر دعوت إبنى » عن المسيح ولم يكن يقصد بها إلا بنى إسرائيل . فنجيب : قد قسمت النبوات عن المسيح إلى قسمين : ١) نبوات شخصية ٢) نبوات رمزية . فمن النوع الأول ما سبق بيانه . أما النوع الثانى ، فهو نبوات تشير إلى أمرين ؛ تتم أولا تماما صريحا أو غير صريح بشخص أو حادثة فى تاريخ اليهود ، ثم تمت أو ستتم أكمل تمام بالمسيح وملكوته . ومن ذلك ما يصدق على داود باعتبار ما يصدق كل الصدق فى المسيح ، وكذا ما ذكر عن أمجاد سليمان لا سيما فى (مز ٧٢) ينطبق على المسيح كل الإنطباق . ففى ذلك المزمور عبارات لا يمكن أن تصدق على سليمان لسمو معناها ، بل على من يرمز إليه سليمان : « كل الأمم تتعبد له » فهذا لا ينطبق على سليمان إلا إذا كان رمزا إلى المسيح ، لأن إسنادها إلى سليمان من باب الغلو الفاحش ، وإسنادها إلى المسيح من باب الحقيقة . وهذ يفسر الإشكال الذى يقوم فى بعض النبوات التى تتكلم عن داود مثلا ، ثم تصفه بعبارات لا تنطبق عليه ، كما فى المزامير ٢ و ٢٢ و ٤٥ مثلا ، فإنه ينظر إلى داود كرمز المسيح . لذلك يقال عنه ما يقال عن المسيح ، لا سيما وقد عُرف أن داود سيكون أبا للمسيح بالجسد ، فلم يكن هناك مانع من أن يوجه إليه ما يُقصد به المسيح .

ففى مز ٢ يقول : « أعبدوا الرب بخوف .. قبلوا الإبن لئلا

يغضب .. طوبى لجميع المتكلين عليه » (مز ٢ : ١٠ - ١٢). وفى مز ٤٥ وصف بأنه أبرع جمالا من بنى البشر، وقيل : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور » ، ثم دعاه مسيحا وملكا مكرما و سماه بإسم الله العظيم (مز ٤٥). وفى مز ٢٢ ، بعد وصف إهانته وآلامه ، قال أن كل ممالك العالم تصير رعيته و كل قبائل الأرض تسجد قدامه . فكل هذا بلا ريب يشير إلى المسيح ، وإن كان يتداخل فيه أمر داود ، لأنه فى المزمور ١١٠ وصف ذلك المتنبأ عنه بأنه ليس بداود أو إبنه ، ولكنه ربه والجالس عن يمين الله ، حى توضع أعداؤه موطئا لقدميه .

قال أوريجانوس : " ثم نتأمل ونتمعن فى (مز ٤٥ : ٦) حين يسمى المسيح « بالله » ويقال له « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك » . ألا ترى النبى حينما يخاطب الله صريحا بالقول « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك » يشير إلى أن هذا الإله مُسح من إله هو إلهه ، وذلك لأنه أحب البر وأبغض الإثم أكثر من رفقائه ، فمن هو هذا غير المسيح ؟ " .

وقال أوريجانوس أيضا : " وإننى أتذكر أننى حينما واجهت أحد اليهود بهذا البرهان وضيقت عليه الخناق أجاب بقوله : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك » تُوجه إلى الله خالق كل الأشياء . والقول : « أحببت البر وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك » توجه إلى (المسيا) .

أما الذين يعترضون على النبوات الرمزية ، فيقولون إنه تعسف من المسيحيين أن يحاولوا تأييد دينهم بالمعنى البعيد . ولكن

المسيحيون يستندون أيضا إلى النبوات الصريحة ، وإلى أن تلك النبوات الرمزية تمت فعلا فى المسيح .

و من يتأمل ، يجد أن النبوات عن المسيح مرت فى أدوار ثلاثة ، و نمت فيها بالتدريج : الأول قبل عهد داود ، و أول بدايته : « أن نسل المرأة يسحق رأس الحية » والنبوة لا تبين إن كان نسل المرأة شخصا أم كان الجنس البشرى ، ومنها أن بنسل إبراهيم تتبارك قبائل الأرض ، ولا تصرح أيضا إن كان كل نسله أو واحد منه . ولكن يعقوب وموسى صرحا بأنه شخص معين . الثانى النبوات المتعلقة بداود بأن كرسى ملكه يثبت وسيكون موضوع رجاء الأمم . والثالث النبوات فى عصر الأنبياء ، وجاءت أصرح وأوضح ، فتكلم عنه الأنبياء كما تكلم عنه الإنجيليون تقريبا . و من هذا نعلم أن النبوة عن المسيح ، كان أول ظهورها من جنة عدن ضعيفا ، و ظلت تنمو حتى ماثلت الشمس التى تبدو بنور ضعيف ، ثم تشرق فتنير الأرض كلها .

ففى عصر الأنبياء ، لم يبق فيه ريب بأنه لا بد من مجئ مسيا المخلّص .

(٢) ونأتى هنا لدحض اعتراض آخر عن النبوات عن المسيح ، وهو :" لماذا لم يُتنبأ عن المسيح بكيفية صريحة لا تترك مجالا للتأويل ؟ " . ولكن غاب عن المعترض أنه لو وضعت النبوات بكيفية صريحة ، لكان إتمامها لا يأتى عفوا بل جبرا . ولم يكن يريد الله أن يجبر اليهود على صلب المسيح ، ولكنه تركهم لأهوائهم فصلبوه ، فتمموا مشيئته بشرّهم الذى يعاقبون عليه . ولو كانت النبوات صريحة ، لامتنع اليهود عند تحققهم شخص المسيح من أن يصلبوه . هذا ، وأن كثرة النبوات عن المسيح ، لا تترك مجالا للشك بأنها لا تشير إليه ، فإنه يمكننا أن نشك فى عشرة نبوات أو عشرين نبوة ، و لكن كيف

نرتاب وقد جاء العهد القديم يحمل بين طياته المسيح كما هو فى الأناجيل الأربعة ؟ .

قال العلامة أنس : " إن ما فى النبوة المسيحية من الإبهام قد تعين بحكمة الله لأسباب كافية ، والبشر لم يجبروا على تصديقها لأنهم أصحاب حرية أدبية وهم تحت الإمتحان ، وهى لم تعط لهم إلى درجة كافية لإقناعهم جبرا . و من تلك الأسباب أيضا :

١- عدم استعداد اليهود لاحتمال تلك المعرفة ، فلو أنبئوا بكلام صريح أن ديانتهم الطقسية تُلغى ويقوم مكانها نظام روحى أكثر منها ، لكان ذلك تجربة لهم وربما قادهم إلى التغافل عن ممارسة طقوس ديانة موسى ، فيخرجون عن طاعة يهوه ملكهم الحقيقى.
٢- وأيضا لو أنبئوا صريحا أن المسيح لا يأتى إلا بعد قرون كثيرة ، لخسروا بالكلية السند لحياتهم الدينية ، والتعزية فى الضيق ، والتشجيع على العبادة الروحية ، والإنتظار لجيل أطهر من الجيل الحالى ، وغير ذلك من الإحساسات الروحية التى كانت تنشأ فى المؤمنين فى الكنيسة القديمة وتنمو من عدم تعيين وقت مجئ المسيح .
٣- و ربما كان وضوح النبوة يمنع أحيانا إتمامها ، كما نستدل من قول الرسول : « لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد » (١ كو ٢:٨) أى لو عرف اليهود يقينا أن يسوع الناصرى هو المسيح بدون أن يخامرهم ريب فى ذلك ، لما طلبوا أن يميتوه البتة .

إن الله أراد أن يبلغنا إعلاناته السامية بالتدريج حتى تتأهل عقولنا لقبولها ، ولهذا أنشأ أولا على يد موسى نظاما ماديا بلغت فيه الأمور الدينية بواسطة حبه وقصده أن يعد البشر بذلك النظام الروحى الذى استعملت فيه الكلمات و الأمثال . لهذا انتخب الله شعب اليهود من بين كل الأمم لإعلان النظام المادى ثم النظام الروحى بعده . وقد يُعترض على اختيار شعب إسرائيل وحده ، ولكن لم

يكن ممكنا أن تُعد كل أمة على حدتها كما أعد بنو إسرائيل ، لأن ذلك يحرِّم على الناس الإجتهاد فى إفادة بعضهم بعضا . لهذا جاء المسيح أولا لليهود لأنهم هم الذين يفهمون شريعتهم التى تؤدى إليه ليبشر بالإنجيل فى كل العالم .

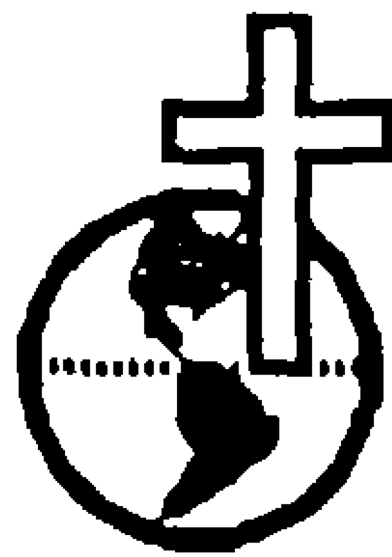
ولما جاء المسيح ختم عهد الناموس الموسوى ولم يبق لزوم لبقائه وذلك لعدم مناسبة بناء النظام القديم مع العهد الجديد .

قال بوسييه : " لم يبق و لا بقية من الأشوريين الأقدمين ولا من قدماء مادى وفارس واليونان والرومانيين. ذهبت آثارهم واختلطوا بغيرهم من الشعوب . أما اليهود ، مغلوبوهم ، فعاشوا بعدهم لترى ما يريد الله أن يفعله بهذه البقية من شعب كان أفضل الشعوب فى عينيه ، وتصلب قلوبهم قيض للأمم أن يجدوا الأسفار المقدسة التى تنبأت عن يسوع و أسراره فى أيد لا يرتاب فيها (خطاب فى التاريخ العام ، فصل ٦٠) .

قال باسكال : " إن تحقيق كل النبوات لهو آية مؤيدة ودليل على ألوهية الدين المسيحى مغن عن كل دليل " . وقال لاكوردير بعد إيراده النبوات الخاصة بحياة يهوذا : " حادثان متوافقان ومتوازيان وثابتان : أحدهما دام جيلين قبل المسيح ، والآخر قام منذ جيلين بعد المسيح . أحدهما ينبئ بانقلاب عظيم لا يمكن النظر إليه قبل و قوعه ، و الآخر يحقق هذا الإنقلاب . و لكلا الحادثين مبدأ وغاية وجامع بينهما وهو يسوع المسيح . فماذا ترون ؟ إن أنكرتم وجود مسيا ، فهو عند الشعب اليهودى الحى وفى تقليد الجنس البشرى العام وعند الكفرة أنفسهم ، وإن أنكرتم سلامة النبوات ، فشهادة من صلبوا يسوع . « إن الأسفار المقدسة لم ينل منها التغيير » وقد ترجمت إلى اليونانية ، فتداولتها أيدى اليونانيين والرومانيين وجميع العالم المتمدن من قبل يسوع المسيح بمائتين

وخمسين سنة ويزيد . وإن أنكرتم تحقق تصور مسيا ، فهوذا الكنيسة إبنة هذا التصوير لا سبيل إلى إنكارها . أتقولون أن يسوع لم يحقق فى شخصه تصور مسيا ؟ فليس يهوديا من قبيل يهوذا من بيت داود ولا من أبناء الكنيسة على أنقاض المجمع اليهودى و الدين الوثنى ، و لكن اليهودى و المسيحى مكذبان ما تدعون . فعلى يسوع المسيح مدار الماضى والمستقبل ، وهو فى أجداده مستندا إلى الشعب اليهودى ، أكبر أثر إجتماعى ودينى للأجيال السالفة . وفى ذريته إلى الكنيسة المسيحية ، أعظم عمل إجتماعى ودينى للأزمان الجديدة ، وهو أعظم من أجداده ، وذريته أعظم من الآباء والأنبياء والرسل والشهداء . ومن سيمائه ترى الله الذى لا ند له ولا نظير " (خطاب ٤١ ، عام ١٨٤٦م) .

وما يصدق على النبوات عن المدن والبلدان والشعب اليهودى ، يصدق أيضا على جميع النبوات المسيحية ، أى التى أنبأت عن مجد المسيح ونجاح ديانته وامتداد سلطانه ، لأنها قد ثبتت فى عصرنا إثباتا أكمل من إثباتها حين ابتدأ الرسل أن يكرزوا بالإنجيل ، وما أحسن قول الأسقف نيوتن فى هذا الشاأن و هو : " إن الله بجوده أعد لكل جيل بينة كافية على الحق ، فالمعجزات كانت أدلة عظيمة على صدق الإعلان الإلهى للأجيال المتأخرة الذين يشاهدون تمامها " .



الفصل الثالث

لماذا لا يقبل اليهود المسيح ؟

+

إن النبوات فى العهد القديم عن المسيح من أهم ما يقرر ألوهية رسالته . وعبثا حاول المعطلون إنكار قوتها ، لأن اليهود أنفسهم فسروها بأنها تعنى إتيان مسيح . أما كونهم رفضوا المسيح ، فذلك لا لأن النبوات لا تنطبق عليه ، بل لأنه لم يأت كما كانوا يشهدون بعدما فسدت آراؤهم وانحطت روحانيتهم ، فقد فسروا آيات الأنبياء عن المسيح حسب أغراضهم، حتى صاروا ينتظرون شخصا أخلاقه تخالف ، بل تنافى ، أخلاق المسيح حسب ما قيل عنه فى النبوات ، وكان اليهود حينئذ فى حالة حملتهم على انتظار مجئ المسيح بتلك الصورة ، وذلك أنهم كانوا محطمين تحت النير الرومانى ومحتقرين من الشعوب ، لم يكن لهم من سلوى فى ذلك إلا مجدهم القديم ، ولما وُعدوا بالمسيح ، إنتظروه مخلصا لشعبهم خلاصا جسديا لا روحيا ، لأن الروحانية كانت قد تلاشت منهم ، و اشتدت بهم محبة العالم .

(١) إن أهم سـبب دعا اليهود إلى عدم قبول المسيح ، قد أوضحه العلامة ثمانى فى قوله : " إن اليهود ، الملتصقة أرواحهم بقذارات المادة ، بعد أن سُحقت نفوسهم باضطهادات الغرباء ، وهم ممتلئون من الضغينة والأفكار الشريرة ، لم يكونوا ليقبلوا مسيحا كما جاء يسوع فقيرا وضعيفا محتقرا ذليلا . بل كانوا ، ما خلا نفرا منهم من ذوى البصيرة النيّرة ، والأنبياء ، يحلمون بمسيا أرضى يكون ملكا مدرعا مسلحا وداود ثانيا ومحاربا جبارا وسفاكا للدماء لكى يهرق دماء أعدائه . يحلمون بمسيا ذى ثروة يستطيع بها بناء قصر سليمان

وهيكل سليمان . كانوا يحلمون بأن يشاهدوا ملكا جبارا تخر على أقدامه جميع ملوك الأرض مقدمين له الجزية وهم صاغرون ، الجزية المؤلفة من الذهب الخالص والفضة النقية وليس من المحبة والإحترام .
وكان يخيل إليهم أن هذا الملك الأرضى سينتقم لإسرائيل من أعدائهم الذين خربوا بلادهم وأتعسوا حياتهم واستعبدوهم فى أرض آبائهم وأجدادهم ، وأن العبيد سيصيرون أسيادا فى مملكته ، والأسياد سيصيرون عبيدا ، وأن أورشليم ستكون كعبة العالم كله ، وأن ملوك الأرض سيخلعون تيجانهم ساجدين أمام ملك إسرائيل ، وأن حقول إسرائيل ستصير أوفر خصبا من سائر حقول المعمورة ، ومراعيهم ستكون أنضر وأكثر من كل مراعى العالم ، وقطعانهم ومواشيهم تنمو إلى ما لا نهاية له ، والحنطة والشعير وسائر الحبوب تنبت وتحصد مرتين فى العام ، وسنابل القمح تثقل أكثر من ذى قبل بضعفين ، وتعطى الكرمة عنبا لم تنظر العين مثله فيما مضى من الأزمنة ، حتى أن رجلين قويين يقدران بالجهد على حمل عنقود واحد منه ، ويكثر الخمر حتى لا يبقى للناس أين يضعون نتاج كرمتهم ، ولا أين يضعون الزيت والزيتون ، ويكثر العسل حتى يجده الإنسان فى شقوق الأشجار وزوايا الشوارع والجدران ، وتتكسر أغصان الأشجار من ثقل الأثمار اللذيذة الطعم الجميلة المنظر التى لم ير الإنسان ثمرة مثلها منذ أضاع فردوسه الأول .

إن خطأ اليهود قام من أنهم نظروا إلى المسيح كرسول أمتهم فقط ، ودفعتهم الأنانية إلى تصوره مخلصا عالميا وملكا دنيويا .
وهذا جعلهم يلتفتون إلى ما قيل بشأن مجده ، ولا يلتفتون إلى ما قيل فى آلامه ، حتى أن بعضهم توهم مجئ مسيحين : واحد متألم والآخر متمجد . وجُذبت قلوبهم إلى المسيح المتمجد ، فتغاضوا كل التغاضى عن المسيح المتألم ، حتى ارتسمت أمامهم بحروف بارزة نبوات المجد ، واحتجبت أمامهم كلية نبوات الآلام . ولكنهم أخطأوا ، لأنه لا يمكن الفصل بين النبوات التى تشير إلى مجد المسيح ، و تلك

التى تشير إلى آلامه . فالنبوة فى (أش ٥٣) تتكلم عن شخص واحد ، تقول عنه مرة : « محتقر ومرذول من الناس » ، وتقول عنه مرة أخرى : « وأن مسرة الرب بيده تنجح » . وهذا يفسره تاريخ المسيح تفسيرا صحيحا لأنه هو الذى احتُقر ، وهو الذى نجح .

نعم ، لو كنا عائشين فى عصر اليهود ، ووقفنا على النبوة بآلام المسيح والنبوة بمجده ، لتحيرنا مثلهم . ولكن الآن ، وقد ظهر المسيح و رأيناه متألما و ممجدا ، فإنه لا يوجد مكان للحيرة . قال أحدهم : " إننا بمعرفة آلام يسوع ونجاح ديانته ، نتمكن من تفسير النبوات عن كلا الأمرين ، وإيضاح ما كان مبهما ، وبيان كل ما كان غامضا ، وإقامة الدليل الراهن على أن يسوع هو المسيح . وهذا هو العجب أن مجده يتلألأ فى آلامه ، لأنه لما كانت تلك الآلام كفارة عن خطايا العالم ، آلت إلى الإرتفاع فى شأن ذلك المجد ، و صار الصليب ، أداة الآم ، واسطة الغلبة ، وتحول إكليل العار إلى إكليل الكرامة . وعلى ذلك نقدر أن نجاوب الخصى الحبشى على سؤاله عن من يقول النبى هذا ؛ عن نفسه أم عن واحد آخر ، على تعيين أن النبى يقول عن يسوع : ربنا الذى مات من أجل خطايانا ، وقال : لأجل تبريرنا . المسيح المتألم والمتمجد معا الذى مع العظماء يقسم غنيمة من أجل أنه سكب للموت نفسه " .

(٢) على أنه لو ظهر بينهم كما فسروا ، و حسبما كانوا منتظرين ، لكان خادعا مضللا لا يقوى على تطهير البشرية من الخطيئة العظمى ، لأنهم كانوا يريدونه طامعا متسلطا متجبرا مخضعا كل قوى الحياة لإرادته الدنيا ولشهواته الكثيرة المطامع مشبعا نفسه ومؤثرا إياها . ولم يزل هذا اعتقادهم ، بل لا يزال هذا انتظارهم حتى اليوم . فإذا جاء شخص من قبَلِ الله ليهئ للناس شريعة كاملة ، لا يمكن أن يكون حسب أهوائهم و وفق إرادتهم ، و لا يمكن أن يتمم قصد الله

طالما كان يسايرهم . وإذا جاء منافقا ، فإنه يسير على رأيهم ولا تكون له رسالة سماوية ، وعلى ذلك فهم ينتظرون ذلك المخادع الذى يدعى لنفسه ما ليس لها .

فرفْض اليهود للمسيح من هذا الوجه ، أقوى برهان على صدق رسالته ، لأنه لو كان شخصا غير إلهى يريد فقط التسلط أو نشر مبدأ على سبيل الشهوة ، لوافق اليهود على رأيهم فى المسيح ، فجاء كما ينتظرونه ليسود بهم . ولكن انتهاجه خطة تخالف خطتهم ، وقبوله التضحية فى سبيل نشر مبادئه ، مما يدل على أنه لم يكن مشعوذا ، لأنه لو كان كذلك ، ما كان أسهل عليه من أن يساير اليهود ، فينال مآربه .

(٣) إن يسوع وصف ملكوته بأنه ضد ملكوت الشيطان ، و أنه أتى ليؤسس ملكا جديدا عماده الفضِيلة والمحبة مقابل الملكوت الأرضى الذى تسود فيه المادة والرذيلة ، وكان لائقا برب السماء الذى خلق الإنسان للسماء ، أن يحوله عن الإرتطام بأوحال المادة ، لينقله من الحيوية إلى الإنسانية .

فيسوع أخبر اليهود أنه هو المسيح ، لكن مملكته ليست من هذا العالم ، وهو لا يصدّق على العظمة والفخفخة اللتين كانوا غارقين فيهما ، بل أنه يملك على قلوبَ البشر ، ويسر بالقلب المتخشع المتواضع . فخالف بأفكاره كل أفكارهم ومنتظراتهم ، بل إن قيامه ضد الفكرة اليهودية المؤسسة على مجئ المسيح ليسود بهم العالم ، ومقاومته مثل هذه العقيدة الراسخة ، وإحباط هاتيك الآمال المقدسة ، ونزع المميزات بين اليهود والأمم ، وحسبانهم جميعا متساوين بغير فارق . كل هذا يُبدى شجاعة فائقة لو لم يكن المسيح إلها ما استطاعها .

(٤) توبيخه لهم على ريائهم . فلم يكن زعيما دنياويا همه الوحيد أن يكثر أنصاره ويزيد حوله المتشيعون له . بل كان كالواقف بنفسه ، لا يريد أن يُستند فى تأييده إلى أية قوة عالمية ، ينظر إلى أولئك المدعين المرائين ويلهبهم بسياط التوبيخ ، وكشف خفياتهم أمام الملأ ، وشبّههم بالقبور المبيضة التى تتبين من الظاهر حسنة ومن الداخل مملوءة عظام أموات وكل نتانة . وهذا طبعا لم يكن يلائم أغراض اليهود ، ولا سيما أغنياؤهم وكهنتهم الذين رأوا فى المسيح قوة عظيمة لتحطيم سلطتهم وكسر شوكتهم . ورأوا أنه طالما كان ساعيا فى سبيله هذا ، فلا بد أن ينتهى به الأمر إلى إزالة هيبتهم فى أعين الجمهور . فلهذا استعدوا جهدهم فى مقاومة وإنكار رسالته ، واتهامه بكل التهم لكى يضعفوا من شأن عجائبه التى كان يتأثر بها الشعب ؛ قالوا أنه صنعها فى يوم السبت ، ولم يتركوا فرصة ليضعفوا شأن إرسال المسيح من أبيه السماوى إلا وانتهزوها ، وهذا كله خوفا على سلطتهم ، لأنه كان شديد الوطأة على مدعاآتهم ، ولم تلن له قناة فى التأنيب والتبكيت .

(٥) أنه لو أتى جهارا إلى أورشليم ، وأقنعهم بأنه مسيا المنتظر ، و صنع من العجائب ما لا يترك مجالا للشك فيه ، إذن لقام اليهود ثائرين على الدولة الرومانية ، ثم نصّبوه ملكا عليهم. على أنه ، له المجد، لم يأت للملك والمجد والثورة ، بل لم تكن عجائبه الكثيرة التى صنعها والتى أقنعتهم على أهواء العظماء منهم كى لا تنصرف أفكارهم إليه فيحدثون اضطرابا فى نظام الحكم وفوضى فى أحوال البلد السياسية . إذا كانت عجائبه ترمى إلى إقناعهم بأنه مسيا ، وإذن هم لا يريدون الإعتراف بهذا ، لا لأنه لا يوافق أهواءهم ومشيئتهم ، وهذه هى الخطة الوحيدة التى كان المسيح يسير عليها بين اليهود ، إذ لا يمكن تغييرها لما كان عليه اليهود وقتذاك من القوة والنفوذ . وخلاصة الأمر أنه لو وافق المسيح أهواءهم وسار على ما ينتظرونه ، لكانت عليه ثلاثة أدلة أنه ليس من الله : الأول لأن

انتظارهم كان موافقا لأغراضهم النفسية وتعصبهم الأعمى . الثانى لو وافق انتظارهم لكان مصلحا على غير إرادة الله ومشيئته . والثالث لم يكن ممكنا أن يكون حسب انتظارهم ويكمل نبوءات الكتاب ، وأما إذا تم ما كتبه عنه الأنبياء وسار فى الطريق اللائق به ، فلا بد أن يرفضه اليهود . و النتيجة أن يسوع المسيح هو مسيا المرسل من الله ، لأنه سار سيرة تغاير أفكارهم الدنيا وتجعلهم يمقتونه ويرفضونه ، بل ويغالون فى هذا المقت وهذه البغضاء ، وأن المخاتل والمخادع لا ينهج ذلك المنهج على الإطلاق .

وقد وصف أوريجانوس حال اليهود أوفى وصف فى قوله :

والواقع أن كثيرين يقودهم العناد إلى الإضرار بأنفسهم وحرمان ذواتهم من أشياء ثمينة ، لا لسبب إلا أنهم ليسوا من رأى جالبيها ، وأنهم فى كبرياء نفوسهم يفضلون الموت جوعا عن تناول فضلات الغير ممن يعدّونهم أقل منهم علما أو أدنى مقاما أو غير ذلك . وهذا بالضبط ما حدث لليهود ، فإنهم مع علمهم التام بأن المسيح يأتى من بيت لحم كما أنبأ أنبياؤهم ، أغمضوا عيونهم عن تلك النبوة ولم يقيموا لها وزنا ، ولا اعتدّوا بأعمال المسيح العظيمة الفائقة .

والحال أن بعض الناس ينجحون فى الإقلاع بما ألفوه من العادات بسهولة ، وأنهم لا يقتبسون عما اعتبره وتعصبوا له من الآراء ، ولو كان فى عنادهم هلاكهم المحقق . وتلك حال نفسية مدركة فى كثيرين من الناس حتى فى عصرنا هذا [عصر أوريجانوس] . ألا ترى المصرى متعصبا لأصنامه وحيواناته المقدسة تعصبا لا يجدى معه البرهان العقلى مهما كان مقنعا ، لأن ما وجد عليه آباؤه قد تأصل فى ذهنه بحيث أصبح عقيدة يعسر اقتلاعها إلا بقوة سماوية .

غير أن من يتحرى عن الحقيقة ، يجد أن اليهود ، قبل ظهور المسيح ، كانوا يعتقدون أن أوان ظهوره قد دنا ، ولذا رأى رؤساء

الكهنة و الكتبة أن يرسلوا ليوحنا يسألونه أهو المسيح المنتظر أم غيره ، وإن كان ليس هو ، فما باله يعمد كأنه المسيح (يو ١ : ١٩ - ٢٦) ثم سألوا المسيح نفسه هكذا (يو ١٠ : ٢٤) وقد دلوا المجوس على مكان مولد المسيح (مت ٢ : ٤ و ٥) و قالوا بلا تردد أنه ابن داود (مت ٢٢ : ٤٢ و ٦٣) بل أن كثيرين شرعوا ، لمعرفتهم بقرب وقت مجئ المسيح ، و ادعوا أنه هو (أع ٥ : ٣٦ و ٣٧) .

ثم أتقياءهم الذين كانوا ينتظرون المسيح والذين كانوا خالين من الأغراض الباطلة ، آمنوا بالمسيح حالما رأوه ، كسمعان الشيخ وحنة بنت فنوئيل و زكريا الكاهن (لو ١ و ٢) وكثيرون غيرهم يقول الرسول بولس أن عددهم بلغ الخمسمائة (١ كو ١٥ : ٦) وببشارة الرسل آمن ألوف منهم فى كل بلد كما جاء فى سفر أعمال الرسل .

ثم أن الربانيين اليهود أيدوا هذه الحقيقة وإن كانوا لا يدرون . ففى كتابهم المثنى : ١٥ يقولون : " إن حالة اليهود عند مجئ المسيح تكون حرجة كثيرة الشدائد " . وفى التلمود أن إيليا سيظهر وقت مجئ المسيح ، ثم أن المسيح سيملك على أعدائه ، و هذا تم فعلا ، فوقت مجئ المسيح كان اليهود مستعبدين للرومانيين ، وإيليا هو يوحنا المعمدان ، ولكنهم أخطأوا التفسير ، وملك المسيح على أعدائه بمعنى روحى كما قال الملاك لأمه (لو ١ : ٢٢ و ٢٣) .

ثم أن الربانيين يوناثان بن عزئيل وأبانه فى الترغوم الكلواتى فسرا قول زكريا ٩ : ٩ « إبتهجى يا إبنة صهيون . هوذا ملكك يأتى إليك » و قول أشعياء ٢٦ : ٩ « لأنه حينما تكون أحكامك فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل » و نشيد ١ : ٤ « إجذبنى وراءك فنجرى . . . نبتهج و نفرح بك » بأنها تشير إلى المسيح الذى

به يتم فرح أورشليم ، لأن إله إسرائيل يسكن عيانا على جبل صهيون ، ليس بمرسليه الأنبياء فقط ، بل بشخصه الكريم .

ويفسر ربى يوناثان أشعياء ٣٠ : ٢٠ « لا سختبئ معلموك بعد بل تكون عيناك تريان معلميك » بأن معناها « أن عينيك تريان لاهوت المسيح » وكذا فسرها ربى صموئيل بن يرحى وصاحب كتاب السفر .

وصاحب كتاب مدرش كوهلت يقول فى تفسير الجامعة : " إذ جاء المسيح يثبّت الله القدوس عرشه بين الأبرار ويُظهر لهم كلمة حكمته المحجوبة منهم سابقا فيوحيها من فيهم إلى معلميهم " . وقال ربى هدرشان فى تفسير التكوين : " إن اسم الله الكريم « يهوه » المذكور هنا إنما هو « إسم الملك المسيح » . وهذا يدعو للعجب لأن الربانيين كانوا يعظمون إسم « يهوه » بدرجة أنهم لم يكونوا ينطقونه بل يغيرونه بإسم « أدونى » أى « رب » . وصاحب كتاب مدرش تهيليم فى تفسير أرميا ٢٣ : ٦ « الرب برنا » يقول : " يتضح من هذه الآية أن الرب أعطى إسمه الكريم « يهوه » للمسيح ، لأن كلام أرميا هنا إنما هو عن ملك المسيح " .

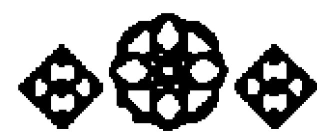
ثم أن الأنبياء الذين تنبأوا عن مجئ المسيح ، تنبأوا أيضا عن نكران اليهود له وعدم إيمانهم به كما قال ملاخى (١ : ١٠) « ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يديكم » وقال على لسان هوشع : « سأدعو الذى ليس شعبى شعبى والتى ليست محبوبة محبوبة » (رو ٩ : ٢٥) راجع (هو ٢ : ٢٣) .

هذا ، و من يراجع أقوال يوسيفوس المؤرخ اليهودى عن يهود عصر المسيح ، يجد أنهم كانوا أشرارا للغاية وقد انحط كهنتهم انحطاطا عظيما يتحتم معه أن لا تقبل مفاسدهم تعاليم المسيح المقدسة الطاهرة .

والبراهين أيضا بأن اليهود ما زالوا مصرين على عدم الإيمان بالمسيح بالرغم من أدلة المسيحيين القوية على صدق دينهم ، والجواب هو أن الأسباب التى دعتهم إلى عدم الإيمان قديما ، هى الأسباب التى تحملهم إليه الآن ، لأنهم ما زالوا أنانيين يعتقدون أن الله لهم وحدهم ، وأن النبى الآتى سيكون خاصا بهم وأنه سيعيد إليهم مجدهم العالمى . ومتى كانت هذه الآمال الباطلة راسخة فى نفوسهم ، فإنهم لا يستطيعون أن يؤمنوا بمسيح الملكوت السماوى ، وتوحيد الجنس البشرى إلى أمة واحدة .

ونقول أيضا أن عدم إيمان اليهود هو بالحقيقة دليل على صدق الديانة المسيحية لا على بطلانها . قال باسكال : " إن كفر اليهود هو من أسس إيماننا الصحيحة . ومن الغريب جدا أن نفس الشعب الذى هو أشد تمسكا بالنبوات ، وأكثر اعتبارا ومحبة لها ، يكون أشد إنكارا لتمامها ، وألد الأعداء وأعنف المقاومين لمعتقدى ذلك ، وأن إنكارهم وعداوتهم ومقاومتهم تكون هى نفسها من أعظم النبوات ". وهو يشير إلى أن مضادتهم لذلك لم تحدث بدون أن تعلم قبلا أن أنبياءهم أنبأوا عن عدم إيمانهم ، وكذلك الرب يسوع ورسله . وبالحقيقة أن اليهود هم عجيبة ثابتة على صدق الديانة المسيحية ، ونبوة منظورة يقدر الجميع أن يروها ويتعزوا بها .

أما الذين ينادون ببطلان الديانة اليهودية من أساسها ، وأنها لا تصح أن تكون شاهدا لصحة الدين المسيحى ، فنسألهم : من ذا الذى استطاع ، وهو مخادع كاذب ، أن يتنبأ عن المسيح قبل مجيئه بأجيال عديدة ، وكيف توفق بين النبوءات اليهودية عن المسيح وإتمامها العجيب فى شخصه السامى ؟ والتوراة كانت بيد اليهود ، وهم الذين كانوا حفّاظا عليها منذ القديم ، وليس لأحد أن يقول أنها من اختراع المسيحيين .



الفصل الرابع

إنتظار الأمم للمسيح

+

(١) الهند : و فى الهند و فارس اللذين يقال أن بلادهما فى موقع جنـــة عدن ، حيث كان الوحى الأول محفوظا . فى تقاليدهم الإعتقاد بمجئ مخلص العالم . ففى الهند ، كانوا يزعمون أن حية تدعى شين كاليوغ نفثت سمها الزعاف فسممت الأرض وأهلكت سكانها ، فنزل إله من السماء إسمه شيفين ، ولبس جسما بشريا وامتص السم ، فنجا العالمون بفضله . ومن خرافاتهم المنبئة بانتظارهم لمولود مخلص العالم قولهم عن إلههم فشنوا القوة الثانية ، تقمص ثمانى مرات لينفى الشرور التى عمت المخلوقات بفعل سيد عدو البشر ، ثم تجسد فى المرة التاسعة واتخذ شكل إنسان ليعمل عمل السلام على الأرض . وكان من أعظم ذبائح الهنود ذبيحة يدعونها أكيام ، ويقدمون فيها لآلهتهم حملا للتكفير عن الذنوب ، وكانوا يتلون فى هذه التقدمة صلاة من ضمنها قولهم : " متى يا ترى يولد المخلص المنتظر ؟ متى يأتى الفادى لينقذنا ؟ " .

(٢) الفرس : أما الفرس فتنحصر خرافتهم فى نزاع قام بين النور والظلام ، بين عنصرى الخير والشر ، بين " اهريمان " الذى تسلط بشروره على الأرض و بين " ارموزد " اله الخير الذى تقمص فى جسد إنسان دعى " متراس " وانتصر على الشر وخلّص الإنسانية وأعاد إليها السلام . وذكر ابن العبزى فى كتاب " مختصر الدول " عن زرادشت مشترع الفرس :

" فى هذا الزمان، كان زرادشت معلم المجوسية ، وأصله من بلد أزربيجان وقيل من بلاد أشور ، وقيل أنه من تلاميذ إيليا النبى ، وهو عرّف الفرس بظهور السيد المسيح وأمرهم بحمل القرابين إليه ، وأخبرهم أن فى آخر الزمان بكرا تحبل بجنين من غير أن يمسها رجل ، وعند ولادته يظهر كوكب يضئ بالنهار وتُرى فى وسطه صورة عذراء. وأنتم يا أولادى قبل كل الأمم تحسون بظهوره، فإذا شاهدتم الكوكب، إمضوا حيث يهديكم واسجدوا لذلك المولود وقدموا قرابينكم ، فهو الكلمة مقيمة فى السماء " .

(٣) الصين : و مثلهم الصين ، فإن كونفوشيوس مشترعهم صرّح غير مرة بمعتقده بمخلص يقوم ليرشد العالم . قال فى أحد كتبه المدعو بالوسط غير المتغير [١] : " سمعت أن فى الجهات الغربية من آسيا ، سيظهر رجل صالح يعمل أعمالا عجيبة لأنه مرسل من السماء ، ويكون له السلطان على كل الأرض ، وهو يباشر من المبرات ما لا يحصى عدا، أما إسمه فلا يستطاع أن يُفَوّه به ، وأنا كونفوشيوس قد بلغنى أنه القدوس الحق " . وقال فى كتابه تشونغ برنغ : " سوف يقدم أمير حكيم عالم بسنن السماء وأحكام الإله جامع فى شخصه كل الكمالات والفضائل ، فتعنو له كل الأمم والقبائل حتى أبعدها حدودا وأعرقها فى الهمجية ، لأن حكمته واسعة لا يسبر غورها ولا ينفذ معينها ". وسبق كونفوشيوس فيلسوف صينى آخر يدعى ماتينوس ، ذكر المخلص المنتظر المرسل من السماء كما تنتظر الأرض اليابسة الندى والمطر لتنتعش بهما .

وكان لأهل الصين صورة تدل على ذلك النعيم الرمزى، فيجعلون القماطة فى حجر امرأة ، دلالة على أن المولود المنتظر سوف يولد من امرأة ، وإن كان أصله من السماء .

---

(١) ترجمة إبل رموزات ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) مصر : وكذا نجد أصلا لسر التجسد فى وثنية المصريين، فإن أزوريس وإيزيس يمثلان القوتين الفاعلة والمفتعلة ، وأن روح الشر المتمثل بهيئة التنين ملأ تيفوسه الأرض بالشرور ، فلكى تضع الآلهة حدا لهذه المفاسد ، ولد لإيزيس من جيوبتر طفل يسمى " أورروس " فسحق التنين ، وخلّص الجنس البشرى وأعاد إليه السلام .

(٥) اليونان : و كل من يطلع على عقيدتها القديمة ويشعر بوصيتها ، لا شك يعلم أنه وجد من يدعى بروميه الذى تكبر وأراد أن يساوى نفسه بالآلهة ، فأرسلت له عقابا يعذبه على جبال القوقاز ، فشفقت اليونان عليه وأرسلت له هرقل مخلصا فلم يفلح . قال أشيل :" الإله وحده هو الذى يأتى ويفتدى هذا اليائس " .

ويظهر من المحاورة الآتية أن أفلاطون إعتقد أن الإنسان لا يقدر أن يعلم حقيقة الآلهة ولا الطريق المناسبة للعبادة ، ما لم يأت معلم من السماء يعلمه ذلك . وهذه المحاورة كانت بين سقراط وألبيادس :

قال سقراط : إن الصبر أجمل ، وعليك أن تصطبر حتى يأتى من يعلمك واجباتك للآلهة والبشر .

قال ألبيادس : متى يأتى ذلك الوقت يا سقراط ، ومن يعلمنى فإنى أود أكثر أن أراه من هو ؟

قال سقراط : إنه ليهتم بك . ولكن ، ألا ترى أن هوميروس قال عن مترفا أنها نزعت الظلمة عن عينى ديوميدس لكى يميز الإله من الإنسان . فكذلك على هذا الإله أن ينزع أولا الظلمة عن عقلك ، ويقرب إليه الأمور التى تجعلك تميز الخير والشر .

قال ألبيادس : ينزع الظلمة وكل ما يريد أن ينزعه منى ، وأيا كان هذا الشخص ، فإنى مستعد أن لا أخالف له قولا إذا كان فى وسعه أن يجعلنى أفضل مما أنا .

وقال أفلاطون : " ليس لنا أن نعرف الحقائق إلا من الآلهة أو من أبناء الآلهة ، ولا وسيلة لمعرفة إرادة الآلهة إلا بنبى يعلنها لنا " . وقال أيضا : " واحد هو الإله العلى فى العلا الذى كلمته غير المحسوسة حبلت بها جارية . وهذا مثل الفأس المتروسة بالنار ، وسلك فى أحشائها ، و يدخر للعالم و يقربه لأبيه قربانا ، وإ سم الجارية العذراء " . ومن قوله : " إن العلى الأعلى يظهر فى الأرض ، ويقيم الموتى ، ويظهر آياته الربانية ، ويرجع إلى عرشه الرهيب ، ولا يعودون يرونه إلى يوم الحكم العظيم " .

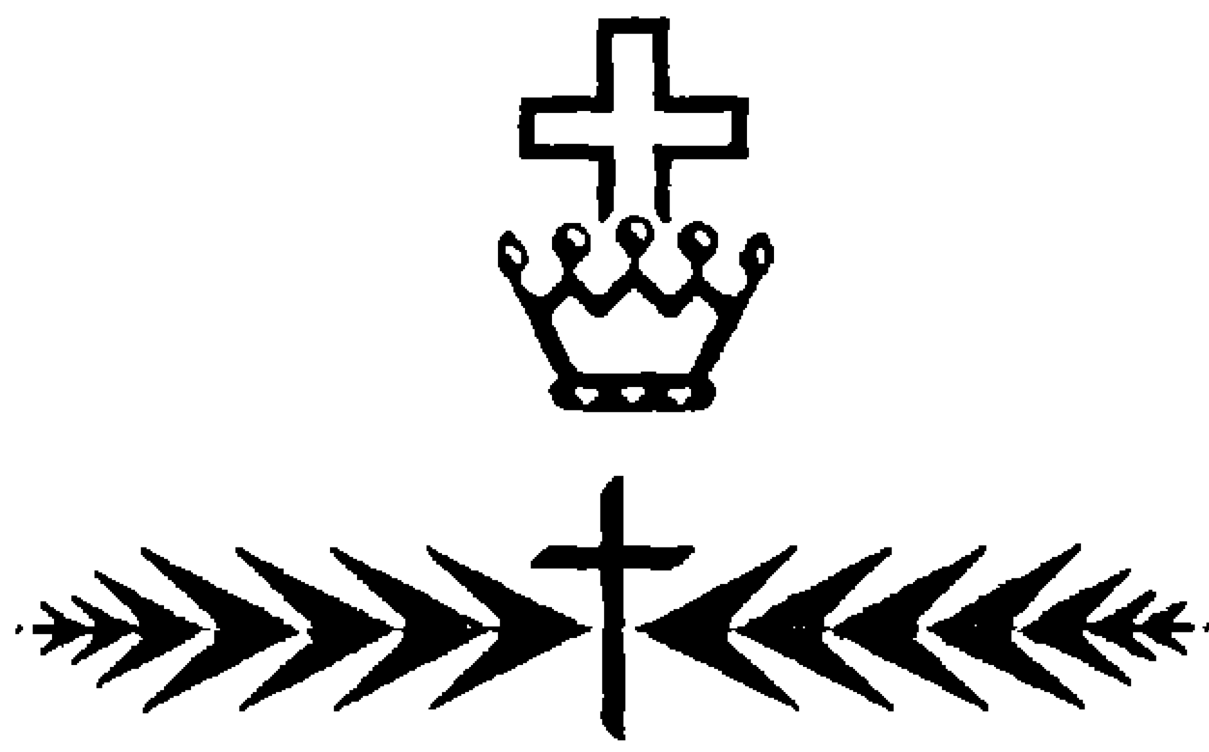
وقال أرسطو فى كتابه المسمى الكنوز : " إن كنزالحياة عندى أدوناى الإله الذى يظهر فى المسكونة أجمع ، ويسمع صوته الذين فى القبور ويقومون " .

(٦) الرومان : و كذا نجد هذه العقيدة عينها عند الرومانيين ، ولأنها كانت أمة حروب وفتوحات ، فآمنت بمجئ إنسان يسود على العالم ويخضعه لسلطانه . ولقد تساءل أكبر خطبائها شيشرون : " من هو هذا الإنسان ومتى يجئ ؟ " . وقال الشاعر الخالد فرجيل فى أنشودته الرابعة : " سترى الإنسانية جيلا جديدا بولادة طفل ينزل من السماء وينتسب إلى الآلهة " . وقال سونيون فى ترجمة القيصر فسباسيانوس : " كان قد شاع فى الشرق خبر قديم ومتواتر أن الأقدار قد حتمت أنه من اليهود يوجد من يسود العالم " . وقال ناقيتوس المؤرخ : " كان كثيرون يعتقدون أنه ورد فى أسفار الكهنة الأقدمين أن فى هذا الزمان يفوز الشرق ، وأن رجالا من اليهودية يقدمون فيتولون التدبر ، وعرف بين أهل غاليا أن عذراء ستحبل

بمخلّص العالم واتخذ لها كهنتهم المعروفون بالدرويد هيكلا فى مدينة شرتر كتبوا على واجهته [للعذراء الوالدة] " .

(٧) ومما حفظ أيضا عن حكماء العالم و فلاسفته من هذا القبيل ، ما قاله هرمن فى كتابه المعروف بكتاب التسعة الأحجار : " العدل يبطل والأمة القديرة تشغب [تنحط] وتطلب ما ليس لها بحق والمخزون تظهر إياه « وهو آب يكون فى الأرض وتتآمر الأمة النجسة بالباطل هم وحكماؤهم على ملك الملوك » " . وقال سولس : " الملك العظيم التقى بلا دنس رب الآثام الذى كل شئ بعد ضيائه ننتظر " . وقال أدنس : " واحد هو الضوء غير المحسوس وهو فى كل وقت الذى يجوز الفكرين والكلمة المولود منه كامل فى كل شئ " .

وبالجملة ، كما قال تاسيتوس المؤرخ القديم : " سينهض الشرق ويخرج من اليهودية من يسود العالم " . وقد وجد الفاتحون لأمريكا تقاليدا مثل هذه فى المكسيك وبلاد پيرو .



الفصل الخامس

المسيح نهاية وبداية

+

لقد ثبت لنا أن الشعب اليهودى والعالم الوثنى كانوا متشبعين بالإعتقاد بوجود ذنب عظيم وبالحاجة إلى مخلّص . وفى عقيدتهم ذكرى أكبر الآلام ورجاء فى أعظم تعزية ، وذلك نفس جوهر عقيدة المسيحية .

أما لماذا نعتقد أن المسيح الذى ملأ تلك الحياة اليائسة من الرجاء ، وأشبع جوع البشر الروحى ؟ فذلك لأن حياته هى التى انتهت عندها كل تلك الأمانى . و لا ريب أن أصدق الإعتقادات فى المسيح ، كانت فى كتب اليهود لأنها كتبت بوحى إلهى . والأمم الوثنية تلقت ذلك التقليد بلا شك منذ القديم من الآباء الأولين الذين سمعوه من آدم الذى وُعد بالمسيح ، ولكن مرور الزمن وبُعدهم عن الوحى ، جعلا ذلك الإعتقاد ممزوجا بالخرافات والأساطير .

قال العلامة فربيل الأسقف الفرنسى : " وإلا فأفتونى من هو ذلك الشرقى المنتسب إلى داود ؟ " .

" من هو طفل بيت لحم إن لم يكن يسوع المسيح الذى جاء فى الوقت المنتظر وتقدم إلى الهيئة البشرية كالإله الذى بنت عليه رجاءها ؟ " .

" أليس هو يسوع المسيح الذى وقفت عنده سلسلة النبوات وكانت كل حلقة منها متممة لما قبلها و متماسكة فيما يليها ؟ "

" أليس خراب الأمة اليهودية المرافق لوجود المسيح قد ختم المسألة بحادث لا يتسرب إليه الشك ؟ . ولماذا نهر الأجيال الغابرة قد أوقف تياره أمام المذود الذى ولد فيه المسيح وصنع له مجدا جديدا ؟ . أليس ولادة يسوع أصبحت مبدأ جديدا لتاريخ الشعوب ، ومهده صار نقطة الإتصال بين نهاية القديم وبداية العالم الجديد ؟ " .

لقد انحل المذهب الموسوى على أثر ظهور المذهب المسيحى الجديد ، فجاء هذا الإتفاق التاريخى دليلا على أن المذهب المسيحى هو الوارث الشرعى للمذهب الموسوى المنحل . ولهذا يقول الرسول أن المسيح جاء فى ملء الزمان (غلا ٤ : ٤) . نعم ، فى ملء الزمان ، إذ جعل من الإمبراطورية الرومانية حكومة واحدة قانونية وطدت الأمن ومنعت اليهود من سحق المسيحية الطفلة . نعم ، فى ملء الزمان ، لأن انتشار اللغة والفلسفة والعلوم اليونانية مهّد السبيل للتعليم الجديد الذى اتخذ هذه اللغة أداة له .

« فى ملء الزمان » لأن العالم كله ، الذى سقط فى الفساد وعجز كل حكمائه عن أن يبطلوه ، إنتظر مخلصا إلهيا . ولما ظهر ، قَبِله الجميع وتلاشى الفساد من بينهم .

قال أحدهم : " أليس فوق مهده تقابل ماضى الإنسانية ومستقبلها وتعانقا ، والشعب اليهودى والأمم قبّلوا بعضهم بعضا بقبلة السلام ؟ " .

وقال العلامة بوسويت : " إن التاريخ العام لا يُدرك ولا يُفسر إلا بالمسيح ، فأربعة آلاف عام قد استعدت له ، وأربع دول عظيمة قد تعاقبت ممهدة له السبيل ، لولاه ما كان الشعب العبرانى معروفا ، وكل ما فى الأعصر الغابرة يؤمه ، وكل ما بعده لا يُفسر إلا به . لعمرى كيف يمكن إدراك هذه الحقيقة التاريخية وهى نشأة المسيحية بالذات ، لولا الكلمة المتأنس . فسقوط العالم الوثنى ونشأة الكنيسة وتاريخها منذ ثمانية عشر

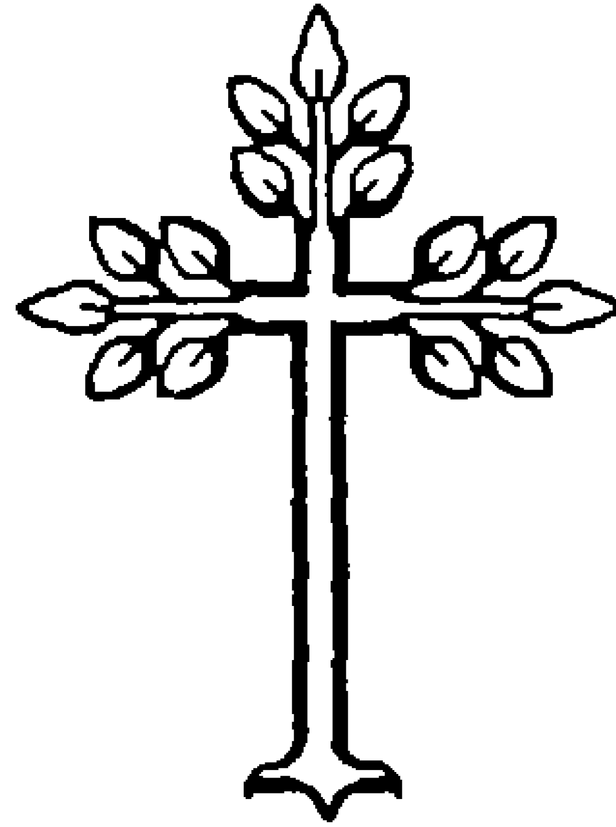
جيلا ، والإضطهادات التى عانتها ، والإنتصارات التى جازتها ، ومفاعيلها فى أشخاص وعائلات وعصابات من البشر ، لا سبب لها ولا برهان عليها ، سوى الإيمان بهذه العقيدة المستقيمة ، وهى « أؤمن بيسوع المسيح إبن الله الذى صار إنسانا » أعنى أؤمن بعقيدة التجسد النبراس الساطع الضياء ".

وقال أوريجانوس دفاعا عن المسيحية : " إن اليهود ، منذ أتى يسوع المسيح ، لم يعد لهم لا نبوات ولا معجزات ولا أدنى علامة تدل على الوقاية الإلهية ، كما يُرى عند المسيحيين " .

وقال بابينى : " قد أصبحت سنة ميلاد المسيح محور التاريخ ، وقانون المعاملات فى العالم إجمالا . فتدون الحوادث باعتبار نسبتها فى الزمان إلى الميلاد سواء أكانت قبله أو بعده . فكتابة التاريخ المسيحى فى كل لغات العالم فى الكتابات وفى المطبوعات وفى المعاملات الرسمية وغير الرسمية ملايين المرات كل سنة ، شهادات لا تحصى لمجئ المسيح وأهميته . أجل ، إن يسوع نهاية وبداية ، بل هاوية سر إلهى تشطر تاريخ البشرية إلى شطرين متباعدين ، لأن الوثنية والمسيحية لم تتصلا ولن تتصل إحداهما بالأخرى . فعندنا زمن قبل المسيح وزمن بعد المسيح ، بل إن جيلنا و مدنيتنا و حياتنا كلها تبتدئ بولادة المسيح ، و إذا دفعَنا حب الإستطلاع إلى البحث عما جرى فى العالم قبل المسيح وتفهّم أسراره ، فإن ذلك لا يلامس أرواحنا لأنه ليس فى أوضاعنا ، وهو مقيد بقيود غريبة عنا و خاضع لنظام غير نظامنا . و إنما وُضع لزمان غير زماننا و لأقوام غير أقوامنا ، فليس فيه ما يحرك شواعرنا و يستميل قلوبنا . و كثيرا ما يقدم فى ذلك القدم بعض الجمال أو كل الجمال ، و لكنه لسوء الحظ جمال ميت " .

قال باسكال فى كتاب خواطره فصل ١٤ : " أجل ، إن يسوع هو مطمح كل شئ ، و المركز الذى يدور حوله كل شئ و يرجع إليه ، و من يعرفه يعرف علة و غاية الأشياء جميعها ، و من يضل لا يضل إلا لجهله

إياه . على أن المرء يمكنه أن يعرف الله وهو جاهل شقاءه أو أن يعرف شقاءه وهو جاهل الله . ولكن لا يمكنه أن يعرف المسيح من غير أن يعرف الله وشقاءه معا . فمعرفته بالله دون معرفته شقاء نفسه تحمله على الكبرياء ، و معرفته بشقاء نفسه دون معرفته بالله الفادى تحمله على اليأس . أما معرفته بذلك المخلص ، فتنجيه من الصلف والقنوط لأن بها يعرف الله وشقاء حالته ، والواسطة الوحيدة التى بها يصلح فاسدة ، ويستحق يوما الإتحاد بالله غايته . وعليه ، فلا أتحرى هنا أو أثبت ببراهين طبيعية وجود الله وخلود النفس ، لا لأنى لم أرنى حريا أن ألقى فى الطبيعة أدلة بها أكسبت المعطلة القساة ، بل لأن هذه المعرفة من دون يسوع المسيح ، إنما هى عقيمة وغير نافعة . . وفى الحقيقة ، إذا شاهدت رجلا يعلم أن نواميس الكون وقواعد الجبر والهندسة حقائق أزلية متعلقة بحقيقة أولى قائمة هى بها تسمى الله ، أفتراه بهذا العالم سالكا فى طريق الخلاص ؟ . فيجب عليك إذن أن تسعى جهدك وراء معرفة المخلص ، إذ به وحده تستطيع أن تعرف الله معرفة مفيدة لنفسك " .



الفصل السادس

بيّنات أخرى على لاهوت المسيح وتجسده

+

أولا : ما صاحب ولادته من المعجزات :

(١) ولادته من عذراء بدون مشاركة رجل :

إن الله قادر أن يصنع الإنسان على أربعة أنواع :

أ) من رجل وامرأة كما هو الشأن الجارى .

ب) أو من غير رجل ولا امرأة كما صنع آدم .

حـ) أو من رجل بلا امرأة كما صنع حواء .

د) أو من امرأة من غير رجل الذى لم يكن قد صنعه إلى ذلك الحين .

فلكى يتحقق أن هـذا الوجه الأخير تحت حكمه تعالى ، لأنه جدير بهذا العمل ، لاق أن يتخذ جسدا لإبنه الوحيد من امرأة وحدها ، وذلك إتماما لنبوءة أشعياء القائلة : ها العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعو إسمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤) . وهذا صار أيضا لما يأتى :

أ) أن المتجسد ينبغى أن يولد بكيفية خارقة للطبيعة ، مماثلة لآدم الذى ينوب عنه .

ب) أن آدم خلق من الله مباشرة ، وهكذا جسد المسيح بقوة الروح القدس ، بدون زرع إنسان .

حـ) كما أن خطيئة الإنسان وعلة دينونتنا قد نشأتا من امرأة ، هكذا وجب أن يكون دواء الخطية وسبب خلاصنا من امرأة أيضا .

د) و كذلك لما كانت الأنثى التى صنعها الله من رجل بلا امرأة مأخوذة من رجل بتول ، فقد لاق أن يولد المخلص من امرأة بلا رجل ، مولودا من امرأة بتول أيضا .

(٢) ظهور ملائكة يبشرون بميلاده :

نعم ، لقد ظهر ملائكة يبشرون بميلاد بعض رجال الله ، ولكن لم يكن يظهر غير ملاك واحد . أما ليلة مولد المسيح ، فظهر جمهور من الجند السماوى مسبحين الله ومباركين ومغنين تلك الأنشودة البليغة التى حولت كل أسرار التجسد : « المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » .

(٣) مجئ مجوس من المشرق ليسجدوا له :

وذلك لأن المجوس ، وهم من بلاد الفرس ، كانت عندهم نبوءة بلعام بن فغور الذى تنبأ عن المسيح قائلا :«أراه وليس الآن . أبصره ولكن ليس قريبا . يبرز كوكب من يعقوب وقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفى موآب ويهلك كل بنى الوغى» (عد ٢٤ : ١٧) . ويرجح أنهم عرفوا عن إتيان المسيح من اليهود المشتتين فى بلادهم ، و قد ظهر لهم نجم على سبيل الآية ، أو ربما كان من المذنبات ، وتقدمهم « ووقف فوق حيث كان الصبى » (مت ٢ : ٩) . وقد قدّم أولئك الحكماء هداياهم للطفل يسوع ذهبا ولبانا ومرا . قرّبوا له الذهب ، ليس لأن مريم كانت فى حاجة إليه فى غربتها ، بل قرّبوه رمزا إلى الآية : « بع كل أملاكك واعطها للمساكين » . وقدموا له اللبان ، ليس لإزالة رائحة المغارة الكريهة ، بل دلالة على انقضاء عهد طقوسهم وعبادتهم ، وإشارة إلى أن مذابحهم لم تعد فى حاجة إلى دخان أو بخور . وقدموا له المر ، لأنهم عرفوا أن هذا المولود هو معلم العالم والنبى المنتظر . ففى تقدمتهم الذهب إعترفوا به ملكا ، و فى تقدمتهم اللبان إعترفوا به كاهنا ، وفى تقدمتهم المر إعترفوا به نبيا . فقد عرفوا قبل مبارحتهم بلادهم من علم الفلك ، و بإرشاد

الله ، بأن هذا المولود الذى ظهر نجمه فى السماء ليس إنسانا ساذجا ، بل هو ملك يستحق السجود ، ولا يسجد البشر لبشر نظيرهم بل لإله عظيم . و لما اقتربوا من أورشليم ، كانوا يسألون الناس : « أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له » (مت ٢ : ٢) .

ثانيا : الألقاب التى أعطيت له :

لقد نسبت للمسيح جميع الألقاب الإلهية ، وهذا يؤكد ويؤيد بأنه الله الذى ظهر فى الجسد ، فقد قيل عنه :

(١) الله : وهو إسم علم للذات الإلهية ، لا يمكن أن يلقب به سواه . فلا ريب أن المسيح هو الله كما قيل : « وبالإجماع عظيم هو سر التقوى . الله ظهر فى الجسد » (ا تى ٣ : ١٦) . وقيل عنه أيضا : « كرسيك يا الله إلى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك . أحببت البر . وأبغضت الإثم . من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك » (مز ٤٥ : ٦ و ٧) . وقد تنبأ أشعياء عن كيفية ولادته وممن يولد فقال : « ها العذراء تحبل و تلد إبنا و تدعو إســمه عمانوئيل » (أش ٧ : ١٤) . ومعنى إسم عمانوئيل فى اللغة العبرية [الله معنا] فالمسيح هو الله معنا . و فى خطاب بولس الرسول إلى أساقفة أفسس قال لهم : « إحترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية . . لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) . وليس لله دم ، بل المسيح له المجد ، الذى تجسد وفدى الكنيسة بدمه . ودعاه بولس « الله » وهو رب الكنيسة أى جماعة المؤمنين . و قال فى رسالة كولوسى ٢ : ٩ « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا » فكل اللاهوت بجلاله ، حل فى ناسوت المسيح ، بل كان واحدا مع ناسوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير . فهو إذن الله . وقد قال يوحنا فى أول إنجيله : « وكان الكلمة الله » (يو ١ : ١) وحتى لا يخطر على بال أحد

بأن الكلمة هنا تعنى لفظة عادية ، نقول له بأن الكلمة هنا وغير هنا تعنى نطق الله و تذكر بصيغة المذكر ، وحتى فى القرآن فى سورة مريم ذُكرت هكذا فقيل هناك : " إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى " . فلو كانت الكلمة تعنى لفظة إعتيادية ، لكان الضمير الذى يعود عليها مؤنثا ، أعنى لقيل (كلمة منه إسمها) و لم يقل إسمه .

(٢) وسمى أيضا الأزلى : « وأنت يا بيت لحم يهوذا. منك يخرج لى الذى مخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل » (مى ٥ : ٢) . وقال عنه سليمان الحكيم : « منذ الأزل مسحت منذ أوائل الأرض » (أم ٨ : ٢٣) . وقال عن نفسه وهو صادق وأمين : « أنا هو الألف والياء البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شئ » (رؤ ١ : ٨) .

(٣) الحاضر فى كل مكان : كل مَخلوق له حيز محدود و تأثير محدود لأعمال محدودة ، أما السيد المسيح فليس كذلك . فقد قال عن نفسه : « وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء إبن الإنسان الذى هو فى السماء » (يو ٣ : ١٣) .

(٤) ودعى الخالق : « كل شئ به كان بغيره لم يكن شيئ مما كان »(يو ١ : ٣) . وقال الرسول بولس : « فإنه فيه خلق الكل ما فى السموات وما على الأرض . الكل به وله قد خلق » (كولوسى ١ : ١٦) . وقيل عنه يخلق من الطين كهيئة الطير . ولقب « خالق » لم يعط إلا لله سبحانه وتعالى . فالمسيح إذن هو الله لأنه خالق .

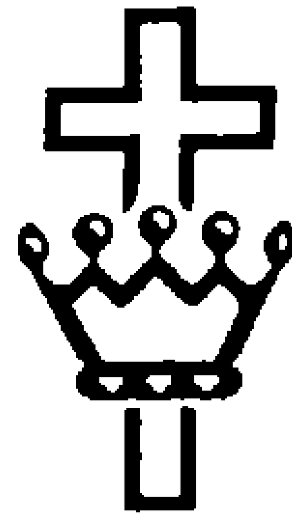
(٥) وسمى أيضا الإله القدير : والقدرة من أجل صفات المسيح . قال عنه أشعياء : « ويدعى إسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام » (أش ٩ : ٦) . وقال له المجد : « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » (يو ١٥ : ٥) .

ثالثا : عصمته من الخطية :

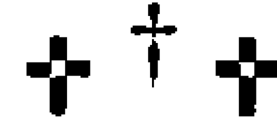
كان السيد المسيح معصوما من الخطأ ، بل أن الكتاب المقدس قال عنه أكثر من ذلك ، إذ قال : « إنه لم يعرف خطية » وفرق شاسع بين من لم يعرف الخطية ومن لم يعمل الخطية ، فهو لم يعرف الخطية لأنه قدوس وبار . فقد كانت كل حياته طهارة فى طهارة ، وقداسة فى قداسة . وقد اضطر الفلاسفة الذين درسوا حياته بتمعن وروية ، أن يقولوا بأنه عاش كإله ومات كإله (قالها بليتى الفيلسوف الفرنسى) ، أما ألد أعدائه اليهود ، فلم يستطيعوا أن يجدوا ما ينتقدونه عليه ، وقد تحداهم مرة بقوله : « من منكم يبكتنى على خطية » فخرست ألسنتهم ولم يستطيعوا التكلم . فلو كانت هناك شبه علة ، لما توانوا عن ذكرها والتشنيع بها ، لأنهم كانوا يبحثون عن علة بها يشتكون عليه فلم يجدوا . فالعالم الذى يهرب من المسيح لإشباع شهواته وملذاته ستدينه أقوال المسيح وحياته وموته على الصليب .

نسأله تعالى أن يجذب الكل إليه ، ويخضع الكل لسلطانه ، ليخلصوا من خطاياهم ويتحرروا من نير إبليس عدوهم .

له المجد و السلطان إلى
آباد الدهور كلها
آمين



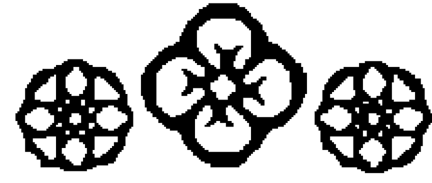
فهرس



الموضـــــــــــــوع	الصفحة
كلمة مكتبة المحبة بالقاهرة	٥
كلمة عن المؤلف نبيح الله نفسه	٦
تحية الشقيق (وهبة يؤنس نصر الله)	١١
الجزء الأول : إثبات صحة الأناجيل	١٢
الباب الأول : فى أن الرسل لم يكونوا مخدوعين أو خادعين و لم يكن الخداع سهلا عليهم	١٢
الفصل الأول : فى أن الرسل لم يكونوا مخدوعين	١٢
الفصل الثانى : فى أن الرسل لم يكونوا خادعين	١٦
الفصل الثالث : فى إنه لم يكن سهلا على الرسل أن يخدعوا العالم	٢٥
الباب الثانى : فى صحة نسبة الأناجيل لكاتبيها	٢٧
الباب الثالث : فى المطابقات غير المقصـودة بـين الأناجيـل و فى إخلاص كَتَبَتِها	٣٢
الباب الرابع : شهادات تاريخية	٤١
الفصل الأول : شهادة الآباء فى القرن الأول	٤١
الفصل الثانى : شهادات الآباء فى القرن العشرين	٤٤
الفصل الثالث : شهادة الترجمات القديمة وعلم الجيوغرافية ...	٥٦
الفصل الرابع : شهادة أعداء المسيحية الأولين	٥٨
الفصل الخامس : شهادة يوسيفوس المؤرخ اليهودى	٦٣
الباب الخامس : فى عدم تحريف الأناجيل	٧١
الباب السادس : الإعتراضات على صحة الأناجيل	٧٧

الموضوع	الصفحة
الجزء الثاني : في سر التثليث	٩٧
الباب الأول : في السر	٩٧
الباب الثاني : في العقل و الإيمان	١٠١
الفصل الأول : في ما ندركه بالإيمان	١٠١
الفصل الثاني : في ما ندركه بالعقل	١٠٧
الباب الثالث : في الكلام عن سر التثليث	١١٢
الفصل الأول : أهمية تعليم التثليث	١١٢
الفصل الثاني : في الأقنوم	١١٦
الفصل الثالث : في إن العقل يقبل سر التثليث و إن كان لا يفهمه	١٢١
الفصل الرابع : الثالوث في المخلوقات	١٢٥
الفصل الخامس : التثليث في الأديان الأخرى	١٣٠
الفصل السادس : الثالوث في العهد القديم	١٣٣
الفصل السابع : شهادة القرآن للنصارى بالتوحيد	١٣٦
الفصل الثامن : إعتراضات على التثليث	١٤١
الفصل التاسع : في حقيقة بنوية المسيح لأبيه	١٤٥
الفصل العاشر : إعتراضات كتابية على سر التثليث	١٥٩
الجزء الثالث : في إثبات لاهوت المسيح	١٦٥
الباب الأول : في دعوة المسيح نفسه إلها	١٦٥
الفصل الأول : في انفراد المسيح بهذه الدعوة	١٦٥
الفصل الثاني : حياة المسيح برهان على صدق ما ادعاه لنفسه	١٧١
الفصل الثالث : أن المسيح دعا العالم إلى اعتباره إلها وأجيبت دعوته	١٧٤
الفصل الرابع : المسيح برهن على صدق دعوته بقوة تأثيره الشخصي	١٧٧
الفصل الخامس : ثبات ألوهية المسيح أكبر دليل على صحتها ...	١٨٣

الموضـــــــــــــــــــــــــــــــــــوع		الصفحة
الفصل السادس	: لماذا لم يؤمن جميع الناس بيسوع إلها ؟	١٨٨
الباب الثانى	: ألوهية المسيح فى تجسده	١٩٠
الفصل الأول	: نبوات العهد القديم عن المسيح	١٩٣
الفصل الثانى	: إعتراضات عامة على النبوات التى تشير إلى المسيح	٢١٧
الفصل الثالث	: لماذا لا يقبل اليهود المسيح ؟	٢٢٣
الفصل الرابع	: إنتظار الأمم للمسيح	٢٣٢
الفصل الخامس	: المسيح نهاية وبداية	٢٣٧
الفصل السادس	: بينات أخرى على لاهوت المسيح وتجسده	٢٤١



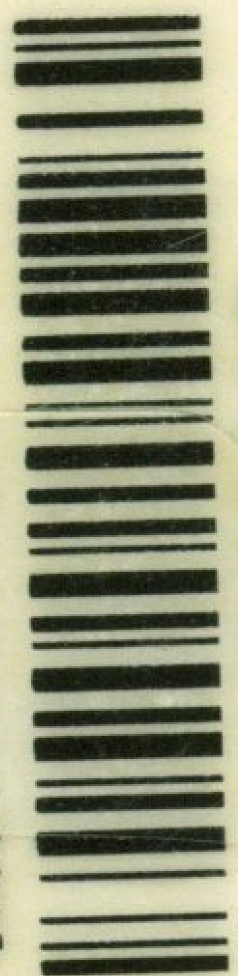
ملاحظة :

عندما قمنا بنشر هذا الكتاب فى الطبعة الأولى ، وجدناه مطبوعا لغاية منتصف صحيفة ٢٤٢ ، وقد بحثنا كثيرا عن باقى أصوله لتكملته فلم نوفق إليها ، فقام جناب الأب القمص شنودة قزمان (راعى الكنيسة القبطية بكوم امبو سابقا) بتكملة الفصل الأخير من منتصف صفحة ٢٤٢ إلى آخر صفحة ٢٤٥ . الرب ينيح نفسه ويعوضه عن تعب محبته .

مكتبة المحبة

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٧٤٥ / ٧٩

الترقيم الدولى ٥ - ٧٦ - ٧٢٨١ - ٩٧٧




MAHABA BOOKSHOP

مكتبة المحبة

٣٠ ش شبرا ت: ٥٧٧٧٤٤٨